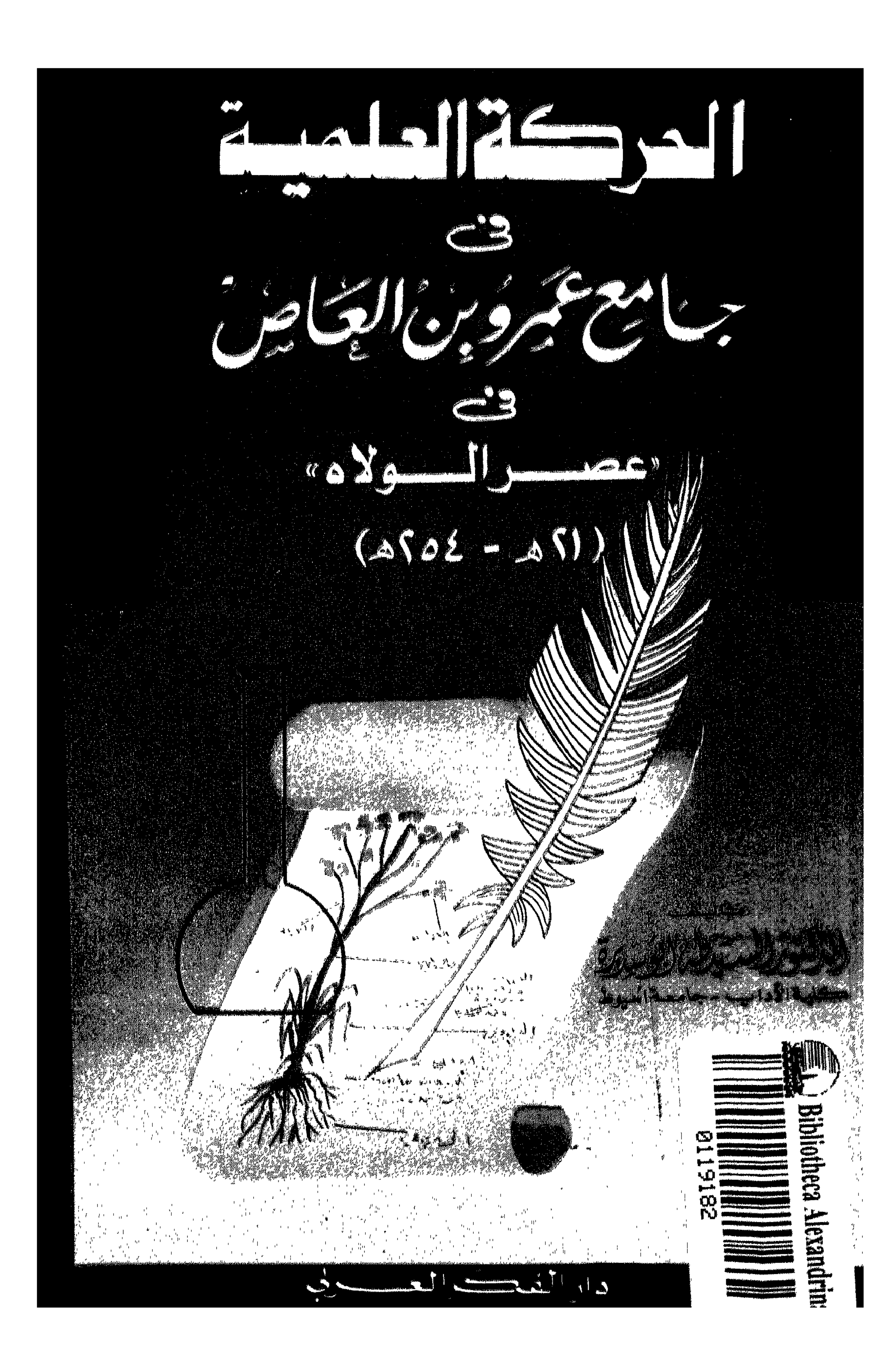

الحركة العلمية
في
جامع عمرو بن العاص
في
«عصر الولاه»
(٢١هـ - ٢٥٤هـ)
كلية الآداب - جامعة أسيوط
Bibliotheca Alexandrina
0119182
دار الفكر العربي

الحركة العلمية
في
جامع عمرو بن العاص
في
«عصر الولاة»
(٢١هـ - ٢٥٤هـ)

تأليف

الدكتور السيد طه أبو سديرة

كلية الآداب - جامعة أسيوط

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

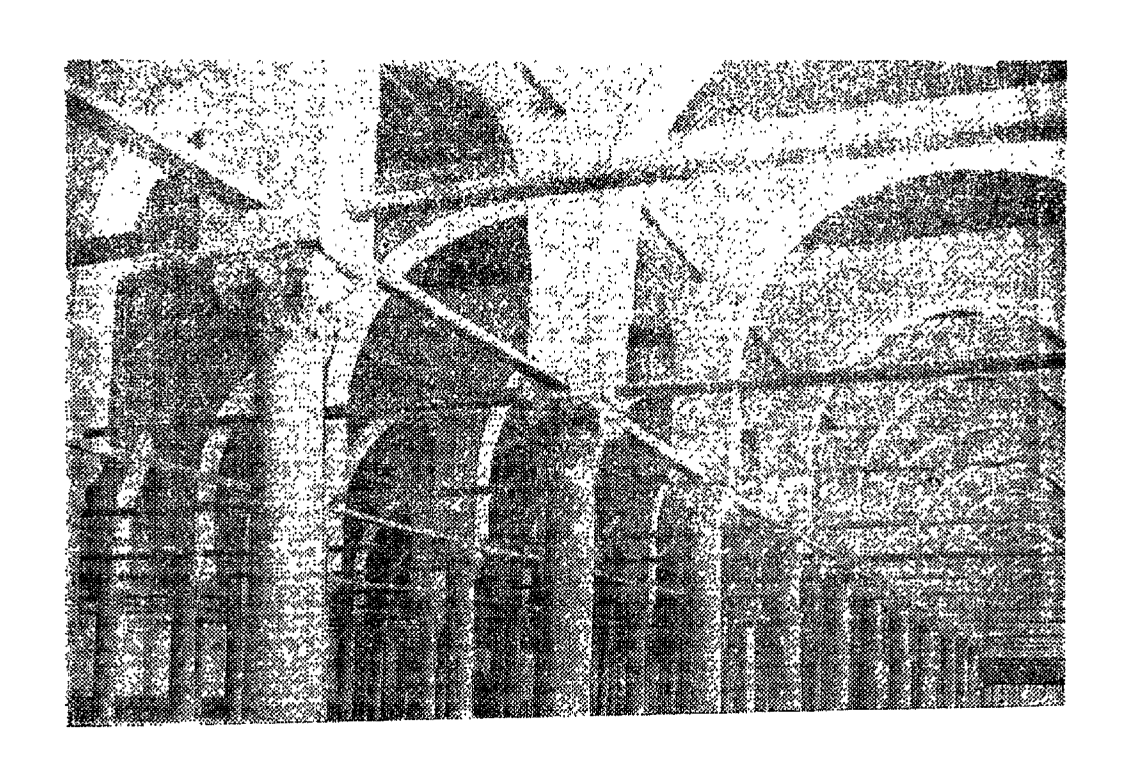
الأدارة : ١١ ش جواد حسني - القاهرة

ص ب ١٣٠ ت ٣٩٢٥٥٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

فاتحة كل خير وتمام كل نعمة



جامع عمـــــرو بن العـــاص من الداخل

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وبعد : فانه من دواعى الشرف والغبطة الروحية أن يكون موضوع بحثنا : جامع عمرو بن العاص اول بيت من بيوت الله فى مصر وافريقية يتلى فيه القـــرآن الكريم ويروى به أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وأول موضع يجتمع فيه من الصحابة رضى الله عنهم ما لم يجتمع فى غيره من المساجد الجامعة بعد انشائه ، هذا المسجد الجامع الذى عرف بالجامع العتيق وتـــاج الجوامع يستحق البحث ويستأهل الدراسة العلمية ، ولا غرو فهو مهد الحياة الثقافية الاسلامية التى عاشها اهل مصر بعد بناء الفسطاط ونمو العمـــران بها ، وهو مسرح الأحداث التى شهدتها الديار المصرية منذ وقوع الفتنة الكبرى حتى نهاية عصر الولاة فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى .

لم يكن جامع عمرو مقرا للعبادة فحسب ، ولا مقرا لمجلس القضـــاء أو مكانا لتوزيع العطاء على جند العرب المسلمين ، بل كان مهدا للحركة العلمية فى مصر وبلاد افريقيـــة والمغرب فقد شهدت أروقته نشأة العلوم الاسلامية الخالصة كالحديث والفقه والقراءات ، ولا غرابة فى ذلك فقد اصبح قبلة النازحين من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمـــة المجتهدين والحفاظ البارزين من تابعى التابعين ، كما أصبح محط الآمال وقبلة طلاب العلم من سائر بلاد المغرب والأندلس والتلقى عن شيوخه من القراء والفقهاء وغيرهم من حفاظ الحديث الذين تحلقوا فيه فصاروا من الأعلام النابهين .

لقد اقترنت الحركة العلمية فى عصر الولاة بظهور الاسلام وانتشاره فى مصر ، والحث على طلب العلم ، كما اقترن جامع عمرو منذ انشائه باستقبال هؤلاء الصحابة والتابعين الوافدين من المدينة المنورة ومكة المكرمة ، ومن بلاد اليمن والشام الى مصر ومشاركتهم فى أعمال الجهاد والمرابطة فى الثغور ، وفى فتح بلاد افريقية والمغرب ثم بلاد الأندلس فى اواخر القرن الأول الهجرى ، بعد أن أصبحت مصر قاعدة لحركة الفتـــوح العربيـــة الاســــــلامية .

وكان من الطبيعى أن تأخذ الحركة العلمية طابعا دينيا أو صبغة دينية حيث بداية التفكير من جانب هؤلاء الصحابة والتابعين ، ومن اعتنق الاسلام منذ وقت مبكر من الموالى المصريين مثل يزيد بن أبى حبيب وغيره فيما جاء به القرآن الكريم وما ورد فى الاحاديث النبوية من تنظيم لشئون الحياة الدينية والدنيوية . حيث كانت الذاكرة وقوة الحفظ لديهم هى المعول عليها فى حفظ القرآن ورواية الحديث وكذلك التدبر فى نصوص وآيات القرآن والطريقة الصحيحة التى يمكن بها قراءته فى المساجد . ومن أجل تأدية الفرائض والعبادات والاجتهاد فى سبيل استنباط الأحكام الشرعية لمواجهة المسائل والمشكلات التى تميزت بها مصر عما سواها من الأمصار الاسلامية .

حث الاسلام على طلب العلم كما جاء فى نصوص القرآن وما ورد فى الحديث الشريف ، فلا غرو اذا انطلقت الجماعة الاسلامية فى مصر وفى غيرها من البلدان المفتوحة فى سبيل حفظ كتاب الله وسنة رسوله الكريم وهما المصدران الرئيسيان للحركة العلمية التى بدأت فى الفسطاط . واخذت فى النمو والازدهار حتى بلغت غايتها فى نهاية العصر الاسلامى الأول حينما نضجت علوم الاسلام وآتت ثمارها . وكان تشجيع الولاة المسلمين لهذه الحركة التى اصطبغت بالصبغة الدينية ، أولئك الذين تولوا امارة الديار المصرية فكانوا أئمة الناس فى المسجد الجامع والخطباء منهم وحفاظ الحديث من الصحابة والتابعين الذين أحسوا بعظم الأمانة والمسئولية ، وقد علموا أن حكم الناس ليس لتنظيم شئون دنياهم فحسب ، وانما هو لولاية شئون الدين والحفاظ عليه ، وتمكين المسلمين من فهم أصوله وقواعده ، وتمهيد السبيل لكى يصبح هذا الدين شرعة الحياة التى يعيشونها . ومن أجل ذلك كانوا لا يقدمون على أمر من الأمور حتى يتبينوا حكم الله فيه ، فلا تأخذهم عن قواعد الشرع وأحكام القرآن والسنة شهوة الحكم أو غلبة السلطان ، ولا تحيدهم عن جادة الصواب أو الحق لومة لائم .

فكان منزعهم الى العلم ومنهجهم فى الحكم . حيث اتخذوا من ذلك سبيلا وعونا لهم على صحة العقيدة وسلامة القصد وسداد الحكم وامانة التطبيق ولا شىء يومئذ سواه . ساعدهم على ذلك تولى هؤلاء الفقهاء لشئون القضاء فى مصر الذين عملوا على ازدواج الحياة التشريعية فازدهرت لذلك الحركة الفقهية بين أروقة المسجد الجامع ومجالس الفتيا فيه .

وقد قسمت بحثى هذا الى عدة فصول أبرزت فى الفصل الاول منها مدى اهتمام الولاة بهذا المسجد الجامع وعمارته والزيادة فيه من أجل تأدية وظائفه الهامة والعديدة فهو مقر الخطبة والصلاة الجامعة ومجالس القضاء والقصص وغير ذلك من وجود بيت المال وتابوت القضاة وصاحب الخراج وتوزيع القبالات على المتقبلين ، هذا فضلا عما شهده من الأحداث الهامة منذ دخول السبئية الفسطاط ، وعودة الثوار من أهل مصر اليها ودخولهم المسجد الجامع مرتجزين الشعر حتى كانت سنوات المحنة والقول بخلق القرآن وما جرى لشيوخ هذا الجامع فى عهد الخليفة الواثق العباسى وغير ذلك من الأحداث التى أثارتها طوائف الخوارج ، والعلوية والمعتزلة فى مصر خلال عصر الولاة .

اما الفصل الثانى فقد تركزت الدراسة فيه حول نشأة العلوم الاسلامية وتطورها بين أروقة جامع عمرو حتى صار قلب الفسطاط الفكرى فتناولت علم الحديث ودور الصحابة والتابعين وغيرهم من الموالى المصريين الذين دخلوا فى الاسلام ، وما قام به هؤلاء من رواية الحديث وحفظ العلم وتدوينه بعد ذلك فى القرن الثانى من الهجرة ورحلة الكثير من العلماء الى مصر فى طلب الحديث سواء من بلاد المشرق الاسلامى كالامام البخارى والامام مسلم وأصحاب السنن كأبى داود وابن ماجة والترمذى ، وغيرهم من علماء القيروان وبلاد المغرب والأندلس .

كما تناولت نشأة علم الفقه وظهور المذاهب الفقهية كمذهب الامام مالك ومذهب الشافعى وأبى حنيفة النعمان وحلقات الفقهاء من الأئمة المجتهدين كالليث بن سعد وعبد الله بن وهب وعبد الله بن عبد الحكم وغيرهم من الفقهاء النابهين كابن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وابن الفرج والمزنى والبويطى والربيع بن سليمان المرادى المؤذن لجامع عمرو بن العاص وامثالهم .

كذلك دور أهل مصر فى القراءات وتطورها وظهور قراءة ورش ورحلة القراء الى جامع عمرو من سائر الأنحاء لتعلم القراءات المختلفة ولا سيما من بلاد المغرب والأندلس .

وتناولت فى الفصل الثالث مجالس أرباب اللغة والأدب وما كان يعقد فى المسجد الجامع من حلقات فى هذا المجال ، وأيضا مجالس الرواية وأخبار المغازى والفتوح واهتمام العديد من العلماء والاخباريين الذين كانوا يجمعون بين رواية الحديث ورواية الأخبار

وما أملاه هؤلاء من التأليف حول فتح مصر وأخبارها بعد الفتح حتى قيام عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الحكم بوضع كتابه الشهير « فتــوح مصر والمغرب » فى أواخــر عصر الولاة .

وقد أوضحت فى الفصل الثالث أيضا مدى أهمية المسجد الجامع وما اشتهر به من حلقات العلم والدرس حتى صار قبلة العلمــاء من كل مكان وخاصة من بلاد المغــرب والأندلس وعمن رحل فى سبيل العلم من المحدثين والقراء المغاربة والفقهاء وغيرهم من أهل قرطبة وسائر بلاد الأندلس خلال القرنين الثانى والثالث الهجريين .

أما الفصل الرابع والأخير فقد تناولت بالبحث فيه مظاهر الحركة الفكرية فى جامع عمرو بن العاص وموقف المحدثين والفقهاء المصريين من ظهور الفرق والمذاهب المختلفة بعد أن صار هذا الجامع موئل الشيوخ وموطن العلم والعلماء وقبلة الوافدين من ســائر الأنحاء ، فلا شك أن ظهور السبئية منذ وقت مبكر فى الفسطاط والدعوة لآل أبى طالب دون غيرهم بالخلافة كان له أثره من اثارة حفاظ الحديث واهل العلم ومحاولة اظهار موقفهم من هذه الدعوة ؛ وكذلك ظهور العلويين وتعقب العباسيين لهم فى مصر وغيرها من الأمصار مما آثار الاهتمام وجعل الفقهاء حينذاك يفكرون بين اروقة الجامع وزواياه حول نظريات الامامة والحكم وفيما ورد من نصوص دينية تؤيد أو تخالف ذلك ومناصرة بعض هؤلاء لهذه الفرق التى اصطبغت مطالبها أو أهدافها بالصبغة الدينية .

كما تناولت بالدراسة موقف أهل العلم والفقه من فريق الخــوارج بمصر ، ومن ظهور آراء المعتزلة والقول بخلق القرآن ، وما كان من موقف العلماء الرافض لهذه الآراء المتطرفة ، وما جرى فى سنوات المحنة من تعذيب او حبس حتى الموت لبعض الفقهــاء المصريين مثل البويطى ، وأخيرا موقف أصحاب الحلق بالمسجد الجامع من ظهــور آراء الصوفية بعد ان سطع نجم ذى النون الاخميمى المصرى فى ســماء الفسطاط صاحب الأحوال والمقامات واستنكار عبد الله بن عبد الحكم رئيس المالكية وغيره من الفقهــاء لآرائه فى مجال التصوف والسعى ضد ذى النون المصرى حتى أودع السجن فى بغــداد ، وما أعقب ذلك من اطلاق سراحه ورده الى الفسطاط مكرما بعد ان خلع عليه الخليفــه العباسى المتوكل وأوصى به والى مصر آنذاك ، وقد أدى ذلك كله الى تعطيل حلقات العلم

والدرس بعض الوقت ، كذلك أدى تعصب بعض القضاة لمذهبهم الى مثل ذلك كما فعل الحارث بن مسكين حينما تولى القضاء سنة ٢٣٧ هـ على نحو ما أوضحت هذا فى الفصل الأخير .

وقد افادتنى فى هذه الدراسة مجموعة من الكتب والمصادر الأصلية فى التاريخ والحضارة الاسلامية ، كما استفدت أيضا من أوراق البردى وجامع الكتابات الأثرية ومجموعة شواهد القبور التى جمعها وحققها العلامة « جاستون فييت » وغيرها من المراجع العربية والأجنبية الهامة .

والحمد لله أولا وأخيرا . . والله أسأل ان اكون قد وفقت فى بحثى وفيما قصدت اليه ، فمنه نستمد التوفيق . . انه نعم المولى والنصير .

سوهاج فى ربيع الأول ١٤١٠ هـ دكتور/السيد طه أبو سديرة

الفصل الأول

إهتمام الولاة بجامع عمرو بن العاص ووظائفه الهامة





جامع عمرو بن العاص ــ عمارته ــ ووظائفه الهامة

عرف عمرو بن العاص مصر قبل ظهور الاسلام (١) ، فقد كان يشتغل بالتجارة ويتردد بها على بلاد الحبشة واليمن جنوبا وبلاد الشام ومصر شمالا (٢) ، يقول الكندى (٣) « أن عمرو بن العاص كان يختلف بتجارته الى مصر وهى الأدم والعطر » .

والتاجر ــ كما هو معروف ــ هو أكثر الناس اتصالا ومعرفة بأخبار البلد الذى يرحل اليه ، فقد ادرك عمرو بفطرته أن مصر ترجحها جميعا ، فهى أغنى بلاد المسلمين بخيراتها وأرقى بفنها وصناعاتها .

ولكنه سمع من أهل مصر شكواهم واحس بما كانوا يعانون من حكم الرومان واضطهادهم لهم قبل الفتح العربى .

ولما أسلم عمرو فى السنة الثامنة من الهجرة (٤) وعرف الرسول صلى الله عليه وسلم كما عرف غيره من الصحابة خير معرفة ، ندبه الرسول لغزوة ذات السلاسل (٥) ، وعدم سواع وهو صنم كانت قبيلة هذيل تعبده فى الجاهلية بالقرب من مكة .

كما أرسله الرسول لدعوة جيفر وعباد أميرى عمان الى الاسلام ، وقد نجح عمرو أيما نجاح فى ذلك وعاد الى المدينة بعد أن حقق كل ما ندبه النبى من أجله (٦) .

كما تجلت شجاعة عمرو وفروسيته بعد ذلك حين أرسله الخليفة أبو بكر الصديق على رأس جيش من جيوش فتح بلاد الشام ، فاستطاع بدهائه أن يكون موضع الشورى والمراجعة لتلك الجيوش جميعها وقوادها أمثال أبى عبيدة بن عامر الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان ، وكان تحت امرته يومئذ تسعة آلاف مقاتل بينما بلغت عدة الجيوش سبعة وعشرين ألفا من الفرسان والمشاة من الجند العرب . وكان ذلك فى أواخر السنة الثالثة عشرة من الهجرة (٧) .

ولما فتحت بلاد الشام وجاء عمر بن الخطاب الى الجابية فى السنة الثامنة عشرة واجتمع مع قواده ، خلا به عمرو بن العاص وأفضى اليه برغبته فى فتح مصر محاولا اقناعه

للمسير نحوها فكان مما قاله لامير المؤمنين : « فلتكن غزوة مصر دفعا للخطـــر وضمانا لأرواح المسلمين » (٨) ، ومع هذا كان تردد عمر فيقارعه الحجة قائلا : « بأنها أكثر الأرض أموالا » وعمر لا يقتنع برأيه إذ لا يرى المال الا عارية أما غرضه الأسمى فهو نشر الاسلام ، ويخشى ألا يستطيع العــــرب الغلبة على جيوش الروم فى مصر ، ولكن عمرا كان أعرف الناس من عمر بمصر وقوتها فيرد عليه حجته قائلا : « وهى أعجزها عن القتال والحرب — وانك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم » (٩) .

وهكذا كانت مقدرة عمرو على الحوار واقناع الخليفة عمر بن الخطاب بالتوجه لفتح الديار المصرية . وقد عبر عن شجاعة عمرو وقوة شخصية أمير المؤمنين حين قال عنـــه : « ما ينبغى لعمرو أن يمشى على الأرض إلا أميرا » وفيما ذكره الليث بن سعد من حديث عمرو عن نفسه ودرايته بالحرب وفنونها عنـــدما قال « ما كنت بشىء أتجـــر منى بالحرب » (١٠) .

وتجمع الروايات التاريخية على أن عمر بن الخطاب ما كاد يصل الى المدينة ويجتمع مع أهل الشورى ، حتى أرسل اليه أن ينصرف بمن معه من المسلمين ، فأدرك الكتاب عمرا وهو برفح ، فأغضى عن الرسول حتى بلغ مكانا من مصر غير مختلف فيه ، فقــرأ الكتاب عندئذ وقال لجنده : لم يلحقنى كتاب أمير المؤمنين حتى دخلنا مصر فســـيروا على بركة الله وعــــــونه (١١) .

وهكذا سار عمرو على رأس جيش عدته أربعـــة آلاف رجل ، وقيل ثلاثة آلاف وخمسمائة نحو العريش والفرما وبلبيس حتى ضرب الحصار حول حصن بابليون — ثم توجه الى الاسكندرية وطال الحصار لعدة أشهر حتى آن أمير بعث اليه بكتـــاب يحثـــه على القتال والحرب بعد أن مضى عامان أو يزيد (١٢) ، وانتهى الأمر بعقد الصلح وخروج الروم من الاسكندرية الى غير رجعة ، ثم أعقب ذلك فتح المدن الساحلية كرشيد ودمياط وتنيس (١٣) ، وقد عاد بعدها الى معسكره الذى نزل فيه وجيشه الى الشمال من حصن بابليون الذى عرف عند العرب بقصر الشمع آنذاك (١٤) .

أرسل عمرو رسوله الى المدينة معاوية بن حديج بشيرا بالفتح الى عمر بن الخطاب، فخر عمر ساجدا وقال : الحمد لله ، ويبدو من رواية ابن عبد الحكم التى نقلها عن ابن

لهيعة المحـــدث والراوية المصرى أن ذلك تم فى فتـــح الاسكندرية الثـــانى ســـنة ٢٥ هـ / ٦٤٦ م (١٥) .

على أية حال فان القائد عمرو بن العاص استطاع فتح مصر كما كان فتح فلسطين جنوب الشام على يديه ، وبدأ فى التفكير من أجل اتخاذ عاصمة للديار المصرية ، وقد هم أن يتخذ الاسكندرية بعد فتحها وقال : « مساكن قد كفيناها » وذلك بعد أن رأى بيوتهـــا وبناءها مفروغا منها ، ولكن الخليفة عمر أرسل اليه أن يتخذ له حاضرة ســـواها حتى لا يكون الماء حائلا بينه وبين تلك الحاضرة الجديدة (١٦) .

كانت سياسة عمر بن الخطاب ترمى الى انشاء معسكرات دائمة فى البلدان التى تم فتحها حتى يتفرغ الجند للجهاد والحرب ، فقد بعث الى أمراء الأجناد بكتب ينهى فيهـــا الجند عن الزرع أو اتخاذ اى حرفة أخرى (١٧) ، كما كان عمر يرى عدم اختلاط الجند العرب مع أهل البلاد حتى لا يتمصروا أو يفقدوا عروبتهم بعد مضى جيل أو جيلين ، وحتى لا يتم امتزاجهم أو ذوبانهم لا سيما فى بلاد لها حضـــارتها منذ العصـــور القديمـــة كمصر وبـــــلاد فارس .

شرع عمرو بن العاص فى بناء جامعه المعروف بعد تمام فتح مصر على يديه عــــام ٢١ هـ (١٨) ، وذلك بعد أن عاد المسلمون من الاسكندرية ، وقد ســـأل عمرو قيسبة ابن كلثوم التجيبى أن ينزل عن داره ، وكانت تقع الى الشمال من حصن بابليون ليجعل مكانها مسجدا ، فأجابه الى طلبه وتصدق بها على المسلمين (١٩) .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يحرص على أن يأمر ولاته فى البلدان المفتـــوحة أن يتخذوا مسجدا واحدا للجماعة (٢٠) ، مع الاذن للقبائل العربية فى بناء مساجد أخرى لهم فى خططهم التى ينزلون بها ، فاذا كان يوم الجمعة انضـــموا الى الجمـــاعة لأداء الصــــــلاة فى المســـــجد الجـــامع (٢١) .

ويصف ابن عبد الحكم كيفية بناء هذا المسجد فى ذلك الفضاء المجـــاور لحصن بابليون ، والواقع الى الشرق من نهر النيل فيقول (٢٢) : وكان ما حوله حدائق وأعنابا ، فنصبوا الحبال حتى استقام لهم ، ووضعوا أيديهم فلم يزل عمرو قائمـــا حتى وضعوا القبلة ، وان عمرا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعوها واتخذوا فيه منبرا » .

أقيم المسجد الجامع على تلك المساحة من الأرض التى كانت ملكا لقيسبة بن كلثوم حيث بلغ طولها خمسين ذراعا وعرضها ثلاثين ذراعا بما يوازى نحو ثلاثمائة وخمسة وسبعين مترا بالمقياس الحديث (٢٣) ، كما غطى سقفه من الجريد والطين وحمل على ساريات من جذوع النخل ، وفرش بالحصباء (٢٤) .

وقد اشترك فى تحرير قبلته نحو ثمانين صحابيا ممن حضروا الفتح وقيل ثمانية فقط أورد أسماءهم ابن الكندى (٢٥) ، ومع ذلك جاءت القبلة منحرفة نحو الشرق أكثر مما يجب أن يكون عليه سمت القبلة حيث يتجه المسلمون بوجوههم الى بيت الله الحرام نحو مكة المكرمة (٢٦) .

ويعد هذا المسجد الجامع رابع مسجد أقيم فى الاسلام بعد مساجد المدينة (٢٧) والبصرة (٢٨) والكوفة (٢٩) ، وأول مسجد بنى فى مصر وافريقية والمغرب (٣٠) .

وقد ظل هذا الجامع الذى أطلق عليه بعد ذلك الجامع العتيق تؤدى فيه صلاة الجمعة حتى زوال الدولة الأموية ودخول القائد العباسى عبد الله بن على حيث نزل عسكره فى شمالى الفسطاط وأقاموا البناء فسمى ذلك الموضع بالعسكر وأقيمت هناك الجمعة فى مسجد العسكر، فصارت الجمعة تقام بمسجد عمرو بن العاص وبجامع العسكر كذلك (٣١) .



أولا : إهتمام الولاة بجامع عمرو بن العاص

أصبح جامع عمرو موضع اهتمام الولاة بعد انشـــــائه ، وكان أول من عرف على المؤذنين فيه أبو مسلم سالم بن عامر بن عبد المرادى ، يذكر المقريزى نقلا عن الكندى أنه كان ممن ســـــار الى مصر مع عمرو بن العاص يؤذن له حتى افتتحت مصر ، فأقام على الأذان ، وضم اليه عمرو بن العاص تسعة رجال يؤذنون هو عاشرهم (٣٢) . ويبدو أن أبا مسلم الفافقى كان احد هؤلاء المؤذنين فقد ذكر ابن عبد الحكم (٣٣) أنه كان يؤذن لعمرو ابن العاص ويقوم على تبخير المســـــجد .

وقد اقتصر الأذان فى أعقاب الفتح على جامع عمرو ، حيث كانت صلاة الناس بأسرهم ، وكان من هدى الصحابة والتابعين رضى الله عنهم المحافظة على الجماعة والتشديد على من تخلف عنها (٣٤) ، كما ذكر الكندى أن الخليفة عثمان كان أول من رزق المؤذنين ، ولمـــا كثرت المساجد التى أقامتها القبائل العربية فى خططها التى اختطتها بالفســـطاط (٣٥) ، أمر مسلمة بن مخلد الأنصارى فى امارته على مصر ببناء المنارات أو المآذن فى جميع المساجد خلا مساجد قبيلتى تجيب وخولان اليمنيتين ، فكانوا يؤذنون فى الجـــامع أولا ، فاذا فرغوا أذن كل مؤذن فى الفسطاط فى وقت واحد فكان لآذانهم دوى شديد (٣٦) .

اهتم الولاة بجامع عمرو موضع العبادات وترابط الجماعة الاسلامية بمصر ومجلس العلم والذكر بأمر عمارته والزيادة فيه وادخال التحسينات عليه ، وكانت أول زيادة قام بها هو والى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى سنة ٥٣ هـ فى عهد الخليفة معـــــاوية بن أبى سفيان ، ذكر المقريزى (٣٧) أسباب تلك الزيادة فى مســـاحة الجامع نقلا عن الكندى فقال : « ولما ضاق المسجد بأهله شكى ذلك الى مسلمة بن مخلد ، فكتب فيه الى معاوية ابن أبى سفيان ، فكتب اليه يأمره بالزيادة فيه ، فزاد فيه من الجهة الشرقية مما يلى دار الامارة ، وزاد فيه من الجهة البحـــرية » .

كما عمل مسلمة الوالى على تبييضه وزخرفته ، ويقول الكندى (٣٨) : ثم أمر مسلمة بابتناء منار المساجد كلها ، فكان أول من أقام المآذن بمصر ، أما ابن عبد الحكم فقد خص بالذكر منارة جامع عمرو وحدها التى قام مسلمة ببنائها ونقش عليها اسمه (٣٩) وقيل

أن الخليفة معاوية أمره ببناء مآذن لجميع مســـاجد مصر آنذاك ، فجعل مسلمة لجامع عمــــرو أربع مــــآذن فى أركانه (٤٠) .

وفى عهد الوالى عبد العزيز بن مروان تمت اعادة بناء المسجد الجامع من جديد بعد أن زيد فى مساحته من جميع الجوانب وذلك فى سنة ٧٧ هـ (٤١) وقيل أن الأمير عبد العزيز لما أكمل بناء المسجد ، خرج من داره المذهبة التى كان يطلق عليها المدينة لسعتها غربى المسجد الجامع (٤٢) ، وذلك عند طلوع الفجر ، فدخل المسجد ثم أمر بأخذ الأبواب على من فيه ، وقضى لكل صاحب حـــاجة بحاجته وبما كان يدعــــو الله أن يحقق له من الرغائب (٤٣) .

وفى سنة ٨٩ هـ وفى ولاية عبد الله بن عبد الملك من قبل أخيه الوليد ، تم رفع سقف المسجد حيث كان منخفضا (٤٤) ، لكنه سرعان ما تم هدم المسجد كله والعمل على اعادة بنائه مرة أخرى وذلك فى عهد الوليد بن عبد الملك وواليه على مصر قرة بن شريك ، فقد شهد عصر الوليد كثرة العمائر والانشاءات فى دمشق وسائر الأمصار حتى صـار عصره مشهورا بالبناء والعمارة فقد أمر باعادة بناء المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، وبمسجد بيت الله الحرام بمكة المكرمة ، فضلا عن عمارته الفائقة للجامع الأمـــوى بدمشق وغير ذلك من العمـــــائر الأمـــوية (٤٥) .

كانت عمارة قرة بن شريك لجامع عمرو من أهم العمارات وأحسنها ، فقد أعيـــد بناؤه من جديد وتمت زخرفته وتذهيب رءوس أعمدته ، كما قام الوالى قرة بنصب ذلك المنبر الخشبى الجديد بدلا من منبر عبد العزيز بن مروان ، وقد أحدث فيه المقصورة تقليدا لمقصورة معاوية التى تم عملها بالجامع الأموى فى دمشق ، وكان المشرف على بنائه وعمارته فى كل ذلك يحيى بن حنظلة ، مولى بن عامر بن لؤى ، ويقول الكندى : « وكانوا يجمعون الجمعة فى قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه وذلك فى شهر رمضـــــان سنة ٩٣ هـ » كما نصب هذا المنبر الجديد عام ٩٤ هـ . كما جعل قرة بن شريك للجامع محرابا غائرا فى جـــــدار القبـــــلة (٤٦) .

ولما زالت خلافة بنى أمية وآلت مصر الى حكم العباسيين ســنة ١٣٢ هـ/٧٥٠ م ، عمل القائد العباسى صالح بن على على ادخال زيادة فى مؤخرة المسجد بأربعة أساطين

أو أعمدة ، مما يدل على اهتمام بنى العباس بأمره على الرغم من قيامهم ببناء مسـجد لهم بالعسكر الى الشمال الشرقى من الفسطاط [٤٧] .

أما الزيادة الثانية التى أضيفت الى مساحة الجامع فى العصر العباسى فكانت فى ولاية موسى بن عيسى الهاشمى ، فقد استطاع أن يضيف ما تبقى من الرحبة التى كانت فى مؤخرة الجامع ، وذلك سنة ١٧٥ هـ فى عهد الخليفة العباسى هارون الرشيد [٤٨] .

وكانت أهم الاصلاحات والزيادات التى شهدها المسجد الجامع فى عصر الولاة على الاطلاق تلك التى قام بها الأمير عبد الله بن صالح والى مصر من قبل الخليفة المأمون . حيث تم اضافة قدر مساحته اليه وذلك من الجهة الغربية له ، وقد بدأ فى عمل هذه الزيادة فى جمادى الآخرة سنة ٢١٢ هـ/٨٢٧ م ثم ما لبث أن انتهت ولايته فى أواخر رجب من السنة المذكورة حيث ركب النيل متوجها الى العراق كما يقول الكندى [٤٩] . ثم عهد الى عيسى بن يزيد الجلودى فى اتمامها ، ولعل ابن عبد الحكم كان أكثر دقة حينما أوضح أن هذه العمارة التى بدأها ابن صالح الوالى العباسى قد تمت سنة ٢١٣ هـ [٥٠] .

وقد أجمع علماء الآثار على أن تلك الزيادة التى أحدثها عبد الله بن صالح فى جامع عمرو ، لم يطرأ عليها تغيير حيث أصبحت مساحته على ما هو عليها الآن [٥١] والتى بلغت ست عشرة مرة قدر المساحة التى بنى عليها عند انشائه فى ولاية عمرو بن العاص الأولى [٥٢] .

والواقع أنه لم يشهد جامع عمرو بعد تلك الزيادة الكبيره التى أدخلت عليه فى عهد الخليفة المأمون ، سوى بعض التوسعات الطفيفة فى عهد الخليفة المتوكل العباسى ، فقد ذكر الكندى أنه لما ولى القضاء الحارث بن مسكين سنة ٢٣٧ هـ من قبل المتوكل أمر ببناء رحبة الحارث ، وكانت تلك الرحبة أو الفضاء يتابع الناس فيه يوم الجمعة ، وذلك ليتسع الناس بها فى أداء صلاتهم الجامعة ، كما عمل الحارث القاضى الفقيه على تحويل سلم المؤذنين الى غربى المسجد ، وعلى تبليط زيادة بن طاهر واصلاح السقف ، كما أمر ببناء الرحبة الملاصقة لدار الضرب ليتسع الناس بها [٥٣] .

كما شهد جامع عمرو بعض التحسينات فى عهد أحمد بن طولون ، حيث يذكر كل من ياقوت وابن دقماق تلك الزيادة التى عرفت بزيادة أبى أيوب وهو احمد بن شجاع أحد عمال الخراج ، كذلك قام أبو أيوب بعمل المحراب المنسوب اليه فى الجزء الغربى من الزيادة التى تمت على يد عبد الله بن طاهر التى سبق ذكرها (٥٤) .

وتدل تلك الزيادات والتحسينات المستمرة التى تمت فى عصر الولاة على مدى اهتمام الخلفاء الأمويين والعباسيين وولاتهم بمصر بالمسجد الجامع ، أو ما أطلق عليه المقريزى بالجامع العتيق .



ثانيا : وظائف المسجد الجامع

لم تكن تلك الزيادات التى اضيفت للمسجد الجامع أو تلك التحسينات وأعمـــال الزخرفة التى قام بها الولاة فى العصرين الأموى والعباسى السابق ذكرها الا تلبية لحاجة المسلمين من الجند العرب وغيرهم ممن دخلوا فى الاسلام من المصريين ، حيث انه لم يعد موضعا لاداء الصلوات أو الصلاة الجامعة فيه فحسب ، بل سرعان ما اتسعت مهـــامه وتعددت وظائفه الأخرى ، فمن ذلك أنه أصبح مقرا لمجلس القضاء حيث جلس فيـــه القاضى للفصل بين الناس فى خصوماتهم منذ أن تم تعيين القضـــاة للأمصار فى عهـــد الخليفة الراشـــد عمر بن الخطاب (٥٥) .

كذلك جلس فيه المحتسب صاحب الوظيفة الدينية القائمـــة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حيث كان أعوانه يأتون اليه فى المسجد الجـــامع بهؤلاء المخالفين من الناس لتأديبهم أو تعذيبهم (٥٦) ، وكذلك بنى فيه بيت المال وصار المشرف عليه من بين هؤلاء المسئولين وأولى الأمر ، وصاحب الخراج ومتولى توزيع القبـــالات والأراضى المصرية على متقبليها ، هذا فضلا عن مجالس العلم والدرس والفتـــوى والقصص التى صارت تعقد به منذ طلوع الفجر حتى بعد العشاء الآخرة من كل يوم .

وهكذا كان المسجد الجامع يعج بالنشاط والحركة الدائبة من آناء الليل وأطراف النهار وأهل مصر يغدون ويروحون اليه لقضاء حاجاتهم المتزايدة وكثيرا ما كانت تتعطل هذه المجالس والغايات بسبب نشوب المنازعات والصراعات الحزبية والسياســية بين أروقته ، فلا غـــرو اذ أصبح اهتمـــام الحـــكام والمحكومين من المســـلمين فى العصر الاســـــــلامى الأول .

ومن أبرز الوظائف التى ينبغى الاشارة اليها قبل تناولنا بالدراســة لمظاهر الحركة العلمية وما كان يعقد بين أروقة جامع عمرو من حلقات الدرس والعلم ما يلى :

(أ) مجلس القضاء فى جامع عمرو بن العاص .
(ب) مقر بيت المال ومتـــولى الخـــــراج .
(جـ) مجالس القصـــــاص والمذكـــرين

(أ) مجلس القضاء فى جامع عمرو بن العــاص :

كان الخليفة عمر بن الخطاب أول من عين القضاة فى الامصار الاسلامية وكان أول قاض عينه بمصر هو عثمان بن قيس بن أبى العاص . جلس فى جامع عمرو للفصل بين الناس فى خصــومـاتهم وظل فى منصــبه الى ان قتل الخليفة عثمــان فى المدينــة ســـــنة ٣٥ هـ (٥٧) .

وتولى القضاء فى عهد معاوية بن أبى سفيان . سليم بن عتر التجيبى سنة ٤٠ هـ ، حيث جمع له الخليفة معاوية بين القضاء والقصص فى المسجد الجامع . فكان أول من سجل سجلا فى المواريث واشهد فيه شيوخ الجند،وكان سليم من الزهاد الصالحين (٥٨) .

كان القاضى يحكم فى المسائل والقضايا بما يوحيــه اليه اجتهاده ، وكان يجلس فى صدر النهار للحكم فى المسجد الجامع . كما كان العلماء والفقهاء يعقدون حلقـــات العلم والدرس فيه ، ومن المعروف أن القضاة كان يتم ترشيحهم لتولى مناصبهم من بين هؤلاء الفقهاء والأئمــة المشــــــهورين (٥٩) .

كما كان القاضى يجمع بين القضاء والاشراف على بيت المال الموجود فى المســـجد الجامع ، فقد تولى عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى القضاء سنة ٦٩ هـ ، وجمع له أمير البلاد عبد العزيز بن مروان القصص وبيت المال . وكلهــا وظائف كان على القاضى أن يباشرها داخل هذا المسجد وبين اروقته فى ذلك الوقت (٦٠) وقد بلغ رزقه فى السنة نحو ألف دينار ، يقول الكندى (٦١) : « فكان رزقه فى السنة من القضاء مائتى دينــــار وفى القصص مائتى دينار وكان عطاؤه مائتى دينار وكانت جائزته مائتى دينار وكان يأخذ ألف دينار فى السنة فلا يحول عليه الحول وعنده منها شىء يفضل على أهله واخوانه » .

ومن القضاة الذين اشتهروا بعلمهم وفقههم نذكر القاضى خير بن نعيم الحضرمى ، يقول ابن أبى حبيب عنه : « ما أدركت من قضاة مصر احدا أفقه من خير بن نعيم » وكان نعيم يقضى فى جامع عمرو بين المسلمين ، ثم يجلس على باب المسجد بعــــد العصر على المعارج فيقضى بين أهل الذمة المصريين (٦٢) .

كما كان القاضى يخرج من المسجد الجامع من أجل رؤية هلال شهر رمضان ، فقد

ورد فى ترجمة القاضى عوث بن سليمان الذى تولى القضاء فى العصر العباسى أكثر من مرة أنه أول من خرج من القضاة لرؤية الهلال وعمل الاحتفال لمقدم هذا الشهر الكريم . ومن طريف ما يروى عنه أنه بينما هو ذاهب الى المسجد اذ قابلته امرأة من الريف . فشكت اليه أمرها . فنزل عن دابته وكتب لها بحاجتها ثم ركب الى المسجد وانصرفت المرأة وهى تقول « أصابت والله أمك حين سمتك غوثا » (٦٣) .

وقد استمر خروج القضاة من المسجد الجامع للاحتفال برؤية هلال رمضان ، وكان القاضى ابن أبى الليث يتجه الى المقطم لرؤيته أحيانا . ثم ترك القضاة الخروج وقصروا الأمر على انتظارهم داخل المسجد حتى يحضر لهم الشهود . وظل الأمر على تلك الحال بمصر الى أن تم اسناد هذا الأمر الى دار الافتاء فى عصرنا الحاضر .

كما كان القضاة يخرجون من المسجد الجامع لحضـــور مجالس الولاة التى كانت تعقد به يقول الكندى (٦٦) : « وكان ولاة مصر يحضرون القضاة الى مجالسهم كما يحضر الفقهاء اليوم » . وحدث أنه لما قدم محمد بن مسروق الكندى الى مصر قاضيا من قبل الخليفة هارون الرشيد . بعث اليه عبد الله بن المسيب (١٧٦ — ١٧٧ هـ) أمير البـلاد يأمره بحضور مجلســـه فرفض ذلك بشـــدة ، يقول الكنـــدى : « فانقطع ذلك عن القضـــــــــــاة يومئـــــذ » .

وقيل انه لما شاع بين الناس أن القاضى ابن مسروق عازم على حمل ما فى بيت المال فى المسجد الجامع من أموال اليتامى والأوقاف وارسالها الى بغداد اجتمع نفر من أهل مصر فى الجامع وقام على رأسهم أحـــد القراء ودعا على ابن مسروق ، روى ابن يونس المصرى انه لما اكثر أهل المسجد فى ذم ابن مسروق القاضى وقف على باب المقصـــورة ونادى بأعلى صوته : « أين أصحاب الأكسية العسلية . أين بنو البغـــايا ، لم لا يتكلم متكلمهم حتى يرى ويسمع . فما تكلم أحد بكلمة يومئذ » وذلك مما يدل على مدى ما كان يتمتع به القاضى آنذاك من المكانة والسلطان (٦٧) .

ومن هؤلاء القضاة الذين جلسوا للفصل فى المسجد الجـــامع بين الناس اسحق ابن الفرات . كان من أكابر أصحاب مالك ، كما لقى أبا يوسف تلميذ أبى حنيفة وأخذ

عنه ، ذكر الكندى أن الامام الشافعى كان يرشحه لتولى القضاء عند الولاة فهو يقـــول عنه (٦٨) « أشرت على بعض الولاة بأن يولى اسحق بن الفرات وقلت له : انه يتخير وهو عـــــالم باختـــــــلاف ما مضى » .

كما يشير الكندى (٦٩) الى ما بلغه القاضى ابن الفرات من العلم والفقه فهو ينقل عن أحد معاصريه قوله . « ما رأيت ببلدكم أحدا يحسن العلم الا ابن الفرات » وقد ظل يعمل فى القضـــــاء حتى توفى ســـــنة ١٨٥ هـ .

ومن القضاة الذين عمت شهرتهم فى عصر العباسيين بمصر عبد الرحمن العمـــــرى (١٨٥ — ١٩٤ هـ) فهو صاحب قضية أهل الحرس بالحوف الشرقى التى كان لهـــا صداها وكان أول من قام بعمل تابوت للقضاة فى بيت المال بالمسجد الجامع ، وقد أنفق عليه أربعة دنانير ، سئل أحد معاصريه عن هذا التابوت ، فقال : « كانت تجمع فيه أموال اليتامى ، ومال من لا وارث له ، وكان مودع القضاة بمصر آنذاك » (٧٠) .

والواقع أن هذا التابوت لم يقتصر على حفظ أموال اليتامى ، بل جرى العمل من جانب القضاة على قبض المال الموصى به لتنفيذ الوصية وحفظه فى بيت مال القاضى الذى أطلق عليه يومئذ « تابوت القاضى » كذلك كان للقضاة فى قبض أموال المواريث المتنازع عليها وقبض « اللقطة » حتى تعرف وأموال الأموات حتى يحضر الوارث عدا ما كان يسلم للقضاة من الودائع والأمانات ، حيث كان يجتمع لدى القاضى الشىء العظيم من هـــذه الأموال التى كان حفظها فى هـــذا التابوت .

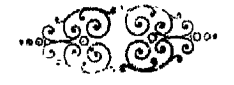
وقد استمر القضاة فى عقد مجالس حكمهم بالمسجد الجامع بالاضافة الى عملهم فى الاشراف على بيت المال وما يتصل بالحفاظ على التابوت أو ما عرف ببيت مال القاضى حينذاك ، وكان القاضى يجلس فى المسجد جلوسا ظاهرا لا يشتبه مكانه على الغـــرباء ، وذلك على الرغم من معارضة بعض الأئمة والفقهاء الذين كانوا لا يرون أن يجلس القاضى فى المسجد الجامع حتى لا ترتفع فيه الأصوات كما كان يرى الامام الشافعى الذى قدم الى مصر فى نهاية القـــرن الثـــانى الهجـــرى (٧١) .

والواقع اننا لم نسمع عن أحد من قضاة مصر فى عصر الولاة عقد مجلسا للفصل بين

الناس خارج المسجد الجامع بالفسطاط،اللهم الا اذا أكره القاضى على فعل ذلك ، مثلما حدث فى ولاية ابراهيم بن الجراح للقضاء ، (٢٠٥ ــ ٢١١ هـ) فقد ذكر الكندى أنه لما ولى امارة مصر السرى بن الحكم أمر عصيلاه فوضع فى المسجد الجامع ، واجتمع المصريون فألقوه فى الطريق ، فلم يعلق الوالى على ذلك ، فكان ان جلس ابن الجراح القاضى للحكم فى منزله هذا ولم يعد الى المسجد حتى صرف من منصبه (٧٢) .

ولما تولى القضاء هارون بن عبد الله من قبل المأمون سنة ٢١٧ هـ ، كان أول عمل قام به حين قدم الى مصر من بغداد أن توجه الى المسجد الجامع وجلس به ، ثم عمل على تغيير مجلسه فى الشتاء عنه فى الصيف داخل المسجد فمن ذلك كما يقول الكندى (٧٣) : « فجعل مجلسه فى الشتاء فى مقدم المسجد واستدبر القبلة وأسند ظهره بجدار المسجد ومنع المصلين أن يقربوا منه وباعد كتابه عنه وباعد الخصوم ، وكان أول من فعل ذلك واتخذ مجلسا للصيف فى صحن المسجد واسند ظهره للحائط الغربى » وهكذا كان يجلس طوال أيام السنة ، ولم يخرج عن المسجد للفصل بين الناس فترة توليه القضاء .

ولا شك أن وجود القضاة وعقدهم لمجالس حكمهم فى المسجد الجامع كان له اثره فى نشاط الحركة الفكرية وبخاصة ما يتصل بعلوم الفقه والتشريع لا سيما وأن هؤلاء القضاة كانوا يرشحون لتولى مناصبهم ممن لهم خبرة واسعة وعلم غزير (٧٤) ، أمثال ابن حجيرة ، وغوث بن سليمان وابن الفرات وغيرهم من الفقهاء النابهين والأئمة المجتهدين .



(ب) مقر بيت المال ومتولى الخـــراج :

كذلك كان بجامع عمرو بيت المال ومن المعروف ان عمر بن الخطـــاب كان أول من انشأ بيت المال وذلك لحفظ أموال المسلمين واثبات حقوقهم فلما فتح مصر وتم بنـــاء المسجد الجامع جعل فيه عمرو بن العاص بيت المال كما هو الحال فى البصرة والكوفـة وغـــيرها من الأمصــــــــار (٧٥) .

وقد ضاقت فى عهد الأمويين بيوت المال فى المساجد الجامعة من مال الخمس وذلك لكثرة الفتوح والأموال الاسلامية ، ومنها بطبيعة الحال بيت مال المســلمين فى مصر ، يذكر ابن عبد الحكم أن عمال الوليد ابن عبد الملك كتبوا اليه أن بيوت المال قد ضاقت من مال الخمس ، فكتب اليهم بضرورة التوسع فى بناء المســاجد وفى مساحتها حتى يتسنى التوسع بالتالى فى بيت المال والزيادة فيه من أجل الحفاظ على الأمــوال المتزايدة من الموارد المختلفة التى كان يجبيها صــاحب الخــــراج فى مصر وغيرها من الأمصـــــار الاســــــــــــــلامية (٧٦) .

ويذكر ابن دقماق أن قرة بن شريك أمر ببناء بيت المال فى علو الفوارة فى مقـدمة المسجد الجامع ، كما أوضح أيضا أن بيت المال هذا بناه أسامة بن زيد المتوفى سنة ٩٩ هـ وكان صاحب الخراج من قبل الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك (٩٦ ــ ٩٩ هـ) ولعل البناء الذى قام به صاحب الخراج كان من قبيل ادخال الزيادة فى مســـاحته حتى يمكن تحقيق الغرض من اعادة بنائه من جديد (٧٧) . ويشير الكندى الى مدى اهتمام الولاة بأمر بيت المال فى أكثر من موضع ، فمن ذلك أنه لما قدم قرة بن شريك واليا على مصر كان أول ما أشـــار اليه عبد الله بن عبد الملك العمل على تعريب الدواوين وختمها وبيت المال فى المســـجد الجـــامع بالفســـطاط (٧٨) .

ولما ورد الأمر بعزل حفص بن الوليد وتولى حوثرة بن سهيل الباهلى من قبل مروان ابن محمد ، أسرع حفص الى ختم الدواوين وبيت المال فى المسجد الجامع قبل قـــدوم الوالى الجــــديد الى الفســـطاط (٧٩) .

وهكذا حرص الحكام المسلمون على بيت المال وجعله فى المسجد الجامع ، ولكن ذلك لم يمنع من حدوث أنواع الشغب والاعتـــداء على بيت المال فى الجامع ، ففى ولاية يزيد

ابن حاتم على مصر من قبل أبى جعفر المنصور ، وحين ظهرت الدعوة العلوية لبنى الحسن ابن على فى مصر وبايع الناس عليا بن محمد بن عبد الله ، وأحكم اتباعه المؤامرة قاموا بالسطو على بيت المال فى الليل ، غير أن رجلا منهم كما يذكر الكندى : أبلغ الوالى خبرهم ، فأرسل اليهم الجند فقبضوا على نفر منهم واختفى البعض الآخر (٨٠) .

وقد أشار الكندى فى غير موضع الى وجود التابوت فى المسجد الجامع ، كما ذكر بعض الأسماء التى أسند اليها مهمة حراسته والحفاظ على ما كان يودعه القاضى فيه من أموال اليتامى والودائع وغيرها التى أشرنا اليها من قبل ، ففى خلافة أبى جعفر المنصور وواليه على مصر عبد الله بن عبد الرحمن (١٥٢ — ١٥٥ هـ) يذكر الكندى ان هذا الوالى لم يول أحدا على الشرط ولكن جعل على التابوت على بن زيدان التجيبى (من قبيلة تجيب اليمنية) ثم عزله فولاه محمد بن يعفر المعافرى (من قبيلة المعافر اليمنية) ثم عزله فولاه عمران بن سعيد الحجرى ، ثم عزله فولاه رجلا من الموالى . مما يدل على مدى اهتمام الوالى فى ذلك الوقت بأمر التابوت أو بيت مال القاضى فى المسجد الجامع (٨١) .

وعلى الرغم من ذلك الاهتمام ببيت المال فى المسجد الجامع وبأمر التابوت هذا ، فانه كان يتعرض للسرقة أحيانا ، ففى ولاية الحارث بن مسكين على القضاء سرق من بيت مال القضاة ثلاثين ألف دينار (٨٢) .

وقد وصف ابن رستة المؤرخ والرحالة الذى زار مصر فى القرن الثالث الهجرى بيت المال وموضعه فى المسجد الجامع بعد أن شاهده وقال (٨٣) : « وان بيت مال مصر فى المسجد الجامع قدام المنبر وهو منفصل من سطوح المسجد لا يتصل بشىء منها ، وهذا مرفوع بأساطين من حجارة وهى شبه قبة مرتفعة يجلس الناس تحت البيت ويمرون تحته وهناك قنطرة من خشب واذا أرادوا دخول ذلك البيت جروا تلك القناطر بالحبال حتى يستقر طرفها على سطح المسجد فاذا خرجوا ردوا القنطرة وعليها باب حديد واقفال » .

ومما لا شك فيه أن هذا الوصف الدقيق لمبنى بيت المال يدل أوضح دلالة على مدى احكام بنائه واهتمام الولاة به والحفاظ عليه داخل بيت الله وهو المسجد الجامع من أيدى العابثين .

وقد ظل بيت المال والديوان فى المسجد الجامع أو جامع عمـــرو بن العاص حتى نهاية عصر الولاة ، حيث تم نقـله الى جامع أحمد بن طولون بعـــد أن تم بنـــاؤه سـنة ٢٥٩ هـ (٨٤) .

هذا ولم يقتصر الامر على عقد مجلس القضاء أو وجود هؤلاء القائمين على أمر بيت مال المسلمين والتابوت فى جامع عمرو ، بل جلس فيه متولى خراج مصر كذلك لمباشرة عمله حينذاك ، ويصف المقريزى ذلك ومزايدات الملتزمين لخراج الدولة حيث يقول(٨٥) : « أن متولى خراج مصر كان يجلس فى جامع عمرو بن العاص من الفسطاط فى الوقت الذى تتهيأ فيه قبالة الأراضى ، وقد اجتمع الناس من القرى والمدن ، فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات ، وكتاب الخراج ومتولى الخراج ، يكتبون ما تنتهى اليه مبـــالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس . وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها لفترة أربع سنوات خشية نقصان ماء النيل أو الاستبحار وغير ذلك » .



(ج) مجالس القصاص والمذكرين :

حث الاسلام على ذكر القصص وما ورد من اخبار الأمم السابقة وما حل بهـا من الجزاء أو العقاب وذلك من أجل الموعظة والاعتبار ، وخير دليل على ذلك ما نزل به الوحى من الآيات والسور فى ذكر عاد وثمود وقوم فرعون وموسى وغيرهم وما حاق بهم (٨٦) . كما خص القرآن بالتسمية لاحدى سوره الكريمة فسماها القصص لحث الناس وتذكيرهم لما جاء فيها من الأخبار والعظات (٨٧) .

ولما فتح العرب المسلمون مصر وتم بناء جامع عمرو بن العاص ، جلس الصحابة فيه يتذاكرون ويدعون الناس الى الاسلام ، فكانوا يقرأون القرآن ويحدثون بأحاديث النبى ، وذلك تلبية لما أمر به الرسول الكريم ، فقد ورد عن أحد البدريين أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لأن أقعد فى مثل هذا المجلس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب » يعنى بذلك مجلس القصاص والمذكرين فى المسجد النبوى (٨٨) .

ونقل المقريزى عن ابن شهاب الأزهرى المحدث أن أول من قص فى المسجد النبوى تميم الدارى وذلك عندما سمح له عمر بن الخطاب فى أواخر أيام خلافته ، كما تشير الرواية أيضا الى أن عثمان أذن له بالقصص مرتين من كل أسبوع (٨٩) .

وقد نقل الكندى عن رواته أن سليم بن عتر الصحابى أول من قام بالقصص أو الوعظ للجند بالمسجد الجامع فى ولاية عمرو بن العاص ، مما يدل على أن القاضى لم يكن الا واعظا ومذكرا للجند العرب يحثهم على الجهاد فى سبيل الله واعلاء راية الاسلام منذ فجر الاسلام (٩٠) .

اما ابن دقماق فهو ينقل عن يزيد بن أبى حبيب الفقيه والمحدث المصرى الشهير أن معاوية كان أول من أمر بالقصص فى المسجد الجامع بالفسطاط وأوضح السبب فى ذلك ، حيث أشار الى أن عليا رضى الله عنه قنت فى مسجد الكوفة فدعا على قومه من أهل حربه ، فبلغ ذلك معاوية ، فأمر رجلا يقص بعد صلاة الصبح وبعد أداء صلاة المغرب أيضا يدعو له ولأهل الشام ، فكان ذلك أول القصص (٩١) .

وتشير المصادر التاريخية الى أن أول من جلس فى المسجد الجامع ليعظ الناس ويذكرهم هو سليمان بن عتر التجيبى فى سنة ٣٨ هـ . حيث ذكر الكندى وغيره من

المؤرخين أن معاوية جمع له القضاء الى القصص . ثم عزله عن القضاء وأفرد له بالقصص حينذاك (٩٢) .

ويبدو أن معاوية كان يهدف من مجالس القصص بالمساجد الى احداث بعض التأثير على نفوس العامة ، لا سيما بعد أن أصبح الخوارج وغيرهم من الفرق يعملون على استغلال القصص وهذه المجالس العامة لتحقيق أهدافهم المذهبية والسياسية (٩٣) .

وهكذا أصبحت مجالس القصص فى جامع عمرو وغيره من المساجد الجامعة لا تهدف فقط الوعظ والقصص الدينى أو ارشاد الناس وحثهم على اتباع الطرق القويمة فى تفسير أحكام الشرع (٩٤) وانما صارت موجهة من جانب الأمويين ضد الخوارج والشيعة وغيرهم من الموالى .

وازاء ذلك نهض المحدث والفقيه يزيد بن أبى حبيب حينذاك لتوجيه الناس فى المسجد الجامع الى الفقه والحديث بدلا من جلوسهم الى هؤلاء القصاص وما يتحدثون فيه من أحاديث الترغيب والترهيب والملاحم والفتن . فقد كان ذلك مجالا خصبا لاثارة الأهواء والاختلاف بين القبائل العربية فى مصر حول مساندة تلك الفرقة أو غيرها من الفرق المناوئة لحكم الأمويين (٩٥) .

ولكنه من الخطأ الواضح ما أشار اليه « آدم متز » (٩٦) من أن وظيفة القصص هذه لم تكن موجودة الا فى مصر ، وأن مجالس القصص فى المسجد الجامع انما جاءت متأثرة بطقوس الكنيسة المصرية فى صدر الاسلام . فقد أوضح ابن الجوزى صاحب كتاب القصاص والمذكرين نقلا عن ابن عون عالم البصرة انه قال (٩٧) : أدركت هذا المسجد (يعنى مسجد البصرة) وما فيه حلقة تنسب الى الفقه الا حلقة واحدة تنسب الى مسلم بن يسار وسائر المسجد قصاص .

وقد عالج عالم مصر ومفتيها الشهير الليث بن سعد وظيفة القصاص فى المسجد الجامع ومدى جواز مجالسهم من جهة الشريعة ، حيث رأى أن ـ القصص نوعان : قصص العامة وقصص الخاصة ، فأما قصص العامة فهو الذى يجتمع اليه النفر من الناس يعظهم ويذكرهم فذلك مكروه لمن فعله ، ولمن استمعه ، وأما قصص الخاصة فهو الذى جعله معاوية مؤسس الدولة الأموية (٩٨) .

وقد أراد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز فى نهاية القرن الأول الهجرى أن تكون مجالس القصص غير قاصرة على الصلاة والدعاء لخلفائهم وأقرانهم وأن تحقق الغـــرض الاسلامى منها ، يتضح ذلك من كتابه الذى أرسله الى الأمصار وجاء فيه : « فاذا أتاك كتابى هذا فمر قصاصكم فليصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم ، وليكن فيه اطنـــاب دعائهم وصلاتهم ، ثم ليصلوا على المؤمنين والمؤمنات وليستغفروا الله ولتكن مســألتهم عـــامة للمســـــلمين . . » (٩٩) .

والحقيقة أن الوعاظ أو القصاص فى عهد عمر بن عبد العزيز كانوا من العلمــــاء والفقهاء البارزين ، يدلنا على ذلك ما ذكره ابن الجوزى من أن الخليفة عمر حضر مجلس عبيد بن عمير ، ومجلس عبد الله بن عمر ، وهما من العلماء والفقهــاء المجتهدين آنذاك ، وكان عمر يحضر مجلس القصص سواء فى المدينة ، أو فى دمشـــق حاضرة الخـــلافة الامـــــــــوية (١٠٠) .

ومما ساعد على رواج مجالس القصص فى العصر الأموى فى مصر وغيرها أنها كانت تعقد فى المساجد الأخرى فى الاسكندرية ودمياط وغـــيرهما من المدن المصرية ، حيث لم تقتصر على المسجد الجامع فى الفسطاط ، فقد نقل السيوطى عن ابن يونس أن عمـــر ابن عبد العزيز أسند وظيفة القصص الى ابن كثير الأمـــوى المصرى مولى عبد العزيز ابن مروان فى ثغـــر الاســـكندرية (١٠١) .

كان القصاص والمذكورون من العلماء والفقهاء البارزين ، وخـــير دليل على ذلك ما أوضحته المصادر منذ عهد الأمير عبد العزيز بن مروان وكتـــابته للمصحف الشريف حيث أسندت وظيفة القصص لهؤلاء القضاة من أمثـــال عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى أحد العلماء والزهاد الصالحين ، فقد جمع له القصص والقضاء ســـنة ٦٩ هـ فضـــلا عن قـــــراءته للقـــــرآن (١٠٢) .

وقد ذكر الكندى أنه لما أسند له وظيفة القصص بالمسجد الجامع فى الفسطاط وعلم أبوه بالشام بذلك قال : الحمد لله ذكر ابنى وذكر ، فلما ولاه الأمير عبد العزيز القضاء وأخبر أبوه بذلك قال : هلك ابنى وأهلك . وهذا يدل على أن القاص كان أسـمى منزلة

وأعلى مقاما من الناحية الدينية عن تولى القضاء ، فهو كما قال أحد العلماء المصريين عنه أنه من تولاه فقد ذبح بغير سكين (١٠٣) .

وقد أمدنا كل من ابن دقماق والمقريزى بأسماء هؤلاء القصاص والمذكرين الذين كانوا من الفقهاء والأئمة المجتهدين بمصر فى العصر الأموى وأيام العباسيين ، نذكر منهم أبا الخير مرثد بن عبد الله اليزنى ، وكان من جلة الفقهاء بالفسطاط ، وكان يبدأ درسه وتذكيره بقراءة القرآن ، وعقبة بن مسلم التجيبى (ت ١٢٠ هـ) وتوبة بن نمير الحضرمى الذى أسندت له وظيفة القصص فى جامع عمرو فى سنة ١١٨ هـ ، ومما يذكر أن القاص والقاضى توبة كان أول من قرأ فى المصحف الذى تم نسخه وكتابته فى عهد عبد العزيز ابن مروان وجعله فى المسجد الجامع وأجرى له من يقرأ فيه ثلاثة دنانير فى كل شهر (١٠٤) .

كما يذكر الكندى أن خير بن نعيم الحضرمى الذى جمع له القضاء والقصص ، فكان يقرأ فى المصحف قائما ، ثم يقص وهو جالس فهو أول من قرأ فى المصحف قائما ، ولم تزل الأئمة يقرأون فى المسجد الجامع فى هذا المصحف فى كل يوم جمعة حتى أواخر القرن الثانى الهجرى (١٠٥) .

ومن الجدير بالذكر أن القاضى كان هو المشرف على المسجد الجامع (١٠٦) ، كما كان هو القارىء للقرآن ومتولى مجلس القصص به فى نفس الوقت .

ولما وفد على مصر منصور بن عمار قادما من البصرة جلس يقص على الناس ، حيث اتخذ مكانه فى المسجد الجامع ، وأنشأ يعظ الناس ويقص عليهم من أنواع القصص ما استهوى نفوسهم ، يقول البغدادى : « واستأثر بمكان الاعجاب حتى أبكاهم (١٠٧) ، فقد كان من أحسن الناس كلاما فى الموعظة ومن حكماء المشايخ » (١٠٨) .

وكان ممن حضر مجلسه الليث بن سعد مفتى مصر وعالمها الشهير آنذاك ، حيث سمع كلامه وموعظته فاستحسن قصصه كما أعجب بفصاحته ، حيث كان فى قصصه وكلامه شىء عجيب لم يقص على الناس مثله ، وقد دفع له الليث بن سعد ألف دينار (١٠٩) .

وكان ممن تولى القصص بالمسجد الجامع فى تلك الفترة أبو رجب العلاء بن عاصم الخولانى سنة ١٨٢ هـ ، فكان فى بداية مجلسه يقرأ فى مصحف عبد العزيز بن مروان

المنسوب اليه كتابته،وذلك يوم الاثنين ، وكان يقرأ القصاص فيه يوم الجمعة قبله [١١٠] .

وقد شجع المطلب بن عبد الله الخزاعى أمير البلاد من قبل الخليفة المأمون القصص والقصاص، فجعل للقاص ابن عاصم الخولانى رزقا قدره عشرة دنانير على القصص [١١١] .

وكان القاص ابن عاصم ممن عاصر قدوم الامام الشافعى الى مصر فى أواخر القرن الثانى الهجرى ، فكان يصلى خلفه ويستحسن صلاته ، يقول ابن دقماق [١١٢] ، وصلى خلفه محمد بن ادريس الشافعى حين قدم مصر فقال وهكذا تكون الصلاة ، ما صليت خلف أحد أتم صلاة من أبى رجب ولا أحسن من ذلك .

كما يذكر الكندى من القصاص والمذكرين الذين اتخذوا لهم مجلسا للقصص بالمسجد الجامع القاص والقارىء ابراهيم بن اسحاق ، فكان آخر من جمع له القضاء والقصص سنة ٢٠٤ هـ [١١٣] . وهكذا كان هذا القاضى وغيره من الفقهاء العاملين فى مجالس القصص والقضاء على حد سواء فى عصر الولاة .

وقد أفرد ابن الجوزى من طائفة القصاص للعالم الزاهد آنذاك ذى النون الاخميمى المصرى فلم يذكر أحدا سواه بمصر فى وقته [١١٤] ، وكان من هؤلاء الراغبين فى الوعظ الذين يعملون على تثقيف عامة الناس وبث روح الزهد فى نفوسهم ، فقد ورد من أقواله فى مجالس قصصه بالمسجد الجامع ومن مأثوراته التى تحث الناس على الزهد وطلب العلم وصفاء القلب مع الله والخوف منه . ولا شك أن روح التصوف التى غلبت عليه كان لها أثرها الواضح فى مجالس القصص والذكر حينذاك .

ومن هؤلاء القصاص يذكر المقريزى [١١٥] : حسن بن الربيع بن سليمان فقد تولى القصص من قبل أمير البلاد عنبسة بن اسحق فى سنة ٢٤٠ هـ ، ومما يروى عنه أنه لما جلس للقصص بالمسجد الجامع أمر أن تترك قراءة البسملة فى بداية الصلاة فتركها الناس ، كما أمر أن تصلى التراويح خمسة تراويح وكانت تصلى قبل ذلك ستا فقط ، وزاد فى قراءة المصحف بالمسجد يوما ، فصار يقرأ أيام الاثنين والخميس والجمعة من كل أسبوع .

وهكذا كان اهتمام القصاص بقراءة القرآن فى مجالسهم ، ورواية الأحاديث الشريفة ، والتذكير بأيام الله وما وقع فيها لموعظة الناس ، مما أدى الى نشر الثقافة الاسلامية بطبيعة الحال وازدياد النشاط فى حلقات العلم والدرس فى جامع عمرو قلب الفسطاط الفكرى وموئل العلم والعلماء فى عصر الولاة .

هوامش الفصـــــل الأول

(١) نشأ عمرو بن العاص فى بطن من بطون قريش الشهيرة وهم بنو سهم ، فأبوه العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ، كان من ذوى اليســـــار وكان يتجر بين الشام واليمن ، وكان عمرو يفاخر بأبيه حتى أنه يفخر به على الخلفاء بعد الاسلام كعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان ، اذ يقول ابن عبد الحكم : « قبح الله يوما صرت فيه لعمر ابن الخطاب واليا فقد رأيت العاص بن وائل يلبس الديباج المزرد بالذهب وان الخطاب ابن نفيل ليحمل الحطب على حمار بمكة » ويقول الطبرى فى رواية أخرى أنه لما أرســـل اليه عمر بن الخطاب من يحاسبه أو يقاسمه ماله فى مصر غضب وقال للرسول : « قبح الله زمانا عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل ، والله انى لأعرف الخطاب يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب وعلى ابنه مثلها وما منهما الا فى نمرة لا تبلغ رسغيه .. الخ » . ولما عزله عثمان عن ولاية مصر دعاه فأنبه وقال له : استعملتك على ظلمك وكثرة القالة فيك ، فقال عمرو : كنت عاملا لعمر بن الخطاب ففارقنى وهو عنى راض ، واحتـــــدم الغضب منهما ، فهم عمرو بالخروج غاضبا وهو يقول : « قد رأيت العاص بن وائل ورأيت أباك فوالله للعاص كان أشرف من عثمان ، فما زاد عثمان على أن قال : ما لنا ولذكـــر الجاهلية » ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧ ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٩٩ ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٣ ، ص ٣١ — ٣٢ ، العقاد : عمــــرو بن العاص ، ص ٣ — ٥ .

(٢) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ٧٦ .

(٣) الولاة والقضــــــــــاة ، ص ٧ .

(٤) ابن جرير الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٣ ، ص ٢٩ — ٣١ .

(٥) بعثه الرسول الى أرض بنى عذرة على أطراف الشام ، وسميت تلك الغـزوة ذات السلاسل نسبة الى ماء بأرض جذام يقال له السلسل أو السلاسل . ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ٤ ، ص ١٩٩ ، ابن جرير الطبرى : المصـــــدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٣١ — ٣٢ .

(٦) ابن هشام : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ١٨٨ ، الطبرى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٩ .

(٧) الواقدى : فتوح الشام ، جـ ١ ، ص ١٥ ، ١٧ ، ص ٤٠ ، الطبـــرى : تاريخ الأمم والملـــوك ، جـ ٣ ، ص ٤١٧ — ٤١٨ .

(٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٨٠ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٠٦ .

(٩) نفس المصدر ، ص ٨١ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٤٠ .

(١٠) ابن عبد الحكم : فتح مصر والمغرب ، ص ٢٤١ — ٢٤٢ .

(١١) نفس المصدر السابق ، ص ١٠٦ — ١٠٧ ، الســـيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٠٦ — ١٠٧ .

(١٢) المصـــدر الســـابق ، ص ١٣ ، المقريزى : المصدر الســـابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ — ٣٠٣ .

(١٣) الواقدى : فتوح الشام ، جـ ٢ ، ص ٨٦ — ٨٧ ، ٨٩ — ٩٠ ، بتلر : فتـح العرب لمصر ، ص ٣٠٣ — ٣٠٨ .

(١٤) أقام الامبراطور تراجان هذا الحصن على شاطىء النيل على بعد عشرة أميال شمال أطلال مدينة ممفيس عاصمة مصر الفرعونية ، لينبول : سيرة القاهرة ، ص ٥٤ .

(١٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١١٩ .

(١٦) نفس المصدر ، ص ١٣٢ .

Lane -- Poole : A History of Egypt, p. 8.

(١٧) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٢١٧ .

(١٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٣ .

(١٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٦٥ .

(٢٠) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٠٧ .

(٢١) ذكر ابن عبد الحكم : أن قبيلة مهرة اليمنية كانت لها منازل جنوب خطة أهل الراية مما يلى منازل ابن سعد بن أبى سرح ، فكانوا اذا أتوا الجمعة ربطوا خيولهم ، ثم نقلهم عمرو بن العاص بعد ذلك وضمهم اليه ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٤ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٢٣) لينبول : سيرة القاهرة ، ص ٥٦ .

(٢٤) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، عصر الولاه ، ص ٣٦٣ ،
Creswenl : Ashort Account of Early Muslim Architecture p. 8.

(٢٥) قال يزيد بن أبى حبيب المحدث والفقيه المصرى أنه وقف على اقامة قبلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم الزبير ابن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد ، وعقبة بن عامر وأبو ذر ، ورافع بن مالك وربيعة بن شرحبيل بن حسنة وسعد بن أبى وقاص وآخرون . فضائل مصر ، ص ٣٧ — ٣٨ .

(٢٦) وفى رواية أخرى أوردها المقريزى نقلا عن : عبد الله بن أبى جعفر أن الذين عملوا على تأسيس المسجد الجامع أربعة من الصحابة هم أبو ذر وأبو بصرة ومحئة بن جزء الزبيدى ومنبه بن صواب . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٠٨ .

(٢٧) شرع الرسول فى انشاء مسجده فى المدينة لبضعة أشهر من هجرته عليه الصلاة والسلام اليها ، ولم يستغرق انشاؤه وقتا طويلا ، فتم فى نحو شهرين فى العام الأول للهجرة / ٦٢٢ م . ابن هشام : السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ .

(٢٨) اختط مسجد البصرة عقبةُ بن غزوان سنة ١٤ هـ / ٦٣٥ م ، وكان مجرد مساحة مسقفة بالقصب يقوم سقفها على عمد من جذوع النخل والخشب . الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٢ ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ١٤ هـ .

(٢٩) اختطه سعد بن أبى وقاص قائد الجيش الاسلامى بعد واقعة القادسية وهزيمة الفرس سنة ١٥ هـ / ٦٣٦ م ، وقيل سنة ١٧ هـ / ٦٣٨ م ، وكان فى أول الأمر ، أيضا مسجدا من قصب ، وقد احاط به سور من قصب ، أعاد بناءه باللبن زياد بن أبيه عامل الكوفة من قبل معاوية ابن أبى سفيان سنة ٥١ هـ / ٦٧٠ م .

(٣٠) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٠٤ .

(٣١) نفس المصدر ، ص ١٠٥ ،
Creswenl : Ashort Account of Early Muslim Architecture p. 8.

(٣٢) الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥١ .

(٣٣) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٤ .

(٣٤) كان الخليفة عمر بن الخطاب يحث المسلمين على الصلاة فى المساجد وبخاصة المساجد الجامعة التى تم انشاؤها فى الأمصار ، روى الحافظ ابن عساكر من حديث

معاوية بن قرة عن عمر انه قال : من صلى صلاة مكتوبة فى مسجد مصر من الأمصار كانت له كحجة متقبلة ، فان صلى تطوعا كانت له كعمرة مبرورة . المقريزى : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٠٧ .

(٣٥) أفرد ابن عبد الحكم لذكر هذه الخطط حول جامع عمرو من قريش والأنصار وأسلم وعقار وجهينة ، ومن كان فى الراية ممن لم يكن لعشيرته فى الفتح عدد يذكر فى جيش عمرو الفاتح ، كما اختطت مهرة ولخم والأزد وغافق والصدف وحضرموت وبطن من يحصب ، واختطت كذلك حمير قبلى شرقى الكلاع وكان لكل قبيلة منها مسجد خاص بها فى خطتها . فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤١ ، ١٦٣ — ١٧٥ .

(٣٦) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٥١ .

(٣٧) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٠ ، ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٦٣ .

(٣٨) الولاة ، ص ٣٨ .

(٣٩) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٨ .

(٤٠) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، عصر الولاة ، ص ٣٦٥ .

(٤١) الكندى : الولاة ، ص ٥١ .

(٤٢) أمر الوالى عبد العزيز بن مروان ببناء دار امارته هذه بالفسطاط سنة ٦٧ هـ، أى بعد توليه حكم البلاد بعامين . نفس المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٤٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١١١ .

(٤٤) ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٦٣ ،
Grohmann : Arabic Papyrian Vol, I, pp. 22 -- 24.

(٤٥) عبد المنعم ماجد : تاريخ الدولة العربية ، جـ ٢ ، ص ١٩٠ — ١٩١ .

(٤٦) الولاة ، ص ٦٥ ، ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٦٣ ، فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية — عصر الولاة ، ص ٣٦٥ .

(٤٧) الكندى : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(٤٨) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٩ ، ابن دقماق : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٦٥ .

(٤٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٧١٤ .

(٥٠) محمود أحمد : جامع عمرو بن العاص ، ص ١٤ .

(٥١) فريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الاسلامية (عصر الولاة) ، ص ٣٦٦ — ٣٦٧ .

(٥٢) كمال الدين سامح : العمارة الاسلامية فى مصر ، ص ١٥ ، لينبول : سيرة القاهرة ، ص ٥٨ .

(٥٣) ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٦٦ .

(٥٤) معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٢٦٥ ، الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٦٧ .

(٥٥) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٤٩٨ .

(٥٦) كان عمل القاضى مبنيا على التحقيق والأناة فى الحكم وعمل المحتسب مبنى على الشدة والسرعة فى الفصل . وكان عمر بن الخطاب اول من وضع نظام الحسبة ، وكان يقوم بعمل المحتسب. الماوردى:الأحكام السلطانية ، ص ٢٠٧،٢٠٩ ، ابن الأخوة: معالم القربة فى أحكام الحسبة ، ص ١٤ — ١٥ .

(٥٧) الكندى : القضاة ، ص ٣٠٠ ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى ، جـ ١ ، ص ٤٩٨ .

(٥٨) الكندى : المصدر السابق ، ص ٣٠٣ ، ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٤٢ .

(٥٩) Lane -- Poole : A History of Egypt in the Middle Ages, p. 39.

(٦٠) الكندى : القضاة ، ص ٣١٤ .

(٦١) نفس المصدر ، ص ٣١٧ .

(٦٢) نفس المصدر ، ص ٣٤٨ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .

(٦٣) ابن عرنوس : تاريخ القضاء فى الاسلام ، ص ١١٥

(٦٤) الكندى . المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

(٦٥) ابن عرنوس : تاريخ القضاء فى الاسلام ، ص ١١٤ — ١١٥ .

(٦٦) القضاة ، ص ٣٨٨

(٦٧) نفس المصدر ، ص ٣٩٠ .

(٦٨) القضاة ، ص ٣٩٣ .

(٦٩) نفس المصدر ، والصفحة .

(٧٠) وقد أشار ابن عبد الحكم الى لفظ التابوت واستخدامه فى عهد الخليفة عمر ابن الخطاب لحفظ الوثائق والعهود عندما قال : كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين أحد بما عاهده . فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٠ ، الكندى : المصدر السابق ، ص ٤٠٥ .

(٧١) ابن عرنوس : تاريخ القضاء فى الاسلام ، ص ١١٨ ،

Lane -- Poole : A History of Egypt in the Middle ages, p. 31.

(٧٢) القضاة ، ص ...

(٧٣) نفس المصدر ، ص ٤٤٣ — ٤٤٤ .

(٧٤) Lane -- Poole : A History of Egypt in the Middle ages, p. 39.

(٧٥) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٤٧٢ .

(٧٦) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٩ .

(٧٧) الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٦٤ .

(٧٨) الكندى الولاة ، ص .

(٧٩) نفس المصدر ، والصفحة .

(٨٠) نفس المصدر ، ص ١١٢ .

(٨١) الولاة ، ص ١١٧ .

(٨٢) نفس المصدر ، ص ٤٧٠ .

(٨٣) الاعلاق النفيسة ، ص ١١٦ .

(٨٤) الكندى : الولاة ، ص ١٦٢ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ١٥٠ — ١٥١ .

(٨٥) الخطط ، جـ ١ ، ص ١٥٠ .

(٨٦) يقول الله تعالى فى سورة الأعراف (آية ١٧٦) : ((**فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**)) كما ورد فى سورة يوسف (آية ٢٣) قوله تعالى : ((**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين**)) ، قال ابن كثير : أى نذكر لك الأمر على ما كان عليه كأنك تشاهد وكأنك حاضر كما قال الله تعالى .

(٨٧) نزلت سورة القصص فى مكة المكرمة الا من الآية ٥٢ الى ٥٥ فنزلت بالمدينة

المنورة ، كما نزلت الآية ٨٥ بالجحفة اثناء هجرة النبى صلى الله عليه وسلم . وعـــدد آياتها ٨٨ آية ، وقد ورد بها ذكر قوم موسى وفرعون مصر ، وقصة قارون ، وما كان لديه من الكنوز والأموال الطائلة وما كان من سوء عاقبته وهلاكه هو وفرعون .

ابن كثير : تفسير القرآن الكريم ، جـ ٣ ، ص ٣٧٩ ــ ٣٨٨ .

(٨٨) عبد الحى الكنانى : نظام الحكومة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٣٣٥ ــ ٣٣٦ .

(٨٩) الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

(٩٠) الـــولاة والقضــــاة ، ص ٣٠٤ .

(٩١) الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، جـ ٤ ، ص ٧٣ .

(٩٢) الولاة والقضاة ، ص ٣٠٤ ، الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢١ .

(٩٣) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٩٤) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٠ .

(٩٥) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .

(٩٦) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ ٢ ، ص ٨٨ .

(٩٧) القصــــاص والمذكـــرين ، ص ١٦ .

(٩٨) ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٧٢ ، المقريزى : الخطط ، جـ٣ ص ١٢١ .

(٩٩) عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٧٦ ، محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ١٩٩ .

(١٠٠) تلبيس ابليس ، ص ١٧٢ .

(١٠١) حسن المحاضرة : جـ ١ ، ص ٢٦٥ .

(١٠٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣١٤ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢٢ .

(١٠٣) الكندى : المصـــدر الســـابق ، ص ٣١٥ .

(١٠٤) الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٧٣ ، الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٥١ .

(١٠٥) القضـــاة ، ص ٣٤٨ ، ابن دقمـاق : الانتصار ، ص ٧٣ ، المقـــريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢٢ .

(١٠٦) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ .

(١٠٧) تاريخ بغـــــداد ، جـ ١٣ ، ص ٧١ .

(١٠٨) السلمى : طبقات الصـــوفية ، ص ٣١ .

(١٠٩) البغـــدادى : المصـــدر الســـابق ، ص ٧٢ .

(١١٠) المقـــريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢٢ .

(١١١) الانتصـــــار ، جـ ٤ ، ص ٧٣ .

(١١٢) نفس المصـــدر والصـــفحة .

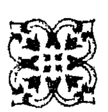
(١١٣) القصـــاص والمذكـــرين ، ص ٧٢ .

(١١٤) روى أحد تلاميذ ذى النون أنه كان يقول : ما خلع الله على عبد من خلعـــة احسن من العقل ، ولا قلده قلادة أجمل من العلم ، ولا زينه بزينة افضل من الحـــلم ، وكمال ذلك كله التقوى . ابن الجوزى : القصاص والمذكرين ، ص ٧٢ .

(١١٥) الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢٢ — ١٢٣ .

الفصل الثانى

جامع عمرو مركز الحركة العلمية فى مصر



أولا : حلقات حفاظ الحديث فى جامع عمرو .

ثانيا : حلق الفقه فى المسـجد الجامع .

ثالثا : حلق القـراءات فى المسـجد الجـامع .



أولا : حلقات حفاظ الحديث فى جامع عمرو

حرص الصحابة على العلم والتعلم من الرسول صلى الله عليه وسلم على الرغم من كبر سن بعضهم (١) ، وعلى التناوب فى حضور مجلس النبى فى المسجد حتى لا يفـــوت أحدهم من حديث الرسول شيء (٢) ، حيث كانت عنـــايتهم بالحفظ وضبط ما كانوا يسمعون ، حتى انهم كانوا يتزاورون لمذاكرة ما فاتهم (٣) .

ومن الجدير بالذكر أن العلم كلفظ اصبح مرادفا للحديث فى تلك الفترة من عهـد النبى والخلفاء الراشدين ، فحرص الصحابة على العـــلم كان يعنى الحرص على حفظ الحديث وروايتـــه فيمـــا بينهم (٤) .

بدأت رواية الحديث فى جامع عمرو فى أعقاب تشييده سنة ٢١ هـ على يد هـــؤلاء الصحابة الذين شاركوا فى جيش عمرو ، ولم يكن مضى على مفارقتهم الرســول الا زمن يسير ، وذلك بعد أن سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام وشاهدوا عمله بينهم ، ومن ثم بدأوا يحدثون بما رأوا وما سمعوا لغيرهم من النازحين الى مصر والتابعين (٥) .

وقد كان عبد الله بن عمرو من أوائل الصحابة المحدثين فى هذا المســـجد الجامع بالفسطاط ، ولا غرو فهو من أكثر الناس حفظا لحديث النبى (٦) ، ومن ذوى الثقـــافة الواسعة (٧) ، والزاهدين فى أمر الدنيا حينذاك (٨) .

كما ذاعت شهرة عبد الله بن عمرو يومئذ برخصة الرسول بالكتابة عنه فى صحيفته التى اسماها ((**الصادقة**)) والتى نقلها معه الى مصر (٩) ، فكان حديثه أو ما يحدث به فى أغلب الظن منها ، ولعل ذلك جعل أهل مصر كما يذكر المقــريزى يتبعون فى الأكثـــــر فتـــــــــاويه (١٠) .

اشتملت صحيفة عبد الله بن عمرو على الف حديث ، كان يحدث منها فى حلقته التى ربما كانت الأولى فى جامع عمرو ، فقد ضمت العديد من مشاهير التابعين الذين أخـذوا عنه ، نذكر منهم أبا عشامة المعافرى وسالم بن أبى سالم ، وسويد بن قيس التجيبى ، وعبد الله بن منين اليحصبى ، وعمرو بن الوليد ، ومحمد بن هدية الصدفى ، وهشـــام

ابن أبى رقية المصرى ، والهيثم بن شفى الرعينى المصرى ، ويزيد بن رباح ، وأبا عبيد ابن عقبة نافع الفهرى (١١) .

ومن تلاميذ عبد الله بن عمرو من طلاب العلم عابس بن سعيد المرادى ، فقد جلس الى عبد الله والى عقبة بن عامر الجهنى حتى استفرغ علمهما كما يذكر الكندى ، حتى ولاه عبد العزيز بن مروان على القضاء والشرط فى فسطاط مصر (١٢) .

وهكذا التف حول عبد الله بن عمرو العديد من طلاب العلم والحديث حتى أصبح يعد بحق مؤسس المدرسة المصرية ، فقد أخذ عنه كثير من أهل مصر ، وكانوا يكتبون عنه ما يحدث ، نقل المقريزى (١٣) عن حيوة بن شريح أنه قال : دخلت على حسين بن شفى ابن مانع الأصبحى وهو يقول : فعل الله بفلان . فقلت : ما له ؟ فقال : عمد الى كتابين شفى سمعهما من عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أحدهما : قضى رسول الله فى كذا ، وقال رسول الله كذا ، والآخر ما يكون من الأحداث الى يوم القيامة ، فأخذهما فرمى بهما بين الخولة والرباب (١٤) .

وقد ظل عبد الله بن عمرو راويا للحديث فى حلقته حتى وفاته سنة ٦٥ هـ .

ومن حفاظ الحديث الذين وفدوا على مصر الصحابى جابر بن عبد الله (١٥) قدم الى الفسطاط فى ولاية مسلمة بن مخلد (٤٤ — ٦٢ هـ) وقيل ان سبب قدومه كان لمعرفة صحة حديث له فى « القصاص » وذلك من عبد الله بن أنيس الجهنى وكان عداده فى الأنصار الذين أقاموا بالفسطاط (١٦) .

أخذ عنه أهل مصر الحديث ، ولا شك أنه أصبح صاحب حلقة بالمسجد الجامع يؤخذ عنه العلم او الحديث وذلك على غرار ما كان عليه ، فقد كانت له حلقة فى المسجد النبوى بالمدينة المنورة (١٧) .

ونذكر من رواة الحديث أيضا أبا بصرة الغفارى الصحابى اختط بالفسطاط ، ونقل عنه ابن عبد الحكم (١٨) عددا من الأحاديث ، منها أنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله قد زادكم صلاة فصلوها فيما بين العشاء الى الصبح » .

ويذكر السيوطى نقلا عن ابن الربيع الجيزى أن الصحابى عقبة بن كريم الأنصارى كان ممن دخل مصر من الصحابة ولأهل مصر عنه نحو مائة حديث ، وكانت وفاته

بالفسطاط سنة ٥٨ هـ . كما يذكر أيضا من الصحابة الذين شهدوا فتح مصر الصحابى الشهير ابا أيوب الأنصارى فهو ينقل عن ابن الربيع أن لأهل مصر عنه نحو عشرين حديثا (١٩) .

اهتم الولاة فى العصر الأموى بما يجرى فى جامع عمرو من حفظ الحديث وروايته ، كما شجع هؤلاء حفاظ الحديث وغيرهم من طلاب العلم (٢٠) ، ولا غرو فأمراء الأمصار أو الولاة هم الخطباء فى نفس الوقت والأئمة والمحدثون الذين اسندت اليهم الخلافة ولاية الصلاة والحرب فى هذه الأمصار (٢١) .

وقد ظل الولاة بمصر ينوبون عن الخليفة فى امامة المسلمين فى صلاتهم فضلا عن قيامهم بالخطبة فى المسجد الجامع حتى ولاية عنبسة بن اسحق آخر وال من العنصر العربى (٢٢) — من قبل الخليفة العباسى المنتصر على صلاتها سنة ٢٣٨ هـ .

كما بذل الولاة عنايتهم بهذا المسجد الجامع لما أصبح عليه من الأهمية والمكانة فى النفوس (٢٣) ، فبين أروقته صار يقرأ القرآن ، ويروى الحديث ويجلس القاضى والفقيه ، فضلا عن اقامة الصلوات فيه .

وقد سارع أهل مصر الى حفظ الحديث والانتفاع به حتى يساعدهم على فهم النصوص القرآنية وذلك بغية الاستفادة منها فى استنباط الأحكام الشرعية ، وعلى نحو يعينهم على تدبير شئون الحياة التى وجدوها فى مصر والتشريع لها ، وهكذا أصبح عليهم أن يجمعوا الأحاديث ويحفظوها ، كما أصبح كل حديث من أحاديث الرسول كنزا لا يقدر بثمن كما يقول أحد المستشرقين (٢٤) .

ونظرا لتلك الأهمية فقد ازدادت الحاجة الى تدوين الحديث أو تقييد العلم كما كان يقال حينذاك ، وقد شجع على ذلك الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز مخافة دروس العلم وذهاب العلماء (٢٥) ، حيث ورد فى الموطأ لمالك أنه كتب الى أهل الأمصار يقول : أنظروا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه « كما ورد فى سيرته انه بعث الى أمراء الأجناد يحثهم على نشر العلم والاهتمام بشرائع الاسلام وتشجيع المحدثين والفقهاء على نشر علمهم ، فقد جاء فى كتابه الى أمير مصر يومئذ (٢٦) ، ثم مر اهل العلم والفقه من جندك فلينشروا ما علمهم الله من ذلك ، وليحدثوا فى مساجدهم » .

كان أول من قام بتدوين الحديث محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى فى المدينة (٢٧)، فقد امتاز باقباله على تدوين الحديث والأخبار التى يجمعها على غير المألوف فى ذلك الوقت (٢٨) .

ويبدو أن ابن شهاب قام بتدوين كثير من الحديث والأخبار بأمر من الخليفة عمر ابن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، فقد حث الخليفة عمر بن عبد العزيز على الرحلة اليه والأخذ عنه ، وذلك كما ورد فى كتابه :

« وعليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه » ، وكانت الأحاديث والأخبار التى جمعها الزهرى اساسا للمؤلفات والمخطوطات التى كتبها تلاميذه مثل محمد بن اسحق المتوفى سنة ١٥١ هـ وغيره .

ومن ابرز الشخصيات العلمية التى ظهرت بمصر فى العصر الأموى يزيد بن حبيب مولى الأزد (٣٠) كان رجلا واسع المعرفة وأحد رواد تدوين الحديث فى مصر ، له حلقة فى جامع عمرو حث تلاميذه فيها الى وجوب دراسة الأحاديث وامعان النظر فى معرفة رواتها والتحرى من صدقهم ، حيث كان قد شاع أمر وضاع الحديث فى ذلك الوقت على ألسنة القصاص وأصحاب الأهواء فى فضائل الأمويين وخلافتهم .

كان يزيد بن حبيب (٥٣ — ١٢٨ هـ) ثقة كثير الحديث ، كما كان أحد المفتين بالفسطاط ، فقد اسند اليه عمر بن عبد العزيز الفتيا بمصر مع جعفر بن ربيعة وعبد الله ابن أبى جعفر ، وكان يزيد من الموالى فأبوه من سبى دنقلة ، كما يذكر الكندى (٣١) ، وعبد الله بن أبى جعفر أيضا ، أما جعفر بن ربيعة فكان من العرب (٣٢) .

ومن أشهر تلاميذ يزيد بمصر جامع الحديث عبد الله بن لهيعة المكنى بأبى خريطة (٣٣) ، اشتهر بجمعه للحديث وتدوينه ، كما ذاع صيته بالفسطاط ، وتعد صحائفه التى خلفها فى الحديث من أقدم صحائف الحديث التى تم العثور عليها حتى الآن (٣٤) .

ويذكر أبو المحاسن المؤرخ ان ابن لهيعة كان عالم الديار المصرية وقاضيها ومحدثها ، ولا شك أن حلقته أو زاويته فى جامع عمرو كانت من اهم الزوايا التى عقدت به ، وقد

روى ابن عبد الحكم من حديث ابن لهيعة الموصول بسنده الى عبد الله بن سـعد انه قال (٣٥) : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعشرة من أصحابه معه أبو بكر وعمـر وعثمان وعلى والزبير وغيرهم على جبل اذ تحرك بهم الجبل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسكن حراء ، فانه ليس عليك الا نبى أو صديق أو شهيد . . » .

وهكذا كان ابن لهيعة يروى الأحاديث لطلاب حلقتـه بالمسجد الجامع حتى توفى سـنة ١٧٤ هـ (٣٦) .

ومن علماء الحديث فى مصر فى العصر العباسى عبد الله بن وهب ، سمع من حفـاظ كثيرين ، حيث يروى عنه أنه قال : سمعت من ثلاثمائة وسبعين شيخا فما رأيت أحفظ من عمرو بن الحارث ، وكان يحفظ كل يوم ثلاثة أحاديث ، فـكان احفظ أهل زمانه ، فقد روى عمرو عن أبيه وعن محمد بن مسلم الزهرى بالمدينة ، وكان من أشهر تلاميذه عبد الله بن وهب وبكير بن الأشج وقتادة وغيرهم .

كان عبد الله من حفاظ الحديث ورواته المشاهير بمصر نقل السيوطى عن أحمـد ابن صالح أنه قال : ما رأيت أكثر حديثا منه ، حدث بمائة ألف حديث ، ولا غرابة فى ذلك فهو تلميذ ابن الحارث المذكور وابن لهيعة ، وعنه اخذ أكثر مادة كتابه الشـهير « الجامع فى الحديث » الذى يعد من أقدم المخطوطات البردية التى عثر عليها بمدينـة ادفـو بصـعيد مصـر (٣٧) .

كما روى فى مناسبة وفاته ، أنه قرىء عليه كتابه فى أهوال القيامة ، فخر مغشيا عليه ، فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام وذلك فى شعبان سنة ١٩٧ هـ (٣٨) .

ومن هؤلاء المحدثين الفقهاء المشهورين الليث بن سعد ، أقبل على جمـع الحديث وتدوينه فى أبواب مفصلة ، وكان لليث أربعة مجالس بجامع عمرو كل يوم ، منها مجلس لأصحاب الحديث ، وكان من تلاميذه ابنه شعيب وعبد الله بن المبارك وآخرون (٣٩) .

ومن تلاميذ الليث ، نذكر بلال بن يحيى الأسوانى (٤٠) ، وضـمام بن اسماعيل المصرى ، وقد اشتهرا فى ذلك الوقت برواية الحديث حتى صـارا من مشاهير التابعين والمحـدثين (٤١) .

ومن الجدير بالذكر أن الرحلة فى طلب العلم أو الحديث صارت شائعة بين الحواضر والأقاليم ، حيث كثر عدد الرحالة لجمع الأحاديث والعمل على تدوينها بعد التحرى عن صحتها ، حتى صار هؤلاء يرحلون فى طلب الحديث الواحد الأيام الكثيرة للتأكد من صحة روايته أو اسناده (٤٢). ومن المحدثين الذين رحلوا الى بغداد عثمان بن عتيق ، مولى غافق فى تلك الفترة ، ذكر المقريزى نقلا عن الكندى أنه أول من رحل من أهل مصر الى العراق فى طلب الحديث (٤٣) . ونعتقد أنه بعد عودته الى الفسطاط أصبح له حلقة فى المسجد الجامع للأخذ عنه والافادة منه فى مجال علم الحديث .

ومن أصحاب الحديث الذين اشتهروا فى أواخر القرن الثانى الهجرى عبد الله ابن صالح كاتب الليث ، وكانت له حلقة ، وان كان ابن قتيبة لم يذكر شيئا عن تصانيفه أو كتبه التى الفها فى هذا المجال (٤٤) .

نشطت رواية الحديث وازدهرت زوايا المسجد الجامع بنشاط حفاظ الحديث وغيرهم من القراء والأئمة ، كما بذل العلماء جهدهم فى تحرى الرواية ومراجعة سلسلة الرواة على التوالى من أجل اثبات صحة الحديث ، كما نشط المحدثون فى عصر الولاة العباسيين فى تدوين الحديث ، وقد شجعهم على ذلك أن الحديث صار هو المادة الواسعة للفقه واستنباط الأحكام الشرعية .

كما ظهر لأول مرة كتاب الموطأ للامام مالك بن أنس الذى صنفه فى المدينة قبل وفاته سنة ١٧٩ هـ ، اعتمد فيه على مجموعة من الأحاديث وصار الفقهاء ينظرون اليه باعتباره كتابا فى الفقه (٤٥) .

ومن المعروف انه لما آل الحكم الى العباسيين ، أخذ بعض القصاص وغيرهم من المروجين يضعون الأحاديث التى تؤيد حكمهم وتثبت حقهم فى الخلافة دون العلويين من بنى هاشم أو بنى أمية ، وذلك على الرغم من تحذير النبى من ذلك حيث قال : من كذب على فليتبوأ مقعده من النار (٤٦) ، وهكذا راجت فى الحواضر الاسلامية تلك الأحاديث التى لا سند لها من الصدق أو الأمانة فى روايتها ، مما تطلب الأمر معرفة الناسخ والمنسوخ فى الحديث ، حتى صار ذلك من أهم علوم الحديث وأصعبها آنذاك (٤٧) .

وقد أدى ذلك الى نشاط رواية الحديث وازدهار حلقاته فى جامع عمرو مما أدى الى

اجتذاب مشاهير المحدثين من بلاد المشرق الى مصر ، لملاقاة شيوخ الحديث والجلوس معهم والأخذ عنهم ، وقد سبق أبو عبد الله محمد بن أدريس الشافعى أئمة الحديث هؤلاء الى الفسطاط حيث كان قدومه اليها سنة ١٩٨ هـ (٤٨) ، ومما لا شك فيه أن لقاءه بأصحاب الحديث المصريين كان له أثره فى تحرى الاسناد وفى معرفة الناسخ والمنسوخ فى الحديث كما يقول ابن خلدون (٤٩) : فانه كان من أهم علوم الحديث وأصعبها ، وكان للشافعى رضى الله عنه فيه قدم راسخة ، ولا غرو فقد تتلمذ عليه فى هذا العلم أئمة الفقهاء والمحدثين مثل أحمد بن حنبل الذى قال عنه : ما عرفت ناسخ الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعى ، وقال عن الشافعى أنه كالشمس للدنيا والعافية للبدن (٥٠) .

ويصف ابن حجر حلقة الامام الشافعى بالمسجد الجامع ونشاطه فيقول (٥١) : « وكان الشافعى يجلس فى حلقته بالمسجد الجامع اذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن فيسألونه فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه عن معانيه وتفسيره ، فاذا ارتفعت الشمس قاموا واستوت الحلقة للمناظرة والمذاكرة ، فاذا ارتفع النهار تفرقوا ، وجاء أهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يقرب منتصف النهار ثم ينصرف الى منزله » وهكذا كانت حلقة الشافعى أو زاويته تشمل سائر العلوم الاسلامية والعربية وليست قاصرة على طلاب الحديث أو الفقه حينذاك .

ومن الأئمة المحدثين الذين لازموا الامام الشافعى فى هذه الحلقة عبد الله بن الزبير الحميدى ، نقل السيوطى عنه أنه كان ملازما له ، وقد ألف كتابا فى الحديث فهو صاحب المسند ، ولما مات الشافعى سنة ٢٠٤ هـ رجع الى مكة وأقام بها حتى توفى سنة ٢١٩ هـ (٥٢) .

أخذت حلقات المسجد الجامع تنتظم فى ذلك الوقت حيث كان يجلس الشيخ أو المحدث وحوله الآخذون عنه على شكل حلقة وبطبيعة الحال فان كل حلقة كانت تزداد أعدادها أو تقل تبعا لقدر الشيخ ومكانته فى حفظ الأحاديث وفى جمعها وتدوينها ، ولا شك أن غالبية هذه الحلقات كانت عامرة بطلابها لشهرة أصحابها من الشيوخ أو المحدثين المصريين (٥٣) .

وقد اجتذب الى هؤلاء المحدثين من سائر أنحاء البلاد الاسلامية ، من أمثال محمد

ابن اسماعيل البخارى (١٩٤ — ٢٥٦ هـ) (٥٤) وفد على مصر وجمع من الأحاديث وقام بتدوينها عن المحدث المصرى عمرو بن خالد التميمى ، كما كتب الحديث عن عمرو ابن الربيع بن طارق المصرى (ت ٢١٩) والمحدث أحمد بن باشكاب الحضرمى (ت ٢١٧ هـ) وكان أحد الثقاة فى علم الحديث (٥٥) .

ومن المعروف ان امام المحدثين البخارى كان لا يأخذ الحديث الا عن الرواة الثقات المشهورين بالورع والتقوى ، كما اهتم بمعرفة احوالهم ، وكيفية تلقيهم للحديث ، يدلنا على ذلك فيما قاله عن نفسه : « كتبت عن ألف شيخ وأكثر ما عندى حديث الا وأذكر اسناده » (٥٦) ، وهكذا كان يتحرى الدقة فى معرفة الثقات وغيرهم من حفاظ الحديث الذين خرج لهم فى كتابه الشهير « صحيح البخارى » مثل يوسف بن عدى التميمى وحسان ابن عبد الله بن سهل الكندى (ت ٢٢٢ هـ) وغيرهما من أصحاب الحديث المصريين (٥٧) .

كما قدم الى مصر أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابورى صاحب المسند الصحيح وأحد الأئمة والحفاظ المتقنين ، وكان قد طوف بالعديد من البلدان الاسلامية (٥٨) ، التقى بالحفاظ والمحدثين المصريين فى جامع عمرو منهم عمرو بن سواد العامرى (ت ٢٤٥ هـ) أحد تلاميذ عبد الله بن وهب والشافعى ، ويبدو نشاط عمرو فى مجال الحديث حيث انه لم يقتصر فى روايته على اسناد مسلم له فى صحيحه ، بل خرج له وروى عنه كل من أبى داود والنسائى وابن ماجة من أصحاب الكتب الستة المشهورة (٥٩) .

كما روى الامام مسلم فى صحيحه عن محدث مصر آنذاك عيسى بن حماد بن مسلم التجيبى (ت ٢٤٨ هـ) وكانت له حلقة مثل حلقة عمرو بن سواد العامرى ، وقد خرج له أصحاب السنن المشهورين .

ومن الشيوخ المصريين المحدث المصرى محمد بن سلمة بن عبد الله المرادى (٦٠) ، ذكر السيوطى نقلا عن ابن حجر انه ممن خرج له مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة ، مما يدل على درجة علمه فى مجال علم الحديث فى ذلك الوقت (٦١) .

لم يقتصر الأمر على رحلة كل من الامام البخارى والامام مسلم الى مصر ومجالسة شيوخ مصر فى جامع عمرو والأخذ عنهم فى مجالس علمهم ، بل انه زار مصر فى القرن الثالث الهجرى أصحاب كتب السنن المشهورين وهم أبو داود (ت ٢٧٥ هـ) والترمذى

(ت ٢٧٩ هـ) وابن ماجة (٢٧٢ هـ) والنسائى (٣٠٣ هـ) حيث ظهر التدوين المنظم للحديث على أيديهم فكانت تلك المجموعات من كتب الحديث والتى كان أهمها عند أهل السنة الكتب الستة المعروفة (٦٢) .

وتدل تراجم الشيوخ المصريين على مدى الانتفاع من علمهم لا سيما فى عصر الولاة العباسيين ، نذكر من هؤلاء المحدثين عياش بن عقبة الحضرمى المصرى (٦٣) ، وموسى ابن على بن أبى رباح اللخمى والمحدث والراوية النضر بن عبد الجبار بن نصير المرادى(٦٤) .

وممن خرج لهم النسائى وقام بتوثيق أحاديثهم كذلك المحدث محمد بن هشام بن أبى خيرة ، وكان ثقة ثبتا حسن الحديث له حلقة بالمسجد الجامع وقد توفى سنة ٢٥١ هـ (٦٥) ، كما يذكر السيوطى من مشاهير تابعى التابعين كلا من ابراهيم بن مرزوق ابن دينار ، والحارث بن أسد بن معقل الهمذانى ، والحسن بن غليب الأزدى (٦٦) (من قبيلة الأزد المشهورة) ومن المعروف أن الامام النسائى كان يلتزم الدقة والتحرى فى نقد الرجال والحفاظ ، والتشدد فى قبول رواياتهم التى كانوا يحفظونها قبل توثيقها فى كتابه « السنن » الشهير .

وتدل تراجم شيوخ مصر ومحدثيها على ازدهار علم الحديث فى أواخر عصر الولاة ، وذلك من حيث كثرة عددهم وقيام أصحاب كتب السنن من أئمة الحديث بتدوين مروياتهم أثناء فترة اقامتهم بالحاضرة الاسلامية الفسطاط ، وقد حفلت كتب الطبقات بأسماء العديد من هؤلاء الشيوخ ممن سبقهم ذكرهم وغيرهم ، حيث ينقل السيوطى من كتب التراجم والطبقات فى هذه وغيرها ، نذكر منهم سليمان بن داود بن حماد المهرى (٦٧) (من قبيلة مهرة اليمنية) أخذ عنه أبو داود والنسائى ، والمحدث الراوية عبد الله بن محمد ابن عبد الله الرقى المصرى ، وعلى بن معبد بن نوح البغدادى — الذى أقام بمصر ، روى عنه النسائى وغيره من أصحاب كتب السنن ، كما روى عن المحدث المصرى عمر ابن عبد العزيز بن مقلاص ، وعيسى بن ابراهيم بن عيسى الغافقى (٦٨) ، وغير هؤلاء ممن عاشوا بمدينة الفسطاط فى ذلك العصر .

وفى أواخر عصر الولاة اشتهر ذو النون الأخميمى المصرى ، فكان أوحد وقته علما وورعا كما ورد فى سيرته ، تحلق الناس به فى جامع عمرو ، روى الحديث عن عبد الله

ابن عمر كما روى عن مالك بن انس ، وعنه اخذ الجنيد وآخرون من أهل الحديث (٦٩) .
وذكر السهيلى بعض الأحاديث التى رواها ذو النون ، منها حديث أسنده لابن عمر وانفرد
بروايته ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» (٧٠) .

ونذكر من هؤلاء المحدثين الذين عاصروا ذا النون المصرى وعمت شهرتهم فى أواخر
عصر الولاة وعهد ابن طولون ، المحدث والفقيه يونس بن عبد الأعلى بن موسى الصدفى ،
وقد انتهت اليه رياسة العلم وعلو الاسناد ، وكان ورعا صالحا ، روى عنه مسلم والنسائى
وابن ماجة من أصحاب السنن ، مما يدل على مكانته العلمية التى بلغها فى علوم
الاسلام وكانت وفاته سنة ٢٦٤ هـ (٧١) .

وهكذا أصبحت حلقات الحديث فى جامع عمرو غاصة بطلاب العلم وشيوخ الحديث
يحفظون ويتحرون صحة الاسناد ، والناسخ والمنسوخ فى الحديث كما غدت حلقاتهم
موضع التقدير والاجلال حتى صار الناس يتباركون بها ، يتجلى ذلك فى وصف ابن رستة
لمظاهر تلك الحفاوة والتقدير عندما أشار الى ذلك وقال (٧٢) : عند الاحتفال بزيادة
فيضان النيل .

« فاذا زاد نظروا الى بعض تلك العلامات فوقفوا على مقدار الزيادة لأن الزيادة فى
الخراج على حسب الزيادة فى المال ، فيصير هؤلاء الموكلون الى المسجد الجامع بأيديهم
الرياحين ، ويقفون على حلقة يرمون بما معهم من الرياحين اليهم ، وينادون أن الله عز
وجل قد زاد فى النيل كذا وكذا فيستبشر الناس ويكثرون حمد الله والشكر له »
وهكذا كانوا ينثرون الرياحين على أهل الحلق فى جامع عمرو وأصحاب الحديث فى
المناسبات المختلفة اظهارا لحفاوتهم وحبهم لشيوخ العلم وطلابه آنذاك .



ثانيا : حلق الفقة فى المسجد الجامع

نشـــــــأة علم الفقـــــــه (٧٣) :

لم يكن العرب يحكمون فى جاهليتهم بقانون مدون ولا قواعد معروفة ، وانمــا كانوا يقضون فى خصوماتهم وفقـــــا لمقتضيات عرفهم وتقاليدهم الموروثة (٧٤) ، وعندما ظهر الاسلام وأصبحت المدينة مقرا للدعوة الاسلامية ومركزا للحكم ، كان الرســول الكريم يحكم بين الناس بما يوحى اليه من القرآن حيث كان ينزل بالأحـــــكام ، وبما يشرحه للصحابة رضى الله عنهم سواء بالقول أو الفعل وهو ما عرف بالحديث والسنة . كمـــا كان على الجماعة الاسلامية الناشئة أن تقبل بهذه الأحكام وتقوم بتنفيذها وفقا لما أمر به الله عز وجل فى كتـــــابه العـــــزيز (٧٥) .

لم يظهر الفقه كعلم لوجود الصحابة والتابعين فى عهد الراشدين الذين حرصوا على حفظ القرآن فى صدورهم ، وما أجمعوا عليه من الحديث والسنة ، حيث صـــار الاجماع من دعـــــائم التشريع الاســــــــلامى .

كان عبد الله بن عمرو أول الجالسين فى جامع عمرو للفتيا بعد انشائه (٧٧) ، حيث كانت الفتيا فى عهد الخلفاء الراشدين تؤخذ عن الحافظين لكتـــاب الله العارفين بدلالاته والجامعين لحديث الرسول وسنته (٧٨) ، وقد اشتهر عبد الله فى ذلك الوقت المبكر بحفظه للقرآن والسنة ، فلا غرو أن جلس للفتيا فى المسجد وصار من أهل الاجتهاد فى الأحــكام والتبصر بمواقـــع المســـــــائل التشريعية (٧٩) .

وقد حث الاسلام على التفقه فى الدين وتعلم الفقه والفرائض ، كما ورد فى الحديث عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (٨٠) : « تعلمـــوا الفرائض وعلموا الناس فانه نصف العلم » كما أوصى النبى بأصحابه فهم أهل مشورته (٨١) ، كما ورد فى حديثه عليه الصلاة والسلام انه قال : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وحث على طلب الفقـــــه وتعليمــــه للنــــاس .

ومن الذين جلسوا فى جامع عمرو ، وكانوا من المعاصرين لعبد الله بن عمرو ، عبيد

ابن محمد المعافرى (٨٢) ، والصحابى أبو تميم الجيشانى الذى يعد من أوائل عباد أهل مصر وفقهائها (ت ٧٧ هـ) (٨٣) ، وأبو علقمة مولى بنى هاشم الذى اشتهر بالفقه واستنباط الأحكام الشرعية (٨٤) .

ومن هؤلاء الصحابة الذين شاركوا فى فتح مصر الأكدر بن حمام بن عامر بن مصعب اللخمى ، وكان علويا ذا فضل وفقه فى الدين (٨٥) ، كما اشتهر بالفقه والفرائض (٨٦) ، واليه تنسب الفريضة الأكدرية وهى مسألة فى الفرائض والمواريث (٨٧) .

حلق الفقه فى العصر الأموى :

كره الأمويون الفقهاء ولم يعملوا على تقريبهم والاعتماد عليهم لتأييد حكمهم كما فعل العباسيون من بعدهم ، وذلك لأن غالبية الفقهاء فى الأمصار لم يرتاحوا يومئذ الى استيلاء أرستقراطية قريش على الحكم وجنى ثمار الدعوة الى الاسلام بعد أن كانت مقاومتهم للنبى صاحب هذه الدعوة فى بداية أمرها (٨٨) .

ولكنه على الرغم من شيوع ذلك فى بداية حكمهم الا أنه حدث خلاف ذلك بمصر ولا سيما فى عهد أميرها عبد العزيز بن مروان (٦٥ — ٨٥ هـ) فقد ذكر الكندى أنه أسند القضاء الى عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى ، وكان من أفقه الناس آنذاك ، وأجرى عليه الرزق فى السنة ألف دينار ، فكان ينفقها على أهله واخوانه ولا يدخر منها شيئا (٨٩) .

ومن المعروف أن وظيفة القضاء لم تكن يتولاها الا الفقهاء النابهون ، الذين بلغوا من العلم والفقه شأنا عظيما (٩٠) مثل ابن حجيرة ، فقد روى عبد الله بن لهيعة أن رجلا سأل ابن عباس عن مسألة فقال : تسألنى وفيكم ابن حجيرة ، كما نقل الكندى رواية أخرى عن يزيد بن أبى حبيب فى مسألة خاصة بالفقه أنه قال : سمعت ابن حجيرة الأكبر عند هذا المنبر (يعنى منبر جامع عمرو) يقول : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لا رضاع بعد فصال ، ومن مص من ثدى فانهم يتحارمون » .

ومن الفقهاء البارزين فى عهد عبد العزيز بن مروان ، والى مصر ، أبو الخير مرثد ابن عبد الله اليزنى ، كان معاصرا للقاضى والفقيه ابن حجيرة ، ذكر ابن يونس أنه كان مفتى أهل مصر فى زمانه ، وكان الأمير عبد العزيز يحضره فيجلسه للفتيا . تفقه على يد

الصحابى العالم عقبة بن عامر الجهنى ، كما روى عن ثابت بن عمرو وأبى أمامة وغيرهم من الحـــــافظين والتـــــابعين (٩٢) .

ومن المعروف أن والى البلاد كان له الحق فى اختيار من يراه مناسبا من أهل العلم للفتيا ، كما يقول ابن خلدون (٩٣) ، حتى لا يتعرض لذلك من ليس له أهل فيضل الناس ، وللوالي الحق أيضا فى ترشيح من يراه لتعليم الناس والجلوس لذلك فى المسجد .

كما كان من حق الخليفة أن يعين هؤلاء الفقهاء للفتوى ، وقد تجلى ذلك فيما قام به عمر بن عبد العزيز عندما أسند أمر الفتوى بمصر الى ثلاثة فقهاء وهم جعفر بن ربيعة ويزيد بن أبى حبيب وعبد الله بن أبى جعفر ، مما يدل على ما بلغوه فى مجال الفقـــه والتشريع فى ذلك الوقت (٩٤) .

ولا شك أن المحدث والفقيه يزيد بن أبى حبيب كان أعلى مكانة من الآخرين ، حيث ذاع صيته (٩٥) ، فهو اول من أظهر العلم بمصر والمسائل والحلال والحرام ومسائل الفقه وكانوا قبل ذلك يتحدثون فى الترغيب والملاحم والفتن (٩٦) .

لم يقتصر يزيد فى أوائل القرن الثانى الهجرى على حلقة العـــلم والدرس فى جامع عمرو ، بل كان له تأثير واضح فى مجرى الأحداث وفيما كان يعرض من مسائل ومشكلات أصبحت محل التنافس بين الأئمة المجتهدين وبين القضاة المصريين ، كمـــا يتجلى دوره أيضا فى دعوة كل من العلوية والعثمانية الى روح الاســـلام والى جمع الكلمـــة وضم الصفوف ، وقد وقف موقف الرقيب الناصح للحكام أو الولاة أصحاب « الســـلطة الشرعية » يرشدهم الى الحق والخير ، وينتقد سياستهم اذا لزم الأمر (٩٧) .

اهتم الخليفة عمر بن عبد العزيز بالعلم والعلماء ، كما كان له اهتمام خاص بحلقات العلم والفقه فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، ولا غرابة فى ذلك فقد نشأ فى مصر وأبوه واليا عنيها سنة ٦٣ هـ ، ودرس العلم وتفقه على أيدى شيوخ هذه الحلقات حتى بلغ مرتبة الاجتهاد . فلما صارت اليه الخلافة فى دمشق ، يذكر السيوطى (٩٨) أنه بعث نافعا مولى عبد الله بن عمر فقيه أهل المدينة الى مصر ليعلمهم السنن ، فأقام بها فترة يعلم الناس بالمسجد الجامع حتى عاد الى المدينة وتوفى بها سنة ١٢٠ هـ .

واشتهر من الفقهاء المصريين فى العصر الأموى بمصر كذلك جعثل بن هاعان بن سعيد الرعينى (ت ١١٥ هـ) (٩٩) ، وبكير بن عبد الله الأشج (ت ١٢٢ هـ) وكان من ثقات أهل مصر وقرائهم (١٠٠) ، وبكر بن سوادة الجذامى الفقيه مفتى مصر (١٠١) ، وكان جميعهم من المعاصرين للمحدث والفقيه والراوية الشهير يزيد بن أبى حبيب .

كما عاصر هؤلاء أيضا من الفقهاء خير بن نعيم الحضرمى الذى أسند اليه القضاء بمصر ، قال عنه يزيد : ما أدركت من قضاة مصر أفقه منه (١٠٢) ، وكانت له حلقة فى جامع عمرو وتتلمذ على يديه الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة الحضرمى ممن اشتهروا بالعلم وذاع صيتهما بعد ذلك (١٠٣) .

ازدهار حلقات الفقه وظهور المذاهب بمصر فى العصر العباسى :

ازدهرت الحياة الثقافية فى الفسطاط فى العصر العباسى الأول نتيجة لعوامل متعددة منها حرية الرأى التى تمتع بها الفقهاء وغيرهم من أهل العلم والثقافة حيث عمل العباسيون على تقريب هؤلاء ، فلم يعد اهتمامهم قاصرا على النواحى السياسية فحسب كما كان الشأن أيام الأمويين بل غلبت عليهم النزعة الدينية ، وكان لذلك أثره الواضح فى رواج التشريع والفقه (١٠٤) .

كما شهد العصر العباسى الأول المزيد من الرحلات العلمية ، وتأثر العقول بثقافات الشعوب والأمم المختلفة ، حيث بلغ الجدل بين الفقهاء أشده واتسع مداه مما أدى الى نشاط حلقات العلم والدرس فى المساجد الجامعة وغيرها من مجالس العلم فى الدور والقصور ، وقد حرص الخلفاء العباسيون على عقد هذه المجالس ، ومما لا شك فيه أن هذه المناظرات أدت الى رواج الحركة العلمية وتقدمها حيث أنها شجعت العلماء على مواصلة البحث والدرس ، واعداد أنفسهم حتى لا يخذلوا فى مجلس المناظرة مما يسىء الى سمعتهم ومكانتهم (١٠٥) .

ومن هذه العوامل نشاط حركة التدوين والتأليف فى ذلك العصر فقد أصبح للتدوين الحظ الوافر من جهود الأئمة من الفقهاء والمحدثين ، كما صار أحد المظاهر الهامة للنشاط العلمى والفقهى ، وذلك لعظم فائدته ، فانه يساعد على الرجوع الى العلوم المختلفة مهما

كثرت وتنوعت ، ولا غرابة فى ذلك فهو نقل المحفوظ فى الصدور وقيـــده فى القراطيس ليبقى محفوظا لا يذهب بذهاب أهـــــله (١٠٦) .

وقد شجع الفقهاء وغيرهم من أهل العلم وفرة القراطيس بمصر فى ذلك العصر ، مما أدى الى نشاط حركة التدوين ، وكان فى بغداد درب يسمى بدرب القراطيس نسبة لهذا الورق الذى كان يجلب من مصر يقول ابن الكندى : ولهـم القراطيس (يعنى المصريين ، وليس هى فى الدنيا الا بمصر) ولا شك أن الليث بن سعد ، (١٠٧) ، وعبد الله بن وهب وغيرهما من الفقهاء المصريين استخدما هذه القراطيس فى كتابة تصانيفهم العديدة .

كان الليث من أشهر تلاميذ يزيد بن أبى حبيب ، كما قدمنا ، وقد سطع نجمـه فى سماء الفسطاط فى مجال الفقه والفتوى والتشريع (١٠٨) ، وأصبحت حلقته فى جامع عمرو من أشهر الحلقات وأعمها ، كما أشاد بغزارة علمه معاصروه من الفقهاء والأئمة ومن خلفهم يقول عنه الامام الشافعى : « الليث أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به » .

ويذكر ابن النديم (١٠٩) ان الليث بن سعد كان من أصحاب مالك وعلى مذهبه ثم اختار لنفسه ، وكان يكاتب مالكا ويسأله فى بعض المسائل فيرد عليـــه ، وقد صنف فى ذلك مجموعة من الرسائل والكتب ، كما صنف كتابه مسائل فى الفقه .

كما يذكر ابن قتيبة أنه كان ثقة سريا سخيا ، كان دخله فى العام خمسة آلاف دينار يوزعها فى الصلات وغيرها ، وقيل أنه لما وفد عليه عالم العراق يومئذ منصور بن عمار من بغداد منحه ألف دينار وكانت وفاته بالفسطاط سنة ١٧٥ هـ (١١٠) .

بلغت مكانته يومئذ أن الخليفة العباسى أبا جعفر المنصور طلبه لامارة مصر فاعتذر عنها ، وقد أعجب به الخليفة هارون الرشيد بعد أن رحل اليه قادما من مصر ، وأفتاه فى أمر زوجه زبيدة ، بما عجز عنه الفقهاء فى بغداد ، وقد عبر ابن الكندى (١١١) عن ذلك فقال : « وهو الذى أخرج الرشيد من يمينه التى عجز عنها فقهاء الدنيا » .

وقد كان أمراء مصر يجلونه ويرجعون الى رأيه دائما (١١٢) ، لما كان القاضى والنائب تحت امرته ومشورته ، وكان له أربعة مجالس فى كل يوم كما يذكر الكنـــــدى فى أكثر من

موضع (١١٣) ، منها مجلس لأصحاب المسائل ومجلس لحوائج الناس ، كما أشرنا من قبل عند دوره فى مجال الحديث ، وكان يعقدها فى المسجد الجامع .

كما يعزى الى الليث وأمثاله من الأئمة الذين اعتذروا عن قبولهم ولاية شئون البلاد أو تولى القضاء ، ازدواج الحياة التشريعية بمصر ، حيث أصبحت المسألة الواحدة تعرض على الفقهاء ، فتأخذ أكثر من حكم ، وكان الفقيه منهم يجتهد فى تعرف الحكم ، ويذهب الى ما تطمئن اليه نفسه دون أن تتحكم فيه سلطة أو يحجر عليه فى رأى ما دام أهلا للاجتهاد (١١٤) ، كما كانت تلك المسألة يقضى فيها القاضى وفقا لخبرته ودراسته الفقهية (١١٥) ، وهكذا شهدت مصر ازدواج الحياة التشريعية مما أدى الى نشاط الحركة الفقهية فى حلقات المسجد الجامع وازدهار الحياة الثقافية الاسلامية فى ذلك العصر .

الفقهاء المالكية بمصر فى العصر العباسى :

كان من أسباب اتساع الحركة العلمية وازدهارها فى ذلك العصر أيضا ظهور المذاهب الأربعة السنية وانتشارها فى الأمصار الاسلامية المختلفة ، ومن المعروف أن مذهب الامام أبى حنيفة النعمان كان أقدم هذه المذاهب التى ظهرت (١١٦) ، الا أن مذهب الامام مالك عرف طريقه الى مصر أولا حيث انتشر بها منذ أوائل الحكم العباسى للبلاد .

فقد نقل السيوطى (١١٧) أن عثمان بن الحكم الجزامى كان أول من أدخل علم مالك الى مصر ، وكان عثمان الفقيه قد توثقت صلته بالليث بن سعد مفتى مصر ، حتى انه أشار على والى مصر حينذاك باسناد القضاء اليه ، ولكن الفقيه المالكى عثمان أبى ذلك .

وذكر المقريزى أن أول من قدم الى مصر بفقه مالك هو عبد الرحيم بن خالد بن يزيد ابن يحيى — مولى جمح — وكان فقيها ، روى عنه الليث بن سعد وعبد الله بن وهب ورشيد بن سعد ، وقد توفى بالأسكندرية سنة ١٦٣ هـ (١١٩) .

أما مذهب الحنفية ، فلم يكن أهل مصر يعرفونه فى ذلك الوقت حتى ولى القضاء اسماعيل بن اليسع الكوفى من قبل المهدى العباسى سنة ١٦٤ هـ ، ذكر أحد رواة الكندى أنه كان مؤمنا فقيها ، وكان يصلى الجمع وعليه كساء مربع من صوف وقطن ، وكان أول عراقى ولى قضاء مصر من قضاة الأحناف ، وأول من أدخل اليها مذهب أبى حنيفة ،

وكان من خير القضاة ، لكنه كان يذهب الى ابطال الأحباس (الأوقاف) فلم يلق قبولا من جانب الفقهاء المصريين لأنه أحدث أحكاما لم تكن معروفة لديهم من قبل ذلك (١٢٠) .

وقد كتب الليث بن سعد الى الخليفة العباسى المهدى يطلب عزله فى كتاب جاء فيه : « انك وليت رجلا يكيد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا مع أنا ما علمناه فى الدينار والدرهم الا خيرا » فورد الأمر بعزله عن القضاء (١٢١) . وهكذا لم ينتشر مذهب أبى حنيفة بمصر حتى أواخر عصر الولاة ، فلم نسمع عن فقهاء الحنفية حتى ولاية بكار ابن قبتة الثقفى من قبل الخليفة العباسى المتوكل سنة ٢٤٦ هـ (١٢٢) .

ونعود الى مذهب المالكية وانتشاره بمصر (١٢٣) ، فمن الفقهاء الأوائل الذين عملوا على تعليمه ونشره بين أهل مصر عبد الله بن وهب الذى رحل الى المدينة ولازم الامام مالك نحوا من عشرين سنة ، ثم عاد الى مصر وعمل على نشر مذهبه ففى حلقته بالمسجد الجامع روى عن مالك ما صنفه من كتبه وسننه ومنها كتابه الشهير « الموطأ » (١٢٤) .

وقد ذكر ابن يونس أن عبد الله بن وهب الفقيه المالكى المصرى جمع بين الفقه والرواية والعبادة ، كما يذكر ابن الكندى (١٢٥) أنه اشتهر بجملة تصانيف فى الفقه ، أفقد ألف منها مائة جزء منها الموطأ الكبير والجامع الكبير ، وكتاب تفسير الموطأ ، وكتاب المناسك ، فضلا عن كتابه الجامع فى الحديث الذى أشرنا اليه من قبل .

وكان يفضل العلم على القضاء ، روى الكندى أنه لما طلب للقضاء تغيب وسمعه أحد الناس يقول فى دعائه (١٢٦) : « يارب يقدم عليك اخوانى غدا علماء حلماء فقهاء ، وأقدم عليك قاضيا ، لا يارب ولو قرضت بالمقاريض » .

ذاعت شهرته فى الحديث والفقه والرواية ، ولا غرو فهو تلميذ الليث بن سعد امام مصر ومفتيها ، ومالك بن أنس ، بلغ من حرصه أنه صار يعلم الناس والشهود كيف يحلفون أمام مجلس القضاء فى جامع عمرو ، وذلك من رقاع كان يكتبها يروى لنا الكندى أنه نقل عن أحد الشهود لاحدى تلك الرقاع قوله : « ورأيت مع رسول السلطان خط عبد الله بن وهب فى كتاب قد كتبه لهم كيف يحلفون » .

ومن الفقهاء المعاصرين لابن وهب نخص بالذكر عبد الرحمن بن القاسم بن خالد

العتقى المصرى . تفقه على مذهب مالك وفرع على أصوله ، وكان زاهدا صبورا مجانبا للسلطان (١٢٧) ، متفرغا للعلم وحلقته فى جامع عمرو ، روى كتاب المسائل عن مالك كما وروى عن أبى عينية وغيره من الفقهاء والأئمة (١٢٨) .

وتلقى العلم عنه فى حلقته كل من اصبغ بن الفرج الفقيه المصرى المالكى وعالم القيروان سحنون وآخرون وفدوا عليه من بلاد المغرب والأندلس (١٢٩) ، وكان يرجع اليه فى مسائل مالك وفتاويه وروايته لكتاب الموطأ هى أصح الروايات فى عصره . وقد مات بالفسطاط سنة ١٩١ هـ ، ففقدت مصر بموته أحد فقهاء المالكية البارزين .

ومن تلاميذ مالك الذين اخذوا عنه بالمدينة الفقيه المصرى أشهب بن عبد العزيز العامرى ، وكان فقيها حسن الرأى والنظر ، واليه انتهت الرياسة بمصر للمذهب المالكى بعد ابن القاسم .

التقى بالامام الشافعى بالفسطاط وأعجب به وقال عنه : « ما رأيت أفقه من أشهب لولا طيش فيه » ألف أشهب الفقيه المالكى كتابا سماه المدونة وهو كتاب هام رجع اليه علماء القيروان والأندلس ، أملاه عليهم فى حلقته فى جامع عمرو وقد ذاعت شهرته بعد ذلك .

كما صنف كتبا أخرى أهمها الاختلاف فى الامامة ، وكتاب فى فضائل عمر بن عبد العزيز ، ولا شك أن هذه التصانيف كان لها أثر كبير فى نشأة حلقته فى جامع عمرو حيث كان يمليها على طلابه فيها (١٣٠) .

وقد اشتهر اشهب فى ذلك الوقت وصار علما من أعلام الفسطاط (١٣١) ، كما شاع ذكره بين فقهاء وأئمة عصره ، وكانت له دار فى زقاق عبد الملك بن مسلمة يقيم بها حتى توفى سنة ٢٠٤ هـ (١٣٢) .

ومن أشهر علماء المالكية عبد الله بن عبد الحكم حيث أفضت اليه رئاسة المذهب المالكى بعد أشهب ، وكانت له حلقة عامرة فى جامع عمرو ، روى فيها عن مالك كتاب السنة ، وكان من تلاميذه بنوه محمد بن عبد الحكم وعبد الرحمن صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب (١٣٣) .

ويذكر الكندى أنه كان يحضر مجلس أمير البلاد ويستشيره فى سائر الأمور ، ولا سيما

فى مسائل القضاء وفيمن يرشحه من الفقهاء البارزين لهذا المنصب ؛ مما يدل على تلك المكانة العلمية والأدبية التى بلغهـــا حينذاك (١٣٤) .

صنف عبد الله بن عبد الحكم العديد من الكتب فى علم الفقه وغيره من العـــلوم الاسلامية ، كان من أهمها ما رواه فى حلقته عن ابن وهب وابن القاسم وأشهب من فقهاء المالكية المشهورين . وقد اختصر ذلك كله فى كتاب صغير كان يعول عليه علماء بغداد فى عصره . وصنف فى مذهب مالك تصانيف منها المختصر الكبير والأوسط والصغير . كما أملى على ابنه محمد كتابه فى « سيرة عمر بن عبد العزيز » (١٣٥) .

صحب الامام الشافعى عند وفادته الى مصر ، وجعل ابنه محمدا يلازمه فى مجلسه حتى ظن الناس لصدق مودتهما كما يقول الغزالى (١٣٦) : « أنه يفوض حلقته اليه بعـــد وفاته .. » وهكذا حظى امام المالكية عبد الله بن عبد الحكم بمكانة مرموقة فى العاصمة الفسطاط وخارجها وخاصة فى بلاد المغرب والأندلس (١٣٧) .

ومن فقهاء المالكية الذين عمت شهرتهم فى ذلك العصر اصبغ بن الفرج بن ســـعيد ابن نافع الأموى ، تفقه على يد كل من شيوخه عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب وكان أجل أصحابه ، حتى صار يعرف فقه مالك بن أنس مسألة مسألة ، ويقـــوم بتدريسه فى حلقته بالمسجد الجامع . وقد أخذ عنه وتلقى منه كل من المزنى والربيع وذلك قبل مقدم الامام الشافعى الى مصر وملازمته فى حلقته (١٣٨) .

قام أصبغ الفقيه المالكى بتأليف العديد من كتب الفقه والمسائل ، ممـــا يدل على تفوقه ومكانته العلمية بين أقرانه من شيوخ المالكية حينذاك .

وقد أشاد بعلمه وأثنى عليه ابن اللباد ، أحد تلاميذ حلقته فهو يقول عنه : « ما انفتح الى طريق الفقه الا من أصول أصبغ » ونقل السيوطى عنه أنه كان من أعلم خلق الله كلهم برأى مالك ومذهبه فى عصره (١٣٩) .

ومن الفقهاء الذين سطع نجمهم أيضا فى سماء الفسطاط الحارث بن مسكين بن محمد ابن يوسف ، كان يعتز بمذهب مالك (١٤٠) ، ويرى نشره على سائر المذاهب الأخرى ، قبل

انه لما أسند له الخليفة المتوكل وظيفة القضاء ، امر باخراج أصحاب أبى حنيفة وأصحاب الشافعى من المسجد الجامع ، كما امر بنزع حصرهم وابطال حلقهم (١٤١) .

وعندما حكم الحارث فى قضية دار الفيل ، وكانت دارا لأبى عثمان مولى مسلمة ابن مخلد الأنصارى ، بفسخ حكم القاضى ابن أبى الليث فيها واخراج بنى السائح منها ، رفع الأمر الى المتوكل حينذاك ، فأمر باحضار الفقهاء فى بغداد للنظر فى هذه القضية ، وكانوا على مذهب الكوفيين اى مذهب الامام أبى حنيفة النعمان ، فنظروا حكم الحارث فخطأوه (١٤٢) .

فلما بلغ الحارث ما جرى طلب اعفاءه من ولاية القضاء فأعفى منها ، وما كان ذلك الا تمسكا منه بمذهبه المالكى .

وقد ألف الحارث بن مسكين العديد من الكتب الفقهية والحديث ، كما روى عنه من اصحاب كتب السنن أبو داود والنسائى من أعلام المحدثين فى عصره . ومما لا شك فيه أن حلقته كانت عامرة بطلاب العلم من مصر وخارجها (١٤٣) .

ونختم حديثنا عن الفقهاء المالكية بمصر فى عصر الولاة بالفقيه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أخذ مذهب مالك عن ابن وهب واشهب بن عبد العزيز (١٤٤) ، فلما قدم الشافعى صحبه وتفقه به ، كما كان يقربه ويقبل عليه ، وكان الشافعى يقول عنه : « ما يقيمنى بمصر غيره » .

وكما أشرنا من قبل فقد ظن الناس فى الفسطاط أنه يفوض أمر حلقته اليه بعد وفاته ، لكن الشافعى لما قيل له فى علته التى مات فيها : الى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله فاستشرف له محمد بن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومىء اليه ، فقال الشافعى : سبحان الله : أيشك فى هذا ..؟ أبو يعقوب البويطى (١٤٥) .

فلما توفى الشافعى سنة ٢٠٤ هـ انقلب محمد بن عبد الله عن مذهبه ورجع الى مذهب أبيه عبد الله بن عبد الحكم المالكى ، ثم لم يلبث أن آلت اليه الرياسة لمذهب مالك بمصر ، وذكر ابن يونس أنه كان المفتى فى أيامه وكان جلة العلماء الفقهاء ، ومن أهل النظر والمناظرة والحجة ، واليه كانت الرحلة من بلاد المغرب والأندلس فى العلم والفقه (١٤٦) .

وقد صنف العديد من المؤلفات فى علوم الفقه والحديث ، التى أملاها على تلاميذه فى سائر الأنحــــاء بجــــامع عمرو بن العاص .

زوايا الفقهاء الشـــافعية فى جامع عمـــرو :

قدم الى مصر محمد بن ادريس الشافعى يرافقه فى رحلته عبد الله بن العبـــاس ابن أمير البلاد فى ذلك الوقت (١٤٧) ، وكان الشافعى قد طوف بكثير من حواضر الاسلام ، حيث لقى الامام مالكا ، وأخذ يقرأ كتاب الموطأ فى مجلسه وصار ملازما له ، وبعد أن مكث بمكة نحو تسع سنوات رحل الى بغداد سنة ١٩٥ هـ فلفت أنظار علمائها وفقهائها ، وقد عاد الى مكة ثم قدم العراق مرة أخرى سنة ١٩٨ هـ ، وكان يتوق فى تلك الأثناء الى مصر وأهلها ، حتى أنه أنشـــــد شعرا فى ذلك (١٤٨) .

قدم الشافعى الى مصر وقد أكرم وفادته عبد الله بن عبد الحكم زعيم المالكيـــة آنذاك (١٤٩) ، ولم يلبث أن ظهرت مواهبه ومقدرته البيانية ، حيث بهر الناس ببلاغته وعلمه فى جامع عمرو وفى زاويته التى عرفت فيما بعد بالخشنابية (١٥٠) حيث تحلق الناس حوله ينهلون من علمه وفقهه وفضله ، ويسمعون خطبه ويرون هيبته (١٥١) .

كانت مشيخة العلم ورئاسته موزعة فى تلك الأثناء بين انصار المذهب الحنفى قليـلى العدد ، وبين أصحاب مالك وهم من الكثرة والقوة آنذاك، يتصدرهم أشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن عبد الحكم ممن آلت اليهم رئاسة المذهب المالكى ، لكن الشـــافعى سرعان ما أحدث تغييرا واضحا وفكرا جديدا على أهل مصر وأصحاب الحلق فى المسجد الجامع ، وذلك نظرا لحججه القوية وآرائه الجديدة التى كان يناقشها فى حلقته الدراسية والتى جمعها فى كتابه « الأم » الشهير ، وأملاها على تلاميذه (١٥٢) .

استطاع الشافعى بمقدرته الفقهية الفائقة أن يمزج بين طريقـــة اهل الحديث فى المدينة والحجاز وبين طريقة أهل الرأى والقياس وهم أصحاب أبى حنيفة النعمـــان فى العــــراق ، وأن يجمـــع بين ظاهـــر النص وحرية الرأى ، مخـــالفا فى ذلك مالكا فى كثــــــير من مذهبــــــه (١٥٣) .

وقد بلغت قوة التأثير لدى الشافعى بالنسبة للفقهاء المصريين بعد اقامته بالفسطاط أنه أحدث انقساما بين صفوفهم ، فصار فريق منهم ينحاز اليه، وقد عبر عيسى بن المنكدر

الفقيه والقاضى يومئذ عن هذا الانقسام وذلك عندما كان يصيح بالشافعى فى جامع عمرو والشافعى يسمع قائلا له : « دخلت هذه البلدة وأمرنا واحد ورأينا ففرقت بيننا » (١٥٤).

وهكذا أحدث الشافعى نشاطا كبيرا بأسانيده القوية وحججه الفائقة ، بعد أن خالط علماء مصر وسمع ما عندهم من حديث وفقه فى حلقته (١٥٥) التى كانت تضم نخبـــة من تلاميذه النابهين الذين سرعان ما أصبحوا من مشاهير الفقهاء والأئمة المجتهدين مثـــل البويطى والمزنى ويحيى بن نصر الخولانى وغيرهم من الفقهاء الشـــافعية فى مصر فى عصر الـــــــــــــولاة .

كان من أهم الكتب التى وضعها فى مصر كتاب « الأم » وكان يسمى هذا الكتـــاب « المبسوط فى الفقه » (١٥٦) وهو فى الواقع عدة كتب ألفها فى مدة قصيرة ، ورواها عنـــه تلميذه الربيع بن سليمان المرادى ، وقد عبر فيها عن مذهبه الجـــديد الذى اشتهر به بعـــــــــد ذلك (١٥٧) .

كما صنف الشافعى من الكتب « الأمالى الكبرى والاملاء الصغير ومختصر البـــويطى ومختصر المزنى ومختصر الربيع والرسالة والسنن » وهى فى الواقع مختصرات أملاها على تلاميذه فى حلقته او زاويته بالمسجد الجامع كما يظهر من أسمائها . وقد نقل السيوطى عن ابن زولاق المؤرخ أن الشافعى ألف نحوا من مائتى جزء ، ولم يزل بمصر ناشرا للعلم ملازما للدرس بجامع عمرو حتى وفاته ســـــنة ٢٠٤ هـ (١٥٨) ، وقد رثاه تلميـــــذه المـــــزنى وآخـــــــــرون (١٥٩) .

ومن أشهر تلاميذ الشافعى أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى (١٦٠) ، فهو أكبـــر أصحاب الشافعى المصريين ، وخليفته فى حلقته من بعده ، وذلك وفقا لما أوصى به ، فقد قيل انه لما حضرت الشافعى الوفاة قالوا له : من يخلفك فى مجلسك ، فقال الشافعى : ليس أحد أحق بمجلسى من أبى يعقوب وليس أحد من أصحابى أعلم منه (١٦١) .

صنف البويطى من كتب الفقه كتاب المختصر وكتاب المختصر الصغير وكتـــاب الفرائض ، كما روى عنه كل من الربيع بن سليمان الجيزى ، وأبى اسماعيل الترمذى . وكان الشافعى يعتمده فى الفتيا ، ويحيل عليه اذا جاءته مسألة وذلك قبل وفاته (١٦٢) .

وقد حظى البويطى امام الشافعية يومئذ بمنزلة سامية لدى أمير البـــلاد عبد الله

ابن طاهر (٢١١ ــ ٢١٣ هـ) ويحضر مجلسه الذى كان يحفل بالفقهاء وأهل العلم والأدب، يذكر الكندى انه كان يأخذ برأيه فى اختيار من يراه مناسبا لتولى القضاء ، كما كان يفعل الولاة ، يستشيرون عبد الله بن عبد الحكم رئيس طائفة المالكية وغيره من الأئمة المصريين حينذاك (١٦٣) .

كان أهم ما يشغله هو الحرص على العلم والعناية بطلاب حلقته ، فمن ذلك انه حينما تم حمله الى بغداد أيام المحنة ــ والقول بخلق القرآن ــ كان يرسل من سجنه الى الربيع الجيزى يوصيه بأهل حلقته (١٦٤) .

ومن تلاميذ الشافعى بمصر المزنى (١٦٥) وهو أبو ابراهيم اسماعيل بن يحيى ابن اسماعيل عاش تلك الفترة التى نشطت فيها حلقات العلم والدرس فى جامع عمرو ابن العاص وذلك لكثرة العلماء والفقهاء والأئمة ، ولما صنفوه من التصانيف الكثيرة فى الحديث والفقه .

وقد شارك المزنى بنصيب فى هذا النشاط العلمى فألف بعض الكتب التى أملاها على تلاميذه ، نذكر منها كتابه المبسوط المختصر وكتابه المنشور فى المسائل المقيدة وكلها فى مجال الفقه ، وكتاب فى الترغيب فى العلم ، وكتاب الوثائق والعقارب ، وسمى بذلك نظرا لصعوبته ، كما صنف كتابا مفردا على مذهبه ، لا على مذهب الشافعى ، أضاف فيه من آرائه الجديدة،وقد خص ابن النديم بالذكر كتاب المختصر الصغير الذى وضعه المزنى فقال عنه : كان منتشرا بين الناس ، وعليه يعول أصحاب الشافعى وله يقرأون واياه يشرحون (١٦٦) وهكذا شغل الفقيه المزنى بتصانيفه وكتبه التى كان عليها كغيره من أصحاب الحلق بالمسجد الجامع فى ذلك العصر . ولما توفى سنة ٢٦٤ هـ ، صلى عليه الربيع ابن سليمان المؤذن صاحب الشافعى وتلميذه الشهير ، كما دفن قريبا من قبر أستاذه وشيخه الامام الشافعى (١٦٧) .

ونذكر من هؤلاء الفقهاء الشافعية بمصر يحيى بن نصر الخولانى نسبة الى قبيلة خولان اليمنية ، التى اختطت بالفسطاط فى أعقاب الفتح الاسلامى للديار المصرية (١٦٨) .

ويعد يحيى من تلاميذ الشافعى المشهورين فى عصره ، روى عن شيخه كتاب الشافعى فى الرد على ابن علية احد فقهاء العراق ، كما قام بتدريس كتبه الأخرى فى حلقته بالمسجد

الجامع (١٦٩) .. والظاهر أنه كان شاعرا مجيدا أيضا ، فقد أشار الكنـــدى اليه فى عدة قصائد يهجو فيها القاضى العمرى (١٨٥ ـ ١٩٤ هـ) وذلك حينما اتخذ له شهودا من أهل المدينة من موالى قريش والأنصار نحوا من مائة يشهدون فى مجلس حكمه .

كما ظل يهجو هذا القاضى فى قضية أهل الحرس الذين أرادوا الانتســـاب الى بنى حوتكه بالحوف الشرقى من العرب ، حتى تم عزله عن القضاء سنة ١٩٤ هـ فى عهـد الخليفـــة العبـــاسى الأمين (١٧٠) .

ومن أصحاب الامام الشافعى أثناء فترة اقامته بمصر الفقيــه حرملة بن يحيى المصرى ، فقد كان صاحبا لشيخه فى الفقه ، روى عنه من الكتب ما لم يروه الربيـــع ابن سليمان المرادى نذكر منها كتاب الشروط وكتاب السنن وكتاب ألوان الابل والغنم وصفاتها وأسنانها ، ومنها كتاب النكاح وكتب أخرى كثيرة انفرد بروايتها عن زميـــله ومعـــاصره الربيـــع المرادى المؤذن (١٧١) .

وقد صنف حرملة بن يحيى من الكتب « المبسوط والمختصر » فى الفقه وظل مشتغلا بالعلم والدرس حتى توفى ســـنة ٢٤٣ هـ (١٧٢) .

ومن تلاميذ الامام الشافعى الربيع بن سليمان بن داود الجيزى ، روى الحـــديث وبعض المسائل فى الفقه عن الشافعى فى زاويته بالمسجد الجامع ، والفقيـــه أبو على عبد العزيز بن عمران ، وكان من أكابر الفقهاء المالكيين ، فلما قدم الشافعى مصر لزمه وتفقه على مذهبه وصار من فقهـــاء الشافعية (١٧٣) .

أما أشهر تلاميذ الشافعى وأكثرهم له صحبة ورواية على الاطـــلاق فهو الربيع ابن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادى ، صحب الامام ، ويبدو أنه اتصل به قبل قدومه مصر ، وقد ذاع صيته لما أملاه عليه شيخه الامام الشافعى من الكتب واهمهـــا كتاب « الأم » كما أشرنا من قبل ، وكان المؤذن لجامع عمرو (١٧٤) كما ذكـر ابن النديم وغـــيره من الكتـــاب والمؤرخين .

روى عنه أصحاب السنن الأربعة والطحاوى وأبو زرعة وغيرهم فى حلقته ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف ، وأبو عبد الله محمد بن حمدان ،

والأصم النيسابورى وعبد الله بن أبى سفيان الموصلى وغيرهم (١٧٥) وهكذا كانت الرحلة اليه من خارج البلاد ومن بلاد المشرق الاســـــلامى .

ويبدو من ترجمته أنه عمر طويلا ، فقد عاصر أحمد بن طولون وبنــــاءه لجامعه الشهير ، فكان أول من أملى الحديث به كما يذكر السيوطى أن ابن طولون وصله بجائزة سنية ، وكانت وفاته بمصر ســــــنة ٢٧٠ هـ (١٧٦) .

وهكذا انتشرت بمصر المذاهب الفقهية ، ولا سيما مذهبا مالك والشـــافعى (١٧٧) ، وكانت حلقات كل من الشافعية والمالكية خير وسيلة لنشر هذين المذهبين فى سائر أنحاء مصر فى عصر الولاة ، وان كان المصريون قد عرفوا المذهب الحنفى الا أن عدد من تفقه به من أهل مصر كان محدودا ، أما المذهب الفقهى الرابع لأحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) (١٧٨)، فهو لم يخرج من العراق الا فى القرن الرابع الهجرى حينمـــا أصبحت مصر مقرا للخلافة الفاطمية ومذهبها الشـــيعى المعروف (١٧٩)

وقد ظلت حلقات الفقه المالكى والشافعى تعقد فى جامع عمرو وكانت من الكثـــرة وازدحام أهلها حتى أنهم كانوا يؤثرون على اقامة الصلوات فيه ، مما جعل صاحب الشرطة ازجور التركى الذى تولى امارة مصر يأمر أهل الحلق هؤلاء بتحويل وجوههم الى القبلة قبل اقامة الصلاة ، كما منع من المساند التى يستند اليها والحصر التى يجعلها الناس لمجالسهم فى المسجد الجامع حتى يخفف من حدة الزحام ويسود النظام بين أروقته وذلك فيما عرف بمتجددات أزجور التى أحدثها ســـنة ٢٥٣ هـ (١٨٠) .



ثالثا : حلق القراءات في المسجد الجامع

نزل القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين فى مـــدة تزيد على العشرين عا
وكان على الصحابة رضى الله عنهم وغيرهم من المسلمين حفظ كلام الله بما دونه كت
الوحى حيث كان هؤلاء الكتاب يكتبون السور والآيات على المواد المتوفرة مثل العسب
واللخاف (١٨٢) والرقاع (١٨٣) والقراطيس (١٨٤) وقطع الأديم (١٨٥) والأقتاب (١٨٦) .

ومن المعروف أن الجمع الأول للقرآن بعد الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى
أبى بكر الصديق ، حيث تم تدوين ما حفظ فى صدور الرجال وما تم تدوينه بمعـــ
كتاب الوحى ، وقد عهد الصـــديق الى زيد بن ثابت كاتب الوحى بذلك (١٨٧) . أما
القرآن النهائى فقد تم فى عهد الخليفة عثمان بن عفان (١٨٨) .

ومن المعروف أيضا أن جيش عمرو الفاتح قد ضم عددا كبيرا من هؤلاء الصـــ
وغيرهم من الحفاظ والقراء لكلام الله العزيز . . وقد نزلوا بالفسطاط واختطوا بها ا
والمنازل (١٨٩) . وكان جل اهتمامهم آنذاك هو نســـــخ المصاحف وحفظها ، بحيث
الصحابى لا يخرج من داره صباحا الا وقد نظر فى المصحف الشريف (١٩٠) .

وقد حث الاسلام المسلمين على تعلم القرآن وتعليمه للناس (١٩١) ، كما كان الصحا
عهد النبى صلى الله عليه وسلم حتى أنهم أجازوا الحصول على الأجـــر فى سبيل ؛
كتـــــــاب الله العـــــــزيز .

وهكذا شجع الخلفاء الراشدون والولاة فى الأمصار ، حيث أقبل هؤلاء على الق
يتفهمونه ، والحديث يجمعونه ويشرحونه وذلك لأنهم آمنوا بأن الاســـلام هو عزه
الدنيـــــــا ورجـــــــاؤهم فى الآخـــــرة (١٩٢) .

وكما يذكر ابن عبد الحكم فان عمر بن الخطاب خطب فى الناس فأوصاهم بالق
وقراءته على الناس ، وأن يكونوا أشد الاخلاص فى ذلك ، وألا يريدون به الدنيا ، وأ
خطبته هذه قائلا لهم : « ألا فاريدوا الله بأعمالكم وأريدوه بقراءتكم » (١٩٣) . كما نق
ابن عبد الحكم أيضا عن الرواة أن عمرو بن العاص أمير الديار المصرية فى أعقاب الفتح
شديد الاهتمام بأمر القرآن وما تضمنه من نصـــوص وأحكام ، يتضح ذلك فيمـــا نق

الليث بن سعد عن نافع مولى ابن عمران أن صبيغا العراقى جعل يسأل عن أشـــياء من القرآن فى أجناد المسلمين حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب فى المدينـــــــة (١٩٤) .

وحينما عرض الأمر على أمير المؤمنين عاقبه على ذلك وكتب الى أبى موسى الأشعرى عامله على البصرة ألا يجالسه احد من المسلمين ، ثم عفا عنه وكتب اليه بأن يأذن للناس فى مجالســـته والأخـــذ عنـــه (١٩٥) .

ولعل السبب فى ظهور القراءات المختلفة للقرآن لم يكن راجعا الى اختـلاف لهجات العرب او فيما دب من خلاف بين جند الشام وبين أهل العراق ، وانما كان مرجعه الى طبيعة الخط العربى يومئذ ، فالكلمة الواحدة فى رسمها قد تقرأ بأشكال مختلفـة وذلك تبعا للنقط فوق الحروف أو تحتها ، كما ان عدم وجود الحركات النحوية وفقدان الشكل فى الخط العربى قد يجعل للكلمة حالات مختلفة من حيث موقعها من الاعراب وبالتالى من حيث قراءتها فى ذلك الوقت المبكر من تاريخ الاسلام (١٩٦) .

وهكذا كان منشأ القراءات المتنوعة وقد عبر ابن خلدون عن تلك القراءات واختلافها بقوله (١٩٧) : « وهو متواتر بين الأمة الا أن الصحابة رووه عن رسول الله صلى الله عليـه وسلم على طرق مختلفة فى بعض ألفاظه وكيفيات الحروف فى أدائها » .

وكان من اشهر هؤلاء الصحابة القراء الذين يحفظون كتاب الله ويعلمونه للآخرين ، أبو ذر الغفارى الذى وفد على مصر واختط بها بعد الفتح (١٩٨) ، وعبد الرحمن من ملجم المرادى (ت . ٤٠ هـ) ، وعقبة بن عامر الجهنى .

كان عبد الرحمن بن ملجم المرادى (١٩٩) ممن أخذ القراءة عن الصحابى معـــاذ ابن جبل ، كما ذكر ابن النديم ، فان ابن جبل كان من الصحابة الأوائل الذين كان لهم السبق فى جمع القرآن كله على عهد النبى صلى الله عليه وسلم (٢٠٠) .

وقد وفد ابن ملجم على مصر وأقام بها بتكليف من أمير المؤمنين عمر بن الخطـاب لاقراء المصريين القرآن الكريم ، وصارت له حلقة بالمسجد الجامع لتعليم الناس القرآن ، وكما يذكر ابن دقماق (٢٠١) فانه تسهيلا لمهمته فان أمير المؤمنين كتب الى عمرو بن العاص يأمره بمنزل له بالقرب من المســـجد الجامع .

ومن تلاميذ الصحابى الجليل معاذ بن جبل أيضا كان أبو تميم الجيشانى عبد الله ابن مالك ، فقد قرأ القرآن على معاذ قبـــل قدومة مصر ، وكان من عتبـــاد أهل مصر وعلمائهم ، ولا شك أنه جلس فى جامع عمرو للاقـــراء وتعليم المصريين القــــرآن ، حتى ممــــــاته ســــنة ٧٧ هـ (٢٠٢) .

ومن فقهاء الصحابة وقرائهم الصحابى عقبة بن عامر الجهنى ، فقد كان مقرئا فصيحا مفوها ، ومن الذين شهدوا فتح مصر واختطوا بها ، وممن آلت اليه امارة البلاد سنة ٤٤هـ فى عهد الخليفة معاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية . وقد كان له مصحف بخط يده على غرار الصحابة الذين جمعوا القرآن من قبل فهو أحد مشاهير الصحابة كما يذكر الكندى وصاحب بغلة الرسول صلى الله عليه وسلم الشهباء التى يقودها فى الأســفار . ومما لا شك فيه أنه كان يعمل على تشجيع القراءات بالمسجد الجامع حيث نال مصحفه عناية المصريين الذين أحبوا صاحبه فقد كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن (٢٠٣) .

كما تشير المصادر الى الصحابى مسلمة بن مخلد الأنصارى الذى شهد فتـــح مصر واختط بها فى المكان الذى عرف بدار الرمل بالقرب من المسجد الجامع ، كما اختط معه فى هذه الدار أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٠٤) ، وكان مســلمة ممن يجيد حفظ القرآن ويقرأ من مصحف عثمان (٢٠٥) ، ومما يروى عنـــه أنه صلى بالناس اماما بالمسجد فقرأ بسورة البقرة بجميعها فى صلاة الظهر ، فلا غـــرو أن بلغ إهتمامه بالاقراء والقراءات وحلقها بجامع عمرو لا سيما خلال سنوات امارته للديار المصرية (٤٧ — ٦٢ هـ) فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وابنه يزيد (٢٠٦) .

ومن هؤلاء القراء الذين ذاع صيتهم وأفردت لهم حلقة بجامع عمرو الصحابى عبيــد ابن محمد أبو أمية المعافرى ، نقل السيوطى أنه شهد فتح مصر (٢٠٧) ، كما نقل المقريزى أنه كان أول من أقرأ القرآن بمصر ، لكنهما لم يشيرا الى طريقته فى القراءة وعمن أخـــذ قراءته التى أخذ يعلمها للناس يومئذ بالمسجد الجامع (٢٠٨) .

كما يذكر ابن عبد الحكم الصحابى اياس بن عبد الله القارىء بمصر الذى اختط له دارا غربى دار بنى شرحبيل بن حسنة بالقرب من المسجد الجامع ، ولا شك أنه كان قارئا مشهورا وربما كانت له حلقة للاقراء أيام الأمويين (٢٠٩) .

وفى عهد الأمير عبد العزيز بن مروان (٦٥ — ٨٥ هـ) كانت حلقـــات القراء عامرة بالمسجد الجامع ، فمن هؤلاء القراء نذكر التابعى أبا الخير مرثدا اليزنى (٢١٠) ، أخذ القراءة عن الصحابى عقبة بن عامر ، كما أخذ عن عبد الله بن عمرو ، وقد بلغ فى علـــوم القرآن شأوا عظيما فى عصره حتى أن الوالى عبد العزيز كان يجلسه للفتيا بالمسجد الجامع كمـــا أشرنا من قبـــل (٢١١) .

كما نذكر كذلك المقرىء عبد الرحمن بن جبير المصرى الذى أخذ القراءة عن عقبـــة وعبد الله بن عمرو أيضا ، وقد كان عبد الرحمن عالما بالفرائض ، ومؤذنا لجامع عمرو ، كما كان عالما بالقراءة (٢١٢) ، وهكذا كانت مشـــاركته فى تعليم القرآن الذى صـــار أصل التعـــليم فى صـــدر الاســـلام (٢١٣) .

وقد اشار ابن عبد الحكم الى اهتمام أمير مصر عبد العزيز الملحوظ بأمر المصاحف والقراءة فيها ، لا سيما بعد أن بعث الحجاج بن يوسف الثقفى امير العـــراق ببعض المصاحف الى مصر ، فقد أمر حينذاك بكتابة المصحف الذى جعله فى المسجد الجامع (٢١٤) ، ويبدو من قول المؤرخ الاسلامى المقريزى أنه ظل موجودا به حتى زمانه (٢١٥) . وقد تمت مراجعة هذا المصحف ، ولما فرغ من ذلك كان يحمل الى المسجد غداة كل جمعة من دار الامارة فيقـــرأ فيه ثم يرد الى موضـــعه (٢١٦) .

ومن اصحاب حلق القراءة بجامع عمرو نذكر القارىء أبا طعمة الأموى مولى عمـــر ابن عبد العزيز ، قدم مصر من المدينة بعد أن أخذ عن مولاه عمر عندما كان واليـــا على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك ، كما أخذ عن عبد الله بن عمر أيضـــا ، وقد أقام ابو طعمة وحدث أهلها وأصـــبح ثقة ، وكان ممن أخـــذ عنـــه عبد الله بن لهيعـــة المحـــدث المصـــرى الشـــهير (٢١٧) .

وفى عهد عمر بن عبد العزيز جلس للاقراء بجامع عمرو القارىء والفقيـــه جعثل ابن هاعان بن سعيد الرعينى (٢١٨) ، وكان شيخه فى القراءة أبو تميم الجيشانى المعروف ، ومما يدل على اهتمام الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز بامر القرآن وحلقات القـــراء فى المساجد بالأمصار ، وعلى ما بلغه القارىء جعثل فى مجال القراءة أنه أمره بالخـــروج من مصر الى المغرب لتعليم أهلهـــا القـــرآن حينذاك (٢١٩) .

كما تشير المصادر التاريخية الى بعض الشخصيات التى كان لها نشاطها فى أواخر العصر الأموى فى مجال القراءات ، منهم عبد الرحمن بن هرمز الأعرج صاحب ابى هريرة حيث كان أحد القراء والعلماء بالعربية وأعلم الناس بأنساب العرب ، تلقى تعليمه بالمسجد الجامع ، ثم خرج الى الأسكندرية ومات بها سنة ١١٧ هـ ، والقارىء بكير بن عبد الله الأشج ، وكان من العلماء الأجلاء ومن القراء المشهورين ، أقام بمصر بعد أن وفد عليها من المدينة وظل بالفسطاط حتى مات سنة ١٢٢ هـ (٢٢٠) . وصارت له حلقة بالمسجد الجامع (٢٢١) ، وقد أخذ عنه جماعة من أهل العلم الذين ذاع صيتهم بعد ذلك أمثال يزيد ابن أبى حبيب ، وعمرو بن الحارث والليث بن سعد وغيرهم من المصريين ، وهو من أوائل الذين رحلوا الى مصر بقراءة نافع وقرأ بها فى حلقته (٢٢٢) .

ومن هؤلاء اصحاب الحلق فى تلك الفترة أيضا نذكر الامام قباث بن رزين ، فهو لم يكن يؤم الناس فى صلاتهم بالمسجد الجامع فحسب على حد قول ابن يونس المؤرخ المصرى ، بل كانت له حلقة يقرىء المسلمين فيها القرآن أيضا ، ومن تلاميذه عبد الله ابن لهيعة وغيره من كبار المحدثين والقراء وأصحاب علوم القرآن فى عصر الولاة .

ظهور قراءة نافع وتلاميذه بمصر فى عصر الولاة العباسيين :

كان من أوائل المصريين الذين رحلوا الى المدينة طلبا للعلم الليث بن سعد ، حيث وجد يومئذ امام الناس فى القراءة بها نافعا فأخذ القرآن عرضا عليه ، وبعد أن استمع الى مالك وغيره رحل الى العراق ثم عاد الى مصر ، وجلس فى المسجد الجامع وتحلق الناس من حوله فكانوا يسألونه عن خصائص قراءة نافع ، وما تميزت به عن غيرها من القراءات فيجيبهم الى ذلك (٢٢٣) .

كان الليث يدرك قيمة قراءة نافع الذى انتهت اليه رياسة الاقراء بالمدينة ذلك لأن نافعا أخذ قراءته عن التابعين من أهل المدينة الذين تلقوها عن الصحابة الذين شهدوا العرضة الأخيرة التى لحق بعدها الرسول بالرفيق الأعلى ، وهكذا كان يرى أن قراءة أهل المدينة أثبت القراءات وأدقها أداء لاتصال سندها بالرسول صلى الله عليه وسلم (٢٢٤) . هذا ولم يكن ذلك تعصبا من الليث لالتقائه مع نافع فى النسبة الى أصبهان (٢٢٥) .

والواقع أن الليث بن سعد مفتى مصر فى ذلك الوقت لم يكن هو أول من تعلم قراءة

نافع وعلمها لأهل مصر ، بل سبقه الى ذلك القارىء عبد الرحمن بن ميسرة مولى الملامس الحضرمى (٢٢٦) ، حيث كان أول من أقرأ بمصر بحرف نافع قبل سنة ١٥٠ هـ ، ولا شك أنه كان صاحب حلقة بالمسجد الجامع لتعليم المصريين قراءة القرآن على طريقة شيخه نافع صاحب أحد القراءات السبع المعروفة وكانت وفاته سنة ١٨٨ هـ (٢٢٧) .

ومن أئمة القراءات بالفسطاط كان سقلاب بن شنينه أبو سعيد المصرى ، قرأ على نافع ، وكانت له حلقة يقرىء الناس بها وقد عاصر القارىء الشهير عثمان بن سعيد الشهير بورش ، وأخذ عنه يونس بن عبد الأعلى ، ويعقوب بن الأزرق ، وظل يعلم المصريين قراءة نافع حتى مات سنة ١٩١ هـ (٢٢٨) .

ومن هؤلاء القراء الذين أخذوا عن نافع امام المدينة فى القراءة آنذاك القارىء معلى ابن دحية بن قيس (٢٢٩) ، فقد رحل الى المدينة وتعلم قراءة نافع التى تفرد بها ، ومن الطريف أن دحية فوجىء أن شيخه يقرىء الناس بجميع القراءات ، وكان يعتقد أنه يقتصر فى القراءة على حرفه (٢٣٠) ، وهذه الرواية تدل أوضح دلالة — ان صحت — على تمكن قارىء المدينة نافع فى القراءات السبع التى صارت أصولا للقراءة عند الأئمة القراء ، وبعد عودته الى مصر اصبحت له حلقة للاقراء بجامع عمرو . وقد قرأ عليه بها كل من يونس بن عبد الأعلى ، وعبد القوى بن كمونة ، وأبو مسعود المدنى (٢٣١) ، وهكذا انتشرت قراءة نافع بين المصريين فى ذلك الوقت .

ظهور قراءة ورش المصرى :

كان عثمان بن سعيد المعروف بورش من الموالى المصريين الذين أسلموا فهو مولى آل الزبير بن العوام (٢٣٢) ونبغ فى قراءة القرآن بعد أن رحل الى المدينة وأخذ عن نافع طريقته فى القراءة وهو الذى لقبه بورش لشدة بياضه ، ثم لم يلبث أن عاد الى مصر واشتغل بالاقراء فى جامع عمرو ، وقد ذاعت شهرته حيث انتهت اليه رياسة الاقراء يومئذ (٢٣٣) فقد استطاع نتيجة لتعمقه فى الدراسات النحوية واللغوية ، أن يختار له طريقة تختلف عن القراءة التى تلقاها عن شيخه نافع ، وذلك من حيث مخالفته فى بعض الأصول العامة للأداء وفى قراءة بعض الحروف المنتشرة فى القرآن ، وهكذا تمكن ورش من أن يخرج بقراءة ذات طابع خاص يميزها عن غيرها من القراءات وأصبح امام القراءة المنسوبة اليه ، وقد توفى سنة ١٩٧ هـ (٢٣٤) .

ومن الملاحظ أن غالبية القراء بمصر كانوا يقرأون على طريقة نافع حتى ظهرت قراءة ورش التى كان لها صداها بين المصريين آنذاك، وكان من أشهر تلاميذه بمصر ، أبو يعقوب الأزرق يوسف بن عمر بن يسار المدنى ، فقد لازم ورشا فى حلقته بالمسجد الجامع مدة طويلة وأتقن عنه الأداء ، يقول السيوطى (٢٣٥) وخلفه فى الاقراء بالديار المصرية ، وانفرد عنه بتغليظ اللامات وترقيق الراءات ، وظل فى حلقته يعلم الناس حتى كانت وفاته فى عهد الوالى عنبسة بن اسحق سنة (٢٣٨ — ٢٤٢ هـ) آخر الحكام من العنصر العربى الذين تولوا امارة مصر من قبل الخلافة العباسية (٢٣٦) .

ومن الأئمة الأعلام عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم أبو الأزهر المصرى ، وكان كوالده شهيرا فى القراءة ، حدث عن أبيه عبد الرحمن بن القاسم الفقيه المالكى المشهور الذى سبقت الاشارة اليه ، كما حدث عن عبد الله بن وهب المحدث والفقيه المشهور أيضا ، تتلمذ عبد الصمد وقرأ القرآن على ورش ، وصارت له حلقة للاقراء فيها على طريقة شيخه .

وكان أبو الأزهر لا يجيد فقط قراءة ورش ، بل انه استطاع ان يجيد قراءة حمزة الكوفى كاجادته قراءة نافع ، فقد التقى مع على بن يزيد بن كيسه الذى وفد على مصر وأقام بها ، وكان يجيد قراءة حمزة احد القراء السبعة الذين ذاع صيتهم فى ذلك العصر (٢٣٧) .

وقد تمكن ابو الأزهر من جمع هاتين القراءتين فى كتاب واحد بلغ من جودته أن حرص على سماعه فى حلقته تميذاه من الأندلس وهما ابن بازى ، وابن وضاح اللذان وفدا على مصر وأخذا عنه كما أخذوا عن غيره من الفقهاء والمحدثين المصريين (٢٣٨) وهكذا ظل أبو الأزهر علما من أعلام القراء بمصر حتى وفاته سنة ٢٣١ هـ .

كانت القراءات وحلقها بالمسجد الجامع وغيره من المساجد موضع اهتمام الولاة والقضاة خلال عصر الولاة ، كما كان وقف المصاحف على المساجد تقربا الى الله ومصدرا هاما من مصادر حصول جامع عمرو على حاجاته المتزايدة من المصاحف ، ومما يدل على ذلك ما قام به الفقيه المعروف الحارث بن مسكين الذى تولى القضاء ، حيث منع القراء الذين كانوا يقرأون القرآن بالألحان (٢٣٩) ، كما كشف أمر المصاحف التى بالمسجد الجامع وولى عليها أمينا من قبله (٢٤٠) .

وممن حضر الى مصر من الكوفة من هؤلاء القراء فى ذلك الوقت أبو سعيد بن يحيى ابن سليمان الجعفى المقرىء الحافظ ، لكن ما نقله السيوطى عنه لا يدل على أنه كان يقرىء الناس بقراءة ورش ، ولعله كان يقرأ على حروف أهل الكوفة بالعراق وهم عاصم وحمزة والكسائى من أصحاب القراءات السبع المشهورة فى ذلك العصر (٢٤١) .

وكان قد سبقه الى مصر أبو الحسن على بن يزيد بن كيسه ، وأخذ عنه نفر من تلاميذ ورش ، حيث عرض عليه داود بن أبى طيبة (ت ٢٢٣ هـ) وروى عنه حرف حمزة أحد الحروف السبع التى اشتهرت حينذاك .

وكان داود من أشهر القراء آنذاك ، فقد قرأ على ورش وأصبح من جلة أصحابه ، وقد اشتغل مع الزاهد أبى الأسود النضر بن عبد الجبار المرادى فى الكتابة لعيسى ابن المنكدر قاضى مصر (٢١٢ — ٢١٤ هـ) كما كان صاحب حلقة بالمسجد الجامع ، حيث أخذ عنه القراءة كثيرون منهم مواس بن سهل ، وابنه عبد الرحمن داود (٢٤٣) ولعل داود كان أول من قام فى مصر بتأليف كتاب فى علم القرءاة ، فقد صنف كتاب اللامات (٢٤٤) ، ولا شك أن القارىء داود اتبع فيه مذهب شيخه ورش وطريقته فى القراءة .

ومن الجدير بالذكر أنه حتى أوائل القرن الثالث الهجرى لم تكن هناك تصانيف فى القراءات أو فى علم التفسير ، وذلك على الرغم من كثرة عدد القراء فى الأمصار واختلاف القراءات ، جعلها بعضهم سبع قراءات ، وأصبح يعرف اصحابها بأصحاب القراءات ، وهى لنافع من المدينة ، وابن كثير من مكة ، وابن عامر من الشام ، وأبى عمر من البصرة ، وعاصم (ت ١٢٧ هـ) وحمزة (ت ١٥٦ هـ) والكسائى (ت ١٨٩ هـ) من الكوفة ، واعتبر نافع أهمهم بسبب أن مالك بن أنس مؤسس المذهب المالكى كان يقرأ على نافع ، الذى قرأ عليه معظم القراء المصريين حتى عثمان بن سعيد صاحب قراءة ورش التى شاع ذكرها فى ذلك الوقت بين المصريين (٢٤٥) .

ومن هؤلاء القراء الذين أسهموا فى نشاط الحركة العلمية فى أواخر عصر الولاة والتى اصطبغت بالصبغة الدينية ، القارىء والفقية أحمد بن صالح المصرى ، فقد كان اماما فى القراءات والفقه والنحو وأحد الحفاظ البارزين (٢٤٦) .

قرأ ابن صالح على ورش وغيره ، كما أخذ القراءة عن غيرهما من مشاهير القراء من

تلاميذ نافع المدنى ، وهكذا استطاع جمع شتى اتجاهات مدرسة المدينة فى القـــراءة ، ولا شك ان حلقته كانت عامرة لعلمه الغزير ، حيث أفرد لطلاب حلقته بالمسجد الجامع للتعليم والدرس علوم الفقه والنحو والقراءات التى برز فيها ، كمـــا كان عليه حـــال حلق الأئمـــــة الســـــــابقين (٢٤٧) .

ومن مشايخ القراء الذين خلد التاريخ ذكرهم فى مجال القـــراءات سليمان بن داود ابن حماد الرشدينى ، قرأ على ورش ، كما روى عن أئمة الفقـــه والحديث كابن وهب واشهب من الذين سبقت الاشارة اليهم من قبل ، كان سليمان من أجلة القـــــراء وعبادهم (٢٤٨) ، وكانت حلقته فى القراءات من أهم حلق المسجد الجامع فى عصره ، حيث تتلمذ عليه كثير من القراء ، ومما يدل على تفوقه فى هذا المجال انه جمع كتابا وصـــنفه فى « الحروف » ربما اشتمل الحديث فيه على القراءات السبع ، وقد سمعه منه تلميذه محمد بن حماد بن ماهان البغدادى ، وكانت وفاته بمصر سنة ٢٥٣ هـ (٢٤٩) .

كما نذكر من مشاهير الأئمة القراء يونس بن عبد الأعلى ، قرأ على ورش ، كمـــا تفقه على الشافعى ، وقد تصدر للاقراء والفقه فى جامع عمرو (٢٥٠) ، حيث خصص حلقته لكل من طلاب الفقه والحديث والقراءات ، وهكذا ظل مشتغلا بتدريس علوم الاسلام حتى صار ابن عبد الأعلى أحد أقطاب مدرسة مصر الدينية التى شاع ذكرها فى العالم الاسلامى فى ذلك العصـــــــــــر (٢٥١) .



هوامش الفصـــل الثــانى

(١) الكتانى : نظام الحكومة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) ذكر الامام البخارى فى صحيحه فى باب التناوب فى العلم قول عمر بن الخطاب « كنت أنا وجار لى من الأنصار نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما ، فاذا نزلت يوما حدثته بخبر ذلك اليوم من الوحى ، واذا نزل فعل مثل ذلك » . صحيح البخارى ، الجزء الأول ، طبعة دار الشعب ، ص ٣٣ .

(٣) ورد فى الأثر أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر أصحابه يوما عند صـــلاة العشاء فقال . احتشدوا للصلاة غدا فان لى اليكم حاجة فقال رفقة منهم دونك أول كلمة يتكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت التى تليها وأنت التى تليهـــا لئلا يفوتكم شىء من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم . نفس المرجع ، ص ٢٣٦ — ٢٣٧ .

(٤) اقترن لفظ العلم بالحديث الشريف منذ عهد النبى وظل حفاظ الحديث يطلقون عليه هذا اللفظ فكانوا يسمون العلماء ، واستمر هؤلاء يتناقلون الحديث حفظا عن طريق الاسناد أو أن يكتبوه ، وخير دليل على ذلك ما أوضحه الخطيب البغدادى المتوفى ســـنة ٤٦٣ هـ فى كتابه تقييد العلم وما دونه من الروايات الخاصة بعدم قيام الصحابة بتدوين الحديث مخافة الانشـــغال بغير القـــرآن .

(٥) احمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٠٨ .

(٦) روى ابن منبه أنه سمع أبا هريرة الصحابى يقول : « لم يكن أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا منى الا عبد الله بن عمرو ، فانه كتب ولم أكتب » . الخطيب البغـدادى : تقييد العـــلم ، ص ٨٢ .

(٧) ذكر الطبرى وغيره من المؤرخين أن عبد الله بن عمرو كان يقرأ السريانية ، وكتب دانيال بمصر بعد اقامته بهـــا فى داره الواقعـــة الى جـوار دار أبيه عمرو وهى دار الامـــــارة أو الدار الكــــبرى .

فتوح مصر والمغرب ، ص ١٣٩ ، تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٥ ، ص ٤٧٧ .

(٨) ومما يدل على ذلك انه أشار على أبيه بعدم الخوض فى الخلاف بين معاوية وعلى ابن أبى طالب : يذكر الطبرى أنه عندما استشاره أبو عمرو فى ذلك رد عليـــــه قائلا :

« توفى النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض ، أرى أن تكف يدك وتجلس فى بيتك حتى يجتمع الناس على امام فتبايعه » . تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ٥٦ .

(٩) الخطيب البغدادى : المصدر السابق ، ص ٨٢ ، ستيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٢٢ .

(١٠) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٥٩ .

(١١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٥٧ — ٢٥٩ ، ٢٦١ — ٢٦٤ .

(١٢) الولاة والقضاة ، ص ٣١٣ .

(١٣) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(١٤) قال أبو سعيد بن يونس : يعنى بقوله الخولة والرباب مركبين كبيرين من سفن الجسر ما بين الفسطاط وجزيرة الروضة ، تجوز من تحتهما لكبرهما المراكب . المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(١٥) صحيح البخارى ، جـ ١ ، ص ٢٩ .

(١٦) نقل السيوطى نص هذا الحديث عن ابن الربيع الجيزى ، ويدل ذلك على مدى حرص الصحابة آنذاك فى التحرى عن صحة الأحاديث ، فقد قدم الصحابى جابر بن عبد الله من المدينة الى مصر لملاقاة صحابى يعرف أنه لم يبق أحد من الصحابة يحدث به سواه . حسن المحاضرة : جـ ١ ، ص ١٨١ — ١٨٢ .

(١٧) نفس المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٨١ .

(١٨) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤٠ ، ١٥٩ — ١٦٠ .

(١٩) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ ، ص ٢٤٣ .

(٢٠) كان المحدث يلقب فى فجر الاسلام بأمير المؤمنين ، فقد ورد فى الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم ارحم خلفائى : قلنا من خلفاؤك يارسول الله ؟ قال : الذين يروون أحاديثى ويعلمونها الناس . الكنانى : نظام الحكومة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٣١٩ .

(٢١) يذكر الكندى عددا كبيرا من هؤلاء الولاة المصريين الذين جمعوا فى ولايتهم بين الصلاة والحرب ، وأيضا الخراج وذلك فى كتابه الشهير « الولاة والقضاة » .

(٢٢) الكندى : الولاة ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ ،
Lane -- Poole : A History of Egypt in the Middle Ages, p. 40.

(٢٣) ذكر الكندى على سبيل المثال ان عنبسة كان حسن السيرة فقد رد المظالم وأنصف الناس وأظهر من العدل ما لم يسمع بمثله فى زمانه وكان يروح الى المسجد ماشيا من العسكر . الولاة ، ص ٢٠٠ .

(٢٤) هل : الحضارة العربية ، ص ٧٠ ، ترجمة ابراهيم العدوى .

(٢٥) فى صحيح البخارى فى باب كيف يقبض العلم : « وكتب عمر بن عبد العزيز الى بكر بن حزم أنظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فانى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل الا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فان العلم لا يهلك حتى يكون سرا » صحيح البخارى ، جـ ١ ، ص ٣٦ ، الخطيب البغدادى : تقييد العلم ، ص ١٠٦ .

(٢٦) عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٦٨ .

(٢٧) درس فى المدينة وتنقل بين الحجاز ودمشق واتصل بالخلفاء الأمويين ، واشتهر بسعة معارفه ، وكان قوى الذاكرة شغوفا بجمع الأخبار وكان يقول : ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى ولا بذله بذلى ، وكان الزهرى ربما كتب الحديث فى ظهر نعله مخافة أن يفوته .

الخطيب البغدادى : تقييد العلم ، ص ١٠٧ ، سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٨ — ٢٩ .

(٢٨) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٨ .

(٢٩) ابن ظهيرة : محاسن مصر والقاهرة ، ص ٩٨ حاشية .

(٣٠) فى سنة ٣١ هـ غزا عبد الله بن سعد بن ابى سرح بلاد النوبة وبلغ دنقلة ، وأبرم معاهدة مع ملك بلاد النوبة ورجع جيشه ومعه عدد من الجنود الأسرى ، ومن بينهم محارب نوبى من دنقلة ، فلما بلغ الفسطاط اعتنق الاسلام وسماه مولاه سويد وكناه بأبى حبيب، وزوجه من مولاة تنتمى الى قبيلة تجيب اليمنية وكانت لهم خطة بالفسطاط تعرف باسمهم . وأنجب سويد طفلا سماه يزيد فوهبه مولاه لأسرة من الأزد كانت تعيش فى الفسطاط أيضا . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧١ ، الكندى : الولاة ،

ص ١٢ ، ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٣ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٥٩ ، عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، ص ٥٦ .

(٣١) الــــولاة والقضــــــــاة ، ص ١٣ .

(٣٢) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٣٣) وذلك لأنه كان يدور بالعاصمة كلها وله خريطة معلقة فى عنقه ، وكلما قدم قوم من العرب بخططهم يدور عليهم ، فاذا رأى شيخا سأله من لقيت وعمن كتبت ثم يدون ذلك فى خريطته . أبو المحاسن : النجــــوم الزاهــــرة .

(٣٥) فتــــوح مصر والمغــــرب ، ص ١٥٥ .

(٣٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٧٠ ، السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبــار مصر والقــــاهرة ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(٣٧) ويوجد الآن فى معرض دار الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ، وقد نشره وعلق عليه David Wiell ضمن مطبوعات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقــاهرة ، عبد العزيز الدالى : البرديات العربيــــة ، ص ٥٨ — ٥٩ .

(٣٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٣ .

(٣٩) نفس المصـــــــــدر ، ص ٣٠١ .

(٤٠) الادفــــوى : الطـــالع الســـعيد ، ص ١٧٤ .

(٤١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ .

(٤٢) المقــــريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦٠ .

(٤٣) نفس المصــــدر الســــابق ، ص ٢٦٠ .

(٤٤) المعــــــــارف ، ص ٢٩٢ .

(٤٥) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨٠ — ٢٨١ .

(٤٦) صحيح البخارى ، جـ ١ ، ص ٣٨ فى باب اثم من كذب على النبى .

(٤٨) الكنــــــدى : الـــــولاة ، ص ١٥٤ ،
Lane -- Poole : A History of Egypt, p. 31.

(٤٩) المقـــــــــدمة ، ص ٣٨٩ .

(٥٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٤٥٦ ، عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ، ص ٢٥٦ .

(٥١) رفع الأصر عن قضاة مصر ، ص ٢١ .

(٥٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ .

(٥٣) هل : الحضارة العربية ، ص ٧٠ .

(٥٤) ولد أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بمدينة بخارى ، واتجه الى حفظ القرآن الكريم وحفظ الحديث الشريف ، اعتمد على العناية بالسند والمتن وقد شهد له عالم السنة الامام الترمذى صاحب السنن ، قال عنه : لم أر بالعراق ولا بخراسان فى معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن اسماعيل . البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ ٢ ، ص ٢٧ .

(٥٥) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ .

(٥٦) أحمد عمر هاشم : السنة النبوية وعلومها ، ص ١٥٢ .

(٥٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(٥٨) اشتهر الامام مسلم بقوة حفظه وسعة أفقه ، فكان كثير من الأئمة يثنون عليه ويقدمونه على مشايخ عصرهم فى معرفة الصحيح من الحديث ، وقد نهج مسلم نهج البخارى فى تدوين صحيحه ، وكانت وفاته سنة ٢٦١ هـ ، أحمد عمر هاشم : السنة النبوية وعلومها ص ١٩٧ — ١٩٨ .

(٥٩) السيوطى : المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .

(٦٠) من قبيلة مراد اليمنية التى اختطت بالفسطاط زمن الفتح العربى ، وعاش أفرادها حتى أواخر القرن الثالث الهجرى ، كما تدل على ذلك شواهد القبور التى عثر عليها بمصر . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٨ ،
G. Wiet : Repeatoire, Chronologique, Tome 11, p. 144, p. 237.

(٦١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٨٨ .

(٦٢) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٢ — ١٧٣ .

(٦٣) نسبة الى قبيلة حضرموت اليمنية الشهيرة التى كان منها القواد والقضاة وأصحاب الشرطة وغيرهم من أصحاب المناصب الهامة بمصر ، وظل الحضرميون يتمتعون بمكانة مرموقة حتى القرن الثالث الهجرى . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٨ ، الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ .
M. Hassan Hawary et H. Rached, Steles Funeraires, tome 1, pp. 39 — 40, p. 102.

(٦٤) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٣٤٠ ، ٣٤٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٨ .

(٦٥) السيوطى : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ .

(٦٦) اختطت الأزد حول المسجد الجامع بالفسطاط ، ثم اتسعت فى دورها حتى بلغت قبالة دار سعيد بن غفير المؤرخ المعروف . كما تدل أوراق البردى على دورهم فى الحياة العامة بالفسطاط حتى القرن الثالث الهجرى . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٥ .
Grohmann : Arabic Papyri tome 11, pp. 127, 179.

(٦٧) من قبيلة مهرة اليمنية كانت منازلهم كما يذكر ابن عبد الحكم قبلى أهل الراية مما يلى منازل ابن سعد بن أبى السرح ، وكانوا اذا أتوا لصلاة الجمعة بالمسجد الجامع ربطوا خيولهم وقد اتسعت خطتهم حتى لقيت خطة غافق فى ناحية السوق .

(٦٨) نسبة الى قبيلة غافق التى اختطت بالفسطاط منذ أيام الفتح وعاشت بها حتى أيام الطولونيين والاخشيديين ، كما تدل على ذلك شواهد القبور التى عثر عليها . ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ١٦٩ .
M. Hassan Hawary et Hussein Rached : Steles Funeraires, tome 1, p. 12.

(٦٩) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٢٤ .

(٧٠) طبقات الصوفية ، ص ١٢٤ نشر أحمد الشرباصى .

(٧١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ .

(٧٢) الأعلاق النفسية ، ص ١١٦ .

(٧٣) الفقه لغة الفهم كما ورد فى قوله تعالى : ((**فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا**)) أما الفقه اصطلاحا فهو العلم بالأحكام الشرعية وكيفية استنباطها من كتاب الله وسـنة نبيـه .

(٧٤) أحمد أمين : فجـر الاسـلام ، ص ٢٢٥ .

(٧٥) يقول الله تعالى فى سورة النساء الآية ٦٥ ((**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**)) ،

(٧٦) كان أهل الفتوى فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ومحاولة استخراج الأحكام ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر ، وحذيفـة بن اليمـان ، وزيد بن ثابت وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعرى وسلمان الفارسى رضى الله عنهم أجمعين . عبد الحى الكتـانى : نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ، جـ ١ ، ص ٥٦ .

(٧٧) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ ، أحمـد تيمـور : المذاهب الفقهيـة الاربعـة ، ص ٤٨ .

(٧٨) ابن خـلدون : المقـدمة ، ص ٣٩٩ .

(٧٩) صحيح البخارى ، جـ ١ ، ص ٤٥ باب ذكر العلم والفتيا فى المسجد .

(٨٠) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٣٠٣ .

(٨١) أشار الله عز وجل الى مكانة الصحابة ومنزلتهم فى الاسلام بعد منزلة رسوله الكريم فى قوله تعالى : ((**وشاورهم فى الأمر**)) فقد رضى صاحب التنزيل أن يشـاورهم ويرضى باجتهادهم وذلك لأن ضمائرهم مرضية عند الله تعالى ، ولولا ذلك لما أمر نبيـه بمشاورتهم ، فدل ذلك على يقينهم وصحة ايمانهم ومنزلتهم فى العلم . المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٦٣ .

(٨٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص

(٨٣) الذهبى : كتاب دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ٥٥ .

(٨٤) السيوطى : المصـدر السـابق ، ص ٢٩٥ .

(٨٥) ذكر الكندى أن الأكدر كان سيد لخم وشيخها ، وقد ضربت عنقه سنة ٦٥ هـ بسبب رفضه المبايعة لمروان بن الحكم وجماعة معه من قبيلة المعافرة اليمنية .

(٨٦) عرف ابن خلدون علم الفرائض فذكر أنه معــــرفة فروض الوراثة وتصحيح ســـهام الفريضـــة ، المقـــــدمة ، ص ٣٩٧ .

(٨٧) أشار السيوطى الى تلك المسألة وأوضح أن الأكدرية هى محاولة قسمة الميراث بين زوج وأم وجد وأخت وأم . حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٧١ — ١٧٢ .

(٨٨) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٣ .

(٨٩) الـــــولاة والقضـــــــاة ، ص ٣١٤ — ٣١٧ .

(٩٠) Lane -- Poole : A History of Egypt, in the Middle ages p. 39

(٩١) الكندى : الولاة والقضـــــاة ، ص ٣١٧ .

(٩٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٦ .

(٩٣) المقــــــــدمة ، ص ١٩٣ .

(٩٤) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٩٥) ذكر ابن الكندى من كان بمصر من الفقهـــاء والعلمـــاء فكان أولهم يزيد بن أبى حبيب ثم الليث بن سعد . فضائل مصر ، ص ٤٠ .

(٩٦) المقريزى : المصـــدر الســـابق ، ص ٢٥٩ .

(٩٧) عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، ص ٤٧ .

(٩٨) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٧ — ٢٩٨ .

(٩٩) نسبة الى رعين القبيلة اليمنية التى اختطت حول المســـــجد الجامع ، وظل أفرادها يعملون بمصر حتى القرن الثالث الهجرى . ابن عبد الحكم : فتــــوح مصر والمغــــــــرب ، ص ١٧٢ ،

M. Hassan Hawary et H. Rached : Steles Funeraires, tome 1, No, 8317, p. 60.

(١٠٠) تفقه بالمدينة ثم رحل الى مصر وأقام بها قال عنه ابن المدينى : لم يكن بالمدينة بعد كبار التابعين اعلم من ابن شهاب ، ويحيى الأنصارى وبكير الأشج . الســـيوطى : المصـــــدر الســـــابق ، ص ٢٩٨ .

(١٠١) قال ابن يونس عنه أنه توفى بأفريقية وقيل بل غرق فى بحار الأســـكندرية سنة ١٢٨ هـ . السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(١٠٢) تولى القضاء سنة ١٢٠ هـ من قبل الأمير حنظلة بن صفوان الكلبي وذكر الكندي العديد من مسائل الفقه التي واجهته أثناء توليه منصبه. القضاة، ص ٣٤٨ — ٣٥١.

(١٠٣) السيوطي : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .

(١٠٤) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٢٣ .

(١٠٥) عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ، ص ٢٤٥ .

(١٠٦) الشهاوي : تاريخ التشريع الاسلامي ، ص ١٣٨ .

(١٠٧) فضائل مصر ، ص ٦٩ .

(١٠٨) ولد الليث بقرية قلقشندة من أعمال القليوبية سنة ٩٣ هـ ، وقيل ان أصله من أصبهان في فارس ، وكان لليث دار بقريته فهدمها ابن رفاعة والي مصر عنادا له . ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٣٢٧ — ٣٢٨ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٠٣ .

(١٠٩) طوف الليث في كثير من البلدان لتلقي العلم ، حيث رحل الى مكة والمدينة وبيت المقدس وبغداد ، وتلقى من الأئمة التابعين نحو تسعة وخمسين حديثا ، وكان من أشهرهم الامام مالك بن أنس في المدينة . ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨١ .

(١١٠) حزن المصريون جميعا لموته ، نقل ابن خلكان : أنه سمع أحدهم يقول يوم مات الليث :

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم غريبا وقبر

وقد أصبح قبره من المزارات الشهيرة بالقرافة . وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ . المقريزي : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤٨٢ .

(١١١) فضائل مصر ، ص ٤٠ .

(١١٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠١ .

(١١٣) القضاة ، ص ٣٦٤ ، ٣٧٢ ، ٣٨٤ .

(١١٤) السيد أحمد خليل : الليث بن سعد ، ص ٩٤ .

(١١٥) Lane -- Poole : A History of Egypt, in the Middle ages p. 39

(١١٦) ولد أبو حنيفة النعمان بالكوفة سنة ٨٠ هـ وتوفى فى بغداد سنة ١٥٠ هـ وجده من أهل كابل ، وأدرك أربعة من الصحابة ، وكان عالما عابدا ورعا كثير الخشوع ، وكان أبو حنيفة ممن تبحر فى الفقه ، فاذا سئل فيه تفتح وسال كالوادى وقيل فى عصره : من أراد أن يتبحر فى الفقه فهو عيال على أبى حنيفة . وكان اماما فى القياس ، يتحرى الحديث فلا يروى الخبر الا اذا رواه جماعة ثقات ، وأجمع الفقهاء على الأخذ به ، وقد اندثرت كتب الفقه التى صنفها أبو حنيفة التى ذكرها ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨٤ ، عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ، ص ٢٥٤ .

(١١٧) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٤٦ .

(١١٨) السيد خليل : الليث بن سعد ، ص ١٤٤ .

(١١٩) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦١ ، أحمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة ، ص ٦٦ .

(١٢٠) الـولاة والقضاة ، ص ٣٧٢ .

(١٢١) المصدر السابق والصفحة .

(١٢٢) الولاة والقضاة ، ص ٤٧٦ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٦٣ .

(١٢٣) ولد مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى فى المدينة سنة ٩٣ هـ ، كان شديد البياض يميل الى الشقرة ، طويلا عظيم الهامة ، يلبس الثياب العدنية الجياد ، ويكثر حلق شاربه ، وسعى به الى جعفر بن سليمان والى المدينة فدعى الى مجلسه وجرده من ثيابه وضربه أسواطا فزاد بذلك رفعة وشأنا وهو ثانى المذاهب الأربعة فى القدم ، ويقال لأصحابه أهل الحديث .

ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨٠ ، أحمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة ، ص ٦٤ .

(١٢٤) ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٢٨١ ، السيوطى : المصدر السابق ، ص ٣٠٢ .

(١٢٥) فضائل مصر ، ص ٤٠ ، ابن النديم ، المصدر السابق .

(١٢٦) القضاة ، ص ٤١٨ .

(١٢٧) وكان يقول : ليس فى قرب الولاة ولا فى الدنو منهم خير ، . وقد سبق فى ذلك حجة الاسلام الامام الغزالى الذى كان يرى أنه من واجب العلماء ألا يقفوا على باب سلطان . احياء علوم الدين ، جـ ١ ، ص ١١٥ .

(١٢٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٣ .

(١٢٩) المالكى : رياض النفوس ، ص ٢٥ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .

(١٣٠) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٨١ .

(١٣١) المقدمة : ابن خلدون ، ص ٣٩٦ .

(١٣٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦١ ، ابن دقماق : الانتصار جـ ٤ ، ص ٩ .

(١٣٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨١ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .

(١٣٤) القضاة ، ص ٤٣٣ .

(١٣٥) عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٧٢ ، المقدمة ، ص ١٨ ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٨١ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ .

(١٣٦) احياء علوم الدين ، جـ ٥ ، ص ١٩٣ ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٧ م .

(١٣٧) أشار المقريزى الى جوسق بنى عبد الحكم وهو الحصن الذى بناه عبد الله ابن عبد الحكم وكان جوسقا كبيرا به فناء فى وسط القرافة وقد تم دفنه به كما ظل مشتهرا حتى عهد المقريزى وسمى « جوسق عبد الله بن عبد الحكم الفقيه الامام » الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤٦٦ .

(١٣٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .

(١٣٩) المصدر السابق ، والصفحة .

(١٤٠) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .

(١٤١) الكندى : القضاة ، ص ٤٦٩ .

(١٤٢) المصدر السابق ، ص ٤٧٤ .

(١٤٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .

(١٤٤) الغزالى : احياء علوم الدين ، جـ ٥ ، ص ١٩٣ .

(١٤٥) الغـــزالى : احياء علوم الدين ، جـ ٥ ، ص ١٩٣ .

(١٤٦) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .

(١٤٧) الكنـــدى : الولاة والقضـــاة ، ص ١٥٤ .

(١٤٨) أنشد الشـــافعى فى هـــذا المعنى :

لقد أصبحت نفسى تتوق الى مصر ومن دونها قطع المهامه والقفـــر
فوالله ما أدرى أللفـــوز والغنى أساق اليها أم أساق الى القبـــر

(١٤٩) ابن خـــلدون : المقـــدمة ، ص ٣٩٥ .

(١٥٠) عرفت بالخشابية بعد وفاته نسبة الى القاضى الفقيـــه مجد الدين عيسى ابن الخشاب الذى درس بها ، وكان وكيلا لبيت المال فى عصر المماليك . ابن دقمـــاق : الأمصـــــــار ، جـ ٤ ، ص ٨٠٠ .

(١٥١) كان تلاميذ الشافعى يقدرونه حق قدره ، فمن ذلك ما قاله تلميـــذه الربيع ابن سليمان المرادى المؤذن : « والله ما جرؤت أن اشرب الماء ، والشافعى ينظر الى هيبة له » كتاب الأم ، العدد الأول ، ص ١٧ — ١٨ ، طبعة دار الغد العربى ، ١٩٨٩ م .

(١٥٢) الشافعى : كتاب الأم ، المقدمة نشر دار الغد العربى ، القاهرة .

(١٥٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٤ — ٣٩٥ ، أحمد تيمور : المذاهب الأربعة ، ص ٧٦ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٦ .

(١٥٤) الكنـــدى : الولاة والقضـــاة ، ص ٤٣٨ .

(١٥٥) قيل أن السبب فى ذلك التغيير الفقهى الذى أحدثه الشافعى بمصر ، انمـــا يرجع الى مخالطة أهل مصر وما رآه من عادات وحالات اجتماعية مصرية تخالف ما سمع ورأى فى الحجاز والعراق ، وهكذا تغير وجه الاجتهاد عنده فى بعض مسائله وأمكنـــه من وضع أصول علم الفقه الذى اشتهر به وأصبح ينسب اليه كمـــا قال الفخـــر الرازى (٦٠٦ هـ) عنه « ان نسبة الشافعى الى علم الأصول كنسبة ارســـطو الى علم المنطق وكنسبة الخليل بن أحمد الى علم العروض . ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٥ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٦ .

(١٥٦) يقع هذا الكتاب فى سبعة مجلدات ضخمة كأنها جهد فريق من العلماء وذكـــر

ابن النديم من أسماء كتبه التى جمعها وأملاها فى كتـابه الأم ما يزيد عن مائة وعشرين كتابا . الفهرست ، ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(١٥٧) المصـدر السـابق ، ص ٢٩٦ .

(١٥٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٤ .

(١٥٩) انشـد المزنى فى رثـائه يقـول :

سقى الله هذا القبر من وبل مزنه　　من العفو ما يغنيه عن طلل المزن

لقد كان كفؤا للعـداة ومعقـلا　　وركنا لهـذا الدين بل أيما ركن

كما رثاه شاعر آخر بالفسطاط حيث قال :

لله در الثرى كم ضم من كـرم　　بالشـافعى حليف العـلم والأثر

يا جوهر الجوهر المكنون من مضر　　ومن قريش ومن ساداتها الأخـر

لما توليت ولى العـلم مكتئبـا　　وضر موتك أهل البـدو والحضر

هذا ولم يزل قبر الامام الشافعى يزار ويتبرك به بعد وفاته حتى قام الملك الكامل الأيوبى ببناء قبة على ضريحه فى جمادى الأولى سنة ٦٠٨ هـ ، وقيل أنه وجـد مكتوبا عنـد رأسـه :

قضيت نحبى فسـر قـوم　　حمقى بهـم غفـلة ونـوم

كأن يـومى على حتـم　　وليس للشـامتين يـوم

ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٥ ، ابن جبير ، كتاب الرحلة ، ص ٢١ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤٨١ — ٤٨٢ .

(١٦٠) نسبة الى بويط احدى قرى صعيد مصر ، وقد ذكر ياقوت قريتين يحمـلان نفس الاسم احداهما بالقرب من بوصير تلك القرية التى قتل بها مروان بن محمد آخـر خلفاء بنى أمية سنة ١٣٢ هـ والأخرى قرية فى كورة سيوط ولم يحدد ياقوت أى القريتين وانما قال : « والى احداهما ينسب ابو يعقوب بن يحيى البويطى المصرى الفقيه صاحب الشافعى رضى الله عنه والمدرس بعده فى حلقته » . معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٥١٣ .

(١٦١) ابن النديم : المصـدر السـابق ، ص ٢٩٨ .

(١٦٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ .

(١٦٣) الكنـدى : الولاة والقضـــــاة ، ص ٢١٢ .

(١٦٤) ابن النـــــديم : الفهرست ، ص ٢٩٨ .

(١٦٥) ذكر ابن النديم أنه من قبيلة مزينة احدى قبائل اليمن ولكن ابن حـــزم فى كتابه جمهرة أنساب العرب يشير الى هذه القبيلة وينسبها الى مضر من عرب الشمال فهى من بنى طابخة المضرية ، ومنهم الشاعر المشهور زهير بن أبى سلمى ، الفهرست ، ص ٢٩٨ ، الجمهرة ، ص ٢٠١ ، ابن دقماق : الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٣ ، المقـــريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٥٥٧ .

(١٦٦) الفهرست ، ص ٢٩٩ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ .

(١٦٧) أصبح قبره من المزارات السبعة الشهيرة التى أشـــار اليهـــا المقريزى ، الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤٧٩ .

(١٦٨) شاركت خولان اليمنية فى أعمال الفتح ، وقد عظم شـــــأنها أيام الأمويين والعباسيين فكان منها القادة والعلماء ورجال الحكم ، وتدل شـــواهد القبور على كثرة عـــــددهم وقـــوتهم الظـــــاهرة .

G. Wiet : Repert, Chro, tome 11, pp. 54, 64, 65, 80, 129, 162, 207.

(١٦٩) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٩ .

(١٧٠) الـــولاة والقضـــــــاة ، ص ٣٩٩ .

(١٧١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٩٨ .

(١٧٢) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٧ .

(١٧٣) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٩٨ ، الشهاوى : تاريخ التشريع الاسلامى ، ص ١٨٥ .

(١٧٤) اتفق الجميع على أن راوى كتاب الأم هو الربيع بن سـليمان المرادى وليس الجيزى ، ومما يثبت ذلك ما ورد فى العدد الأول من الأم وفى باب الطهـــارة وهو أول الكتاب حيث ورد فيه : « أخبرنا الربيع بن سليمان قال : أخبرنا الشافعى رحمـــه الله تعالى قال ، قال الله عز وجل : **« اذا قمتم الى الصلاة فاغســلوا وجوهكم وأيديكم الى**

المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين » الآية . نشر دار الغـــد العــــربى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

(١٧٥) ابن النـــديم : الفهرست ، ص ٢٩٧ .

(١٧٦) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٤٨

(١٧٧) المقـــدمة ، ص ٣٩٤ — ٣٩٥ .

(١٧٨) ولد أبن حنبل ببغداد سنة ١٦٤ هـ ورحل فى طلب العلم ، ورجع الى بغداد حيث تتلمذ على الشافعى من سنة ١٩٥ حتى سنة ١٩٧ هـ صنف كتاب المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يجمع غيره ، وقد تأخر ظهور مذهبه بمصر الى القرن الســـابع . ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٥ ، أحمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة ، ص ٨٨ — ٨٩، عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاســـلامية ، ص ٧٥٨ .

(١٧٩) ذكر السيوطى أن العبيديين يعنى الفاطميين أقاموا مذهب الرفض والشيعة ، ولم يزالوا من حكم مصر حتى أواخر القرن السادس الهجرى ، فتراجعت اليها الأئمـــة فى سائر المذاهب ، حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٨٠ .

(١٨٠) الكندى : الولاة والقضـــاة ، ص ٢١٠ — ٢١١ .

(١٨١) العسب : جمع العسيب وهو جريد النخل .

(١٨٢) اللخاف : الحجارة الرقيقة جمع اللخفـــة .

(١٨٣) الرقـــاع : من جلد أورق فى جمع رقعة .

(١٨٤) القراطيس : جمع قرطاس وما كان يعمل من سيقان البردى وقد اشتهرت مصر بانتاج أوراق البردى أو هـــذه القراطيس .

(١٨٥) الأديم : هـــو الجـــلد .

(١٨٦) الأقتاب : جمع قتب وهو الرحل أو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير .

(١٨٧) الطبرى : تاريخـه ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ ٢ ، حوادث بسنة ١٢ هـ ، سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ١٧ .

(١٨٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، حوادث سنة ٣٠ هـ .

(١٨٩) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤١ — ١٤٥ .

(١٩٠) عبد الحى الكتانى : نظام الحكومة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ .

(١٩١) أخرج الترمذى والنسائى وابن ماجة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تعلموا القرآن واقرءوه فان تعلم القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه من كل مكان . ومثل من يتعلمه فيرقد وهو فى جوفه كمثل صرات أوكئت على مسك » المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

(١٩٢) أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٩٤ ، الطبعة الثامنة .

(١٩٣) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٦ — ٢٢٧ .

(١٩٤) ويبدو أن صبيغا كانت قراءته للقرآن تختلف عما كانت عليه طريقة الجند العرب بمصر ، فخشى عمرو من ان يحدث فتنة كما وقع بعد قليل عندما نشب الخلاف بين جند الشام وجند العراق فى أرمينية وأذربيجان ، حيث كان جند الشام ممن يقرأون على قراءة المقداد بن الأسود وأبى الدرداء . وجماعة أهل العراق ممن يقرأون على قراءة ابن مسعود وأبى موسى الأشعرى وبين فريق ثالث حديث عهد بالاسلام . وقد أسرع حذيفة بن اليمان الى المدينة خشية وقوع الفتنة وطلب من عثمان بن عفان أن يدرك الأمة قبل ان تهلك ، وهكذا سارع عثمان بالعمل على جمع القرآن فى مصحف واحد وهو ما عرف بمصحف عثمان أو بالمصحف فقط . ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٣٠ هـ ؛ هيكل : عثمان بن عفان ، ص ١٠٩ ، عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ ١ ، ص ٢٥١ ، الطبعة الثانية .

(١٩٥) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٦ .

(١٩٦) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، جـ ١ ، ص ٥٠٦ .

(١٩٧) المقدمة ، ص ٣٨٥ .

(١٩٨) اختط بالفسطاط تلك الدار التى ذكر اسمها ابن عبد الحكم وهى دار العمد ذات الحمام ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٣ .

(١٩٩) ذكر المسعودى أن عبد الرحمن لم يكن من قبيلة مراد بل من قبيلة تجيب ، لكن جاء عداده فى مراد اليمنية فنسب اليها ، وهو قاتل الامام على بن أبى طالب سنة ٤٠ هـ . مروج الذهب : جـ ٢ ، ص ٤٢٣ .

(٢٠٠) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٤ ، ابن النديم : الفهرست ، ص ٤١ .

(٢٠١) الانتصار ، جـ ٤ ، ص ٦ .

(٢٠٢) الولاة ، ص ٣٦ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ .

(٢٠٣) الذهبي : تاريخ دول الاسلام ، جـ ١ ، ص ٥٥ ، السيوطي : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ .

(٢٠٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٤٣ .

(٢٠٥) كانت المصاحف تباع منذ عهد عثمان ، كما كان حرص الصحابة على مصاحبة المصاحف فى أسفارهم ، وليس أدل على انتشارها حينذاك فيما ورد ذكره فى واقعة صفين بين جيش العراق وجيش الشام عندما تم رفع المصاحف التى قدرت بنحو خمسمائة مصحف . المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٤ . الكتانى : نظام الحكومة النبوية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٧ .

(٢٠٦) الكندى : الولاة ، ص ٣٩ — ٤٠ .

(٢٠٧) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢١٨ .

(٢٠٨) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٢٠٩) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٤ .

(٢١٠) من قبيلة يزن التى تنسب الى الأذواء اليمنية ، واليهم تنسب الرماح اليزنية الشهيرة . الثعالبى : فقه اللغة ، ص ٢٥١ ، البرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ٢٣ .

(٢١١) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٢٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، حـ ١ ، ص ٢٩٦ .

(٢١٢) السيوطى : المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

(٢١٣) يعلل ابن خلدون أسباب ذلك فى أن الصحابة والتابعين احبوا ان ينشئوا أولادهم على حفظ القرآن لما يسبق به الى القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث ، المقدمة ، ص ٤٩٠ .

(٢١٤) فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٣ .

(٢١٥) يقول المقريزى : فأمر (يعنى عبد العزيز بن مروان) فكتب له هذا المصحف الذى فى المسـجد الجـامع « اليـوم » .

(٢١٦) ابن دقماق : الانتصـار ، جـ ٤ ، ص ٧٢ .

(٢١٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٧١ .

(٢١٨) نسبة الى قبيلة رعين اليمنية التى اختطت حول المسجد الجامع فى الفسطاط وتدل شواهد القبور التى تم العثور عليها على أنها ظلت تقيم بمصر حتى القـرن الثالث الهجرى . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٧٢ .
M. Hassan Hawary et H. Rached, Steles, Funeraires, tome 1, No, 8317, p. 60.

(٢١٩) السيوطى : حسن المحـاضرة ، ص ٢٩٨ .

(٢٢٠) المصدر السـابق ، ص ٣٤٥ ، ص ٢٩٨ .

(٢٢١) نفس المصـدر ، جـ ١ ، ص ٣٤٥ .

(٢٢٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم أحد القراء السـبعة ، كان ممن عنى من القراء الأوائل بمعرفة الوقف والابتداء فى القرآن أى معرفة المواضع من الآيات التى يحسن بالقارىء الوقوف منها ثم يبدىء بما بعدها ، وكان نافعا قد قرأ على أبى ميمون مولى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يلبث أن ذاع صيته بعد أن استمع الناس الى قراءته فأعجبوا بها وأقبلوا عليها يتعلمونها ، وهكذا تجاوزت المدينة الى سائر الامصار حيث انتهت اليه رياسة القراء آنذاك ، ابن قتيبة : المعـارف ، ص ٢٩٤ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٦٨ — ١٦٩ .

(٢٢٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، جـ ٢ ، ص ٩٠ .

(٢٢٤) السيد احمد خليل : الليث بن سعد فقيه مصر ، ص ١٢٠ — ١٢١ ، طبعة دار المعـارف .

(٢٢٥) ابن قتيبة : المعارف ، ص ٢٩٤ ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٣٢٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٣ ، ص ٤٠٣ .

(٢٢٦) الملامس بن جذيمة كان عريف حضرموت القبيلة اليمنية الشـهيرة التى

اختطت بالفسطاط بعد أن وفدت الى مصر فى عهد الخليفة عثمان بن عفان . ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ١٦٨ — ١٧٠ .

(٢٢٧) الكندى : الولاة ، ص ١١٨ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٢٢٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٨٥ .

(٢٢٩) المصدر السابق ، والصفحة .

(٢٣٠) ورد فى الأثر عن القراءات السبع انها مشتقة من الحروف السبعة نظرا لما روى : أنزل القرآن على سبعة أحرف ، السيد خليل : الليث بن سعد ، ص ١٢٠ .

(٢٣١) ابن خلدون : المقدمة، ص ٣٨٥ ، البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ١٨٨ .

(٢٣٢) ظهر عدد كبير من المصريين الموالى ، كان آباؤهم أو أجدادهم من القبط او النوبة الذين أسلموا فى أعقاب الفتح الاسلامى لمصر مثل يزيد بن أبى حبيب النوبى الأصل ومثل عثمان بن سعيد الملقب بورش .

(٢٣٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٨٥ .

(٢٣٤) البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ١٩٥ .

(٢٣٥) السيوطى : حسن المحاضرة ، ص ٤٨٦ .

(٢٣٦) الكندى : الولاة ، ص ٢٠٠ — ٢٠١ ،
Lane – Poole : A History of Egypt, p. 40.

(٢٣٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٨٦ .

(٢٣٨) ابن الفرضى : تاريخ العلماء بالأندلس ، جـ ٢ ، ص ١٥ مطبعة الخانجى ، البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ٢٤٦ .

(٢٣٩) اختلف أصحاب المذاهب السنية فى استجازتها ، ولم يوافق عليها الا الامام الشافعى وهى القراءة بالتلحين ، كما اختلف الأمر بالنسبة لوقت ظهورها . عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٦٩ .

(٢٤٠) ذكر الكندى أنه منع القراء الذين فى مسجد محمود من القراءة بالألحان وغيره ، وهذا المسجد من المساجد التى ذكرها المقريزى وينسب لمحمود بن سالم بن مالك

الطويل من أجناد السرى بن الحكم الذى تولى امارة البـــلاد ســـنة ٢٠٠ هـ . الولاة والقضاة ، ص ١٦١ ، ٤٦٩ ، الخطط ، جـ ٣ ، ص ١٩٨ .

(٢٤١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٨٦ .

(٢٤٢) البرى : القـــرآن وعـلومه فى مصر ، ص ٢٤٦ .

(٢٤٣) الكندى : الولاة ، ص ٤٣٥ ، ياقوت : معجم الأدباء ، جـ ١١ ، ص ٢١٦ ، السيوطى : حسن المحـــاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٨٦ .

(٢٤٤) هذا الكتاب يعالج أساسا مواضع تغليظ اللام وترقيقها فى القرآن ، البرى : القــــرآن وعــــلومه فى مصر ، ص ٢١٧ .

(٢٤٥) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٦٨ ، الطبعة الثانية .

(٢٤٦) الذهبى : تاريخ دول الاســـلام ، جـ ١ ، ص ١٤٩ .

(٢٤٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٦ .

(٢٤٨) المصدر الســـابق ، ص ٤٤٨ ، ص ٤٨٦ .

(٢٤٩) البرى : القرآن وعــلومه فى مصر ، ص ٢٢١ .

(٢٥٠) السيوطى : المصــدر الســابق ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ .

(٢٥١) وقد توفى ابن يونس سنة ٢٦٤ هـ عن ثلاث وتسعين عاما . الذهبى : دول الاســــــلام ، جـ ١ ، ص ١٦٠ .

الفصل الثالث

مجالس الأدب ورواية الأخبار وقبلة العلماء من بلاد المغرب والأندلس



أولا : مجالس أرباب اللغة والنحو والأدب .

ثانيا : مجالس الرواة والاخباريين .

ثالثا : قبلة طلاب العلم من أهل المغرب والأندلس .



أولا : مجالس أرباب اللغة والنحو والأدب

لم تقتصر حلقات العلم والدرس بالجامع العتيق على رواية الحديث والعمل على تدوينه بعد ذلك ، أو قراءة القرآن ودراسة الفقه والفرائض ، بل وجدنا عددا كبيرا من الصحابة والتابعين الذين أقاموا بالفسطاط ، وقد أصبح لهم نشاط ملموس فى عقد مجالس الأدب وانشاد الأشعار والعمل على نقدها وذلك فى أعقاب الفتوح وبناء الأمصار الاسلامية .

جاء العرب المسلمون الى مصر يحملون معهم ثقافتهم التى ورثوها عن أسلافهم فى الجاهلية ، وكانت تتضمن ذكر أيامهم وأنسابهم التى حفظوها فى أشعارهم ، ولكن الاسلام كان له أثره الذى أحدثه فى تراثهم ، فقد أصبح عليهم أن يغيروا من أغراض الشعر الموروث ، ولا سيما تلك الأشعار الخاصة بالعصبية القبلية (١) .

ومن المعروف أن العرب كانوا يقدرون شعراءهم ويجلونهم حتى قيل أنهم كانوا يعتبرونهم بمنزلة الأنبياء فى الأمم (٢) ، ولكنه لما نزل القرآن الكريم ، حقر من شأنهم ونال من أغراضهم ومكانتهم ، وما كان ذلك الا بالنسبة لشعراء المشركين وقصائدهم التى انشدوها فى مهاجمة الدعوة الاسلامية والعمل على تكذيبها ، وفى النيل من صاحب هذه الدعوة بمكة والمدينة وهكذا رد عليهم القرآن وكشف عن مزاعمهم كما حط من قدرهم (٣) .

وقد عبر ابن خلدون عن اهمية الشعر ابان الفتوح الاسلامية حيث قال : « وجعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطبهم وأصلا يرجعون اليه فى الكثير من علومهم » (٤) .

تطور الشعر بعد ظهور الاسلام فأصبح وسيلة التعبير القوية عن حوادث الفتح وأعمال الجهاد فى سبيل الله حينذاك ، فمن ذلك ما عبر به القائد العربى الفاتح عمرو بن العاص عند حصاره لحصن بابليون (٥) :

يوم لهمدان ويوم للصدف والمنجنيق فى بلى مختلف
وعمرو يرفل ارفال الشيخ الخرف

ولما استحر القتال وكثر البلاء والجهاد بين العرب الفاتحين واهل النوبة ، عبر الشاعر كذلك كما نقل الكندى حينما قال (٦) :

والخيل تعدو بالدروع المثقلة لم تر عينى مثل يوم دمقلة

وهكذا تطورت أغراض الشعر ، فبعد أن كانت قاصرة على المباهاة والتمدح بالعصبية من نسب وحسب ، أو الهجاء والمراثى والوصف والتشبيب صارت سجلا صادقا لأحداث الفتح وسائر الوقائع التى وقعت بين العرب والمسلمين أنفسهم ، ومرآة تعكس سائر الاتجاهات الدينية والمذهبية المختلفة .

وقد شجع على ذلك وجود طائفة من الصحابة الذين شاركوا فى فتح مصر واختطوا بها وكانوا من الشعراء البارزين ، نذكر منهم بحرا الرعينى (من قبيلة رعين اليمنية) وبدر بن عامر الهذلى ، ذكر أبو الفرج الأصبهانى أنه كان شاعرا مخضرما ، وأبا الدرداء عويمر بن عامر الأنصارى ، أبا ذؤيب الهذلى الشاعر وهو خويلد بن مخلد ، وأبا صرمة الأنصارى واسمه مالك بن قيس مالك وكان شاعرا مجيدا (٧) .

ومن هؤلاء الشعراء التجيبيين نذكر الصحابى أبا قبان بن نعيم بن بدر التجيبى والشاعر ابا مصعب قيس بن سلمة ، وقد وردت أشعارهما التى أنشدها كل منهما بمناسبة تنازل قيسبة بن كلثوم عن موضعه لبناء الجامع عليه ، التى ظلت تتردد بين اروقة هذا المسجد فى أعقاب بنائه سنة ٢١ هـ (٨) .

ومن الشعراء المخضرمين نذكر أيضا حسان بن تابت (٩) شاعر الرسول ويبدو أنه وفد على مصر فى أعقاب الفتح الاسلامى ، وقد انفرد ابن جبير (١٠) بذكر مشهده من بين المشاهد الأولى بالقرافة (١١) ، كما ذكر مشهد معاذ بن جبل وعقبة بن عامر الجهنى وغيرهما من المواضع التى ظل المصريون يقومون بزيارتها حتى القرن السادس الهجرى .

كما ذكر الكندى أن الصحابى الجليل عقبة بن عامر الجهنى كان قارئا فقيها وقارضا للشعر (١٢) ، وهكذا صار بمصر فى المسجد الجامع من هؤلاء الصحابة عدد كبير ممن يقولون النثر المنظوم أو الشعر .

ولما انتقلت الخلافة من الحجاز الى الشام فى عهد معاوية بن أبى سفيان وأصبحت دمشق مقرا لها ، عمل الخلفاء الأمويون على تشجيع الشعراء ليدافعوا عن حقهم فى الخلافة التى جعلوها وراثية فى اسرتهم ، وخير دليل على ذلك مما ورد فى المصادر من قول معاوية : « اجعلوا الشعر أكبر همكم واكثر آدابكم » (١٣) .

وقد حفلت المصادر التاريخية بالعديد من قصائد الشعر التى نظمت فى حق الأمويين ومديحهم ، وأيضا فيما وقع بينهم وبين الزبيريين من أتباع الخوارج المصريين ، فمن ذلك ما قاله الشاعر ابن أبى زمزمة الجشنى ، يوم حفر خندق الفسطاط للدفاع عنها ضد مروان بن الحكم (١٤) .

ويوم أن تم قتل العدد الكبير من قبيلة المعافر وقتل شيخها وسيدها الأكدر بن حمام صاحب الفريضة الأكدرية المعروف (١٥) .

كما انتعشت مجالس الأدب والشعر فى عهد عبد العزيز بن مروان لما اشتهر به من الجود والسخاء على الشعراء والوافدين ، نذكر منهم جميل بن معمر العذرى ، وكان من أشهر شعراء التشبيب ، قدم على عبد العزيز بن مروان ممتدحا له فأذن له فى الانشاد وأحسن جائزته وسأله عن حبه لبثينة فذكر له وجدا كثيرا ، وقد أقام بمصر حتى مات بها سنة ٨٢ هـ (١٦) .

كذلك تردد على مصر الشاعر كثير عزة ، ونصيب بن رباح (١٧) ، وأيمن بن خزيم ابن قاتلة الأسدى ، وقد روى صاحب الأغانى ما وقع بين عبد العزيز بن مروان وأيمن من الشحناء بسبب نصيب الشاعر . وقد نقل الكندى ما قاله الشاعر أيمن يوم تولى عبد العزيز امارة البلاد ووصاية أبيه له بهذه المناسبة التاريخية (١٨) .

كما حفظ لنا الكندى تلك القصائد الشعرية التى عبر بها الشاعر المعروف عبد الله ابن قيس الرقيات عما كان يجود به الأمير عبد العزيز بن مروان على القبائل العربية ، وما امتدح به الأمير عندما قام بعمارة حلوان واتخذ بها البساتين سنة ٧٠ هـ (١٩) .

مجـــالس الأدب فى العصر العبـــاسى :

شجع الولاة العباسيون اهل العلم والأدب، كما أجزلوا العطاء للشعراء الوافدين عليهم من بغداد وغيرها من حواضر الاسلام ، وكان من هؤلاء الشاعر المشهور أبو نواس ، قـدم الى مصر على الخصيب بن عبد الحميد ، وكان صاحب الخراج يومئذ من قبل الخليفـة هارون الرشيد ، وقد استأذن الخصيب فى انشاده بعض قصائده فأذن له ، ومما يذكر أنه لما شغب أهل مصر على الخصيب لزيادة فى اسعارهم حينذاك ، طلب الشاعر أبو نواس أن يأذن له فى الخروج اليهم ، فكان أن خرج حتى وافى المسجد الجامع ، وقد تواعدوا أن يجتمعوا فيه فخطب فيهم وأنشد بعض الأبيات ، قيل أنه ارتجلها على المنبر ، فلمـا سمعها من اجتمع من الناس تفرقوا فلم يبق أحد منهم (٢٠) .

وقد أقام أبو نواس بالفسطاط فترة من الزمن ، ثم رحل الى بغداد حيث توفى بهـا سـنة ١٩٥ هـ (٢١) .

كما تشير المصادر التاريخية والأدبية الى الشاعر أبى تمام الطائى الذى نشأ بمصر ، فكان يسقى أول امره الماء بالمسجد الجامع ، فيسمع من الشيوخ وأصحاب مجالس الأدب والشعر ، وقد اتجه الى بغداد حاضرة الخلافة العباسية فجالس الأدباء والعلماء ثم عاد الى مصر وجالس الأدباء بها وأخذ عنهم حتى قال الشعر فأجاد وشـاع ذكره حينذاك بمصر وخارجها ونقل السيوطى عن الخطيب البغدادى أنه توفى فى الموصل سنة ٢٢٨ هـ (٢٢) .

كان الشاعر فى ذلك الوقت اذا ما أنشد شعرا وأحس بأنه قد أجاد فيه ، فانه يسرع الى المسجد حيث يتناقش مع المشاهير من أهل العلم والأدب ، وقد عبـر المستشرق « لينبول » عن مجالس الأدب والشعر آنذاك فقال : « وحيث يوجد فريق من الفقهـاء والشعراء وقد جلسوا جميعا يتحلقون حول صحن الجامع ، وأخـذوا يشرحون للفيف الناشئين من طلاب العلم والأدب بلاغة الأسلوب ودقته » ، فكان الشاعر ينشـد قصيدته أمام هؤلاء النقاد فى زهو ولكن فى شىء من الخوف والرجاء ، حيث كان المستمعون اليه ممن لا يسمحون بأية هفوة أو خروج عن الوزن أو القافية أو خطأ فى المعنى (٢٣) .

وهكذا كانت مجالس الأدب تعقد فى المسجد الجامع ، فقد كان لهؤلاء الأدباء من أهل البلاغة والبيان أسلوبهم فى التعبير عن آرائهم حول تلك القصائد الشعرية وأصحابها من الشعراء المبتدئين ، لا سيما بعد أن وضعت القواعد والأوزان وعرفت تلك البحور ، وهو

ما عرف أيضا بعلم العروض ، فضلا عما قام به الادباء فى ذلك الوقت من جمع الأشـعار وتدوينها بعد أن كانت تنشد فى مجالس الأدب فى المسجد الجامع وغير من المساجد (٢٤) .

ونعتقد أن من هؤلاء الأدباء الذين شاركوا فى مجالس الأدب بجامع عمرو الشـاعر دعبل الخزاعى ، حيث كانت وفادته على مصر فى عهد الخليفة العباسى المأمون وواليه على مصر آنذاك الأمير المطلب بن عبد الله بن مالك (١٩٨ — ١٩٩ هـ) ، وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل الى على رضى الله عنه ، ولا غرابة فى ذلك فمن المعروف ان المأمون حاول نقل الخلافة من البيت العباسى الى البيت العلوى وتغير لباس آبائه وأجداده من السـواد الى الخضرة ، الا أن العرب فى بغداد رفضوا ذلك كما رفضوا ازدياد نفـوذ الفرس حينـذاك (٢٥) .

ونقل الأصفهانى تلك القصيدة التى مدح بها دعبل الشاعر المطلب امير البلاد حينذاك، وكان اكرامه له أن ولاه أسوان ، ثم ما لبث أن عزله عنها (٢٦) .

ويبدو أنه أصبح ذائع الصيت فى عصره ، فقد خلف نحو ثلاثمائة ورقة من القصائد الشعرية ، كما يذكر ابن النديم أنه صنف كتاب « طبقات الشعراء » (٢٧) . ومما لا شك فيه أنه شارك بنصيب كبير فى نشاط حلق اهل اللغة والعروض والشعر بالمسجد الجامع وذلك طوال فترة اقامته بالفسطاط وقد عاصر المطلب حتى ولايته الثالثة على مصر التى انتهت سـنة ٢١٠ هـ (٢٨) .

كما نعتقد ان الشاعر عبد العزيز العامرى كان من شعراء الفسـطاط البارزين فى العصر العباسى ، حيث أصبح له زقاق يحمل اسمه بالحاضرة المصرية (٢٩) .

كان الفتن والاضطرابات السياسية والخلافات القبلية التى وقعت بمصر فى اواخر القرن الثانى الهجرى ، وتحريض الولاة أو حكام البلاد أثر كبير فى نظم الشـعر وكثرة انشاد القصائد الشعرية ، وفى ظهور طائفة من الشعراء والأدباء الذين كانت تهزهم تلك الأحداث وما يجرى فى حاضرة مصر وغيرها من الحواضر الاسلامية الكبرى . نذكـر من هؤلاء الشعراء سعيد بن عفير (١٤٦ — ٢٢٦ هـ) وقد نقل الكندى له اثنتى عشرة قصيدة تتناول الأحداث التى وقعت فى الفترة من عام ١٦٨ هـ الى سنة ٢٠٩ هـ (٣٠) وينجلى فى معظم قصائده ميوله القبلية وعصبيته الواضحة لعرب الجنوب القحطانيين ، كمـا يظهر نقده الشديد للولاة فى أكثر من مناسبة ، ولم يعرف عنه أنه اتصل بباب هؤلاء الأمـراء أو الحكام مما يدل على شخصيته القوية واستقلالها آنذاك .

ومن أهم قصائده الشعرية التى ألقاها سعيد بن غفير ما عبر فيها عن الأحداث التى وقعت وتلك الثورات ، منها ثورة أهل الحوف الشرقى والفسطاط على موسى بن مصعب الحنفى الذى تولى أمور البلاد سنة ١٦٧ هـ (٣١) ، وثورة عبد العزيز الجروى التى بدأت سنة ١٩٩ هـ (٣٢) وشغلت بال الولاة والخلفاء العباسيين فى بغداد ، وأيضا ما وقع بين المصريين وبين الخراسانين من نزاع وصدام سنة ٢٠٠ هـ وذلك عندما تولى السرى ابن الحكم حيث استقبله الجند من أهل خراسان وعقدوا له كما يقول الكندى وامتنع المصريون من ولايته ، فكان مقتل هبيرة بن هشام بن حديج (٣٣) وهزيمة المصريين .

كان الشاعر ابن عفير لسان حال المقاومة الشعبية فى الواقع فهو يهجو الامير هجاء صريحا لا مواربة فيه ، وربما لقى مصرعه من معاصريه الذين كانوا يتحلقون بالمسجد الجامع من أجل التعبير عن مساندتهم لهؤلاء الأمراء ، وذلك كما فعل الشاعر المعلى الطائى الذى كان معاصرا لابن عفير،حيث كان يمتدح الولاة ، ثم لا يجد حرجا فى الاشادة بأعدائهم أو منافسيهم اذا ما آلت اليهم السلطة أو حكم البلاد بعد ذلك .

وقد نقل الكندى من شعر المعلى الشىء الكثير ، فمن ذلك ما أنشده فى امتداح المطلب بن عبد الله عندما استطاع أن ينتصر الأمير على خصومه من أتباع الجروى والقيسيين (٣٤) . ومن المعروف أن الشاعر معلى الطائى كان قد اتصل بأبى نواس أثناء فترة اقامته بمصر .

وممن شاركوا فى مجالس الأدب وانشاد الشعر الشاعران يحيى الخولانى (من قبيلة خولان اليمنية) وطاهر القيسى (من قيس المضرية) وقد أظهرا كلاهما الغضب للعنصر العربى وبغضهم لأهل الذمة آنذاك ، ويتجلى ذلك فى القضية التى عرفت فى تاريخ مصر الاسلامية بقضية أهل الحرس ، ومحاولة الانتساب الى احدى القبائل العربية . فقد كان هجاؤهما للقاضى العمرى وأهل الحرس شديدا فى أشعارهما (٣٥) .

وحينما أصدر البكرى القاضى حكمه وقام بنقض قضية أهل الحرس وردهم الى أصلهم ، رأينا الشاعر طاهر القيسى يمتدح هذا القاضى فى ابيات له (٣٦) :

ولقد قمعت بنى الخبائث عندما   راموا المعلى وتحوتكوا وتعربوا
فرددتهم قبطا الى آبائهم   ونسيب أصلهم الذى قد غيبوا

وتركتهم مثــلا لكل ملصــــق   نســبا اذا التقت المحافل يضرب

ومن هؤلاء الشعراء الذين برزوا فى مجال الأدب ولا سيما خلال سنوات المحنة والقول بخلق القرآن الشاعر الحسين بن عبد السلام ، فقد ذكر الكندى له أكثر من قصيدة يهجو فيها القاضى محمد بن أبى الليث الذى أمر بالاكتتاب على المساجد : « لا اله الا الله رب القرآن المخلوق » فمن ذلك قول الشاعر يهجو هذا القاضى المعتزلى (٣٧) :

وليت حكم المسلمين فلم تكن   بــرم اللقــاء ولا بقط ازور
ولقــد بجست العــلم فى طلابه   وفجرت منه منابعا لم يفجـر

كما أورد الكندى قصيدته الشعرية التى هاجم فيها ابن ابى الليث قاضى مصر يومئذ لتعطيله حلق المسجد الجامع من العلم والدرس . فمن أبيات هذه القصيدة (٣٨) :

وحطمت قــول الشــافعى وصحبه   ومقــالة ابن عليــة لم تصحر
الزقت قولهم الحصـير فلم يجـز   عرض الحصير فان بدا لك فأشبر
والمالكية بعـــد ذكر شــائع   اخملتهــا فكأنمــا لم تذكــر

وكان القاضى قد منع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد وامره أن لا يقربوه ، وما أعقب ذلك من هروب الفقهاء من امتحانهم أمامه أيام المحنة التى ابتلى بها العالم الاسلامي فى عهد الخليفة الواثق .

وهكذا عبر الشاعر الحسين بن عبد السلام عن هذه المحنة ايما تعبير ، كما هجا القاضى ابن أبى الليث عندما بطش بالقطاس الفقيه والعالم الذى كانت له حلقة فى المسجد الجامع ، وكذلك حينما منع القاضى الفقهاء والعلماء المصريين من لبس القلانس نحو سنة ٢٣٠ هـ ، فكانوا لا يدخلون اليه ولا يحضرون مجلسه فى قلنسوة .

وقد ذاع صيته بين معاصريه وأقرانه حينذاك ، وذكر ابن النديم (٣٩) أنه خلف نحو خمسين ورقة من الشعر . كما خلف محمد بن الحارث الشاعر والخليل بن جماعة المصرى كذلك بعض المدونات الشعرية .

ومن الشعراء المجيدين احمد بن يحيى الوزير التجيبى وكان معاصرا للشاعر

الشهير ابن عبد السلام ، وقد أشار اليه ابن يونس فى ترجمته وقال أنه كان فقيها وعالما بالشعر والأدب والأخبار أيام الناس (٤٠) .

وفى تلك الأثناء وفد على مصر صاحب السيرة الشهير عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافرى ، وكان اماما فى اللغة والنحو والعربية اديبا ، ولا بد أنه جلس مع معاصريه بالمسجد الجامع وشاركهم مجالس الأدب والشعر ، وقد ذكر ابن كثير أنه اجتمع به الشافعى حين قدم مصر وتناشدا من أشعار العرب أشياء كثيرة ، وكانت وفاته بمصر سنة ٢١٨ هـ (٤١) .

والواقع أن كثيرا من علماء ذلك العصر كانوا يجمعون من علوم الفقه والحديث ، وبين علوم العربية والنحو والشعر ، ومن هؤلاء محمد بن ادريس الشافعى ، وكانت حلقته تضم سائر طلاب العلم والمعرفة فى عصره ، حيث اشتملت على دروس العربية والعروض ، والشعر(٤٢) ولا غرو فقد أشار ابن زلاق الى نشاط الامام العلمى وقال : «انه صنف نحوا من مائتى جزء فى علوم الاسلام والعربية ، كما خلف العديد من القصائد الشعرية» (٤٣) ، وكان ينزع فى أشعاره النزعة الدينية التى تغلبت عليه ، كما تميزت دعوته فيها بالزهد والتوكل حيث كان يقول فى هذا المعنى (٤٤) :

توكلت فى رزقى على الله خالقى ... وأيقنت أن الله لا شك رازقى
ففى أى شىء تذهب النفس حسرة ... وقد قسم الرحمن رزق الخلائق

كما نذكر من أصحاب مجالس الأدب وحلق الشعر ذا النون المصرى الذى سطع نجمه فى سماء الفسطاط والعالم الاسلامى آنذاك ، اذ كانت حلقته تضم طلاب العربية والأدب والشعر بجامع عمرو كما هو الحال بالنسبة لمن سبقه من العلماء والفقهاء كالشافعى وغيره من الأئمة المجتهدين .

خلف العالم الصوفى ذو النون الكثير من القصائد والأشعار ولا سيما فى مجال الزهد والحب الالهى . فكان شعره وما فيه من وجد واشراق ،وضع اعجاب مريديه وتلاميذه حينذاك (٤٥) .

وهكذا أصبحت حلقة ذى النون المصرى ، وغيرها من الحلقات موئلا للأدب ومثارا للشعر ونقده ، مما أدى الى نشاط الحركة الأدبية وازدهارها خلال القرنين الثانى والثالث من الهجرة .

ثانيا : مجالس الرواة والإخباريين

نشأ التاريخ الاسلامى متفرعا من علم الحديث ، كما قيل ان التاريخ العـام ولد من ضلع الأسطورة قديما ، فمن الملاحظ أن بداية التأليف أو التدوين التاريخى عند العرب المسلمين كان وثيق الصلة بالحديث والسنة ، فعلم الحديث وما يهدف اليه من دراسة أقوال النبى صلى الله عليه وسلم وأفعاله كان جل الاعتماد فيه على الرواية الشفوية فى بداية الأمر ، كذلك علم التاريخ عند المسلمين كان يهدف فى البداية الى دراسة سـيرة النبى وأعمال الصحابة وأخبار الغزوات والجهاد ، وكان الاعتماد فيه أيضا على الرواية الشـفوية قبـل كل شىء (٤٦) .

لذلك كان الرواة والاخباريون فى القرن الأول الهجرى لا يختلفون كثيرا عن المحدثين اللهم فى هدف كل منهما ونوع الروايات الشفهية فالمحدثون يهتمون بالأحاديث النبوية أو الأخبار كما أطلقه عليها الشيعة (٤٧) التى تقرر مسائل فى الفقه والدين ، بينما اتجـه الاخباريون الى سرد السير والحوادث والمغازى وأخبار الفتوح للبلدان المختلفة .

ومما تجدر الاشارة اليه أنه غالبا ما يكون هؤلاء الرواة هم حفاظ الحديث ورواته من الصحابة والتابعين حيث سلكوا النهج نفسه فصارت كل طبقـة من التابعين تروى عن الطبقة التى سبقتها من الصحابة والسـابقين فى الاسـلام .

وكما تعرض الحديث من حيث متنه واسناده للتمحيص والتدقيق بعد ذلك لاثبـات صحة روايته (٤٨) ، كذلك نرى الرواة والاخباريين يمعنون النظر فى أسانيدهم للتأكد من صحة رواياتهم التاريخية التى اعتمدت على السماع والمشاهدة فى ذلك الوقت ، قبل القيام بالتدوين التاريخى وتقييد العلم فى أواخر العصر الأموى .

ويرى غالبيـة المؤرخين أن العـرب المسـلمين كانوا يعتمـدون على الذاكرة فى معرفة أنسابهم وأيامهم وغير ذلك من أخبار الأمم السابقة ، وأنهـم لم يعملوا على تدوين السير والمغازى أو الملاحم والفتن كما كانوا يسمونها الا فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ، بينما يرى البعض أنه ظهر عدد لا بأس به من كتاب السير والمغازى من الرعيل الأول ، وان كانت كتابات كل منهم لا تعدو صحفا أو صحائف دونوا فيها من الأحاديث

والأخبار عن سيرة النبى صلى الله عليه وسلم أو قوائم بأسماء الصحابة الذين اشتركوا فى غزواته قبل انتقاله الى الرفيـــق الأعلى (٤٩) .

نذكر من هؤلاء ابان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥ هـ) وعروة بن الزبير (ت ٩٢ هـ) وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣ هـ) الذين كانوا من أوائل كتاب الســير والمغـــازى فى المدينـــــــة المنـــــــورة (٥٠) .

وقد عاصر هؤلاء عدد من الرواة وحفاظ الحديث من الصـــحابة والتابعين الذين اشتركوا فى أعمال فتح مصر أو نزحوا اليها فى أعقاب هذا الفتح ، وســـعوا فى جمـــع الأخبار لسردها أو روايتها فى جامع عمرو بن العاص ، كان من أشـــهرهم تميم بن أوس الدارى الصحابى ، وكان من علماء أهل الكتاب ، ثم أسلم ، ولأهل مصر عنه حديث وقيل أنه كان أول من أسرج السراج فى جامع عمـــرو ، وأول من قص وروى فيه وقد توفى ســـــــــنة ٤٠ هـ (٥١) .

ومن أهل الكتاب الذين أسلموا تبيع بن عامر الحميرى المتوفى سنة ١٠١ هـ ، كان من الرواة المخضرمين ، كما كان عالمـــا بالكتب القديمـــة ، عاش بالفسطاط بعد تخطيطها وعمارتها ، ونعتقد أنه قام بتدوين بعض الصحائف له فى الأخبار والحوادث والتى نقل عنها كثير من أهل مصر من المحـــدثين والاخبـــاريين (٥٢) .

ومن كتاب السير والمغازى الذين رحلوا الى مصر فى أعقـــاب الفتح عروة بن الزبير ، ولا شك أنه جلس فى جامع عمرو راويا للسير والمغازى وما دونه منها خلال فترة اقامته بالفسطاط التى امتدت لسبع سنوات تزوج خلالها ، ولعله كان مقيما فى دار أبيـــه التى اختطها بالقرب من الجامع كما يذكر ابن عبد الحكم ، كما كان ينزل أخـــوه عبد الله ابن الزبـــير فيهـــا متى قـــدم الى مصر (٥٣) .

وقد تطورت حركة التدوين والتأليف فى المغازى فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى تطورا سريعا حتى الفت فى أواخر العصر الأموى مدونات أو تآليف شاملة ، ومن أقدم هؤلاء من أهل مصر آنذاك ، أبو قبيل حيى بن هانى بن ناضر المعافرى (من قبيلة المعافر اليمنية) فهو يعد من أقدم الرواة والمؤرخين الذين أرخوا لفتح مصر (٥٤) ، حيث كان له علم بالفتن والملاحم ، وكانت وفاته بالفسطاط سنة ١٢٨ هـ (٥٥) .

ومن هؤلاء التابعين الرواة الذين جلسوا فى المسجد الجامع ، حسين بن شفى بن مطيع الأصبحى المتوفى سنة ١٢٩ هـ (٥٦) ، ومما يذكر أن حيوة بن شريح كان يزوره مرة فوجده فى غاية الألم بسبب استيلاء بعض الناس على كتب له ، ويظهر أن اهتمامه بالحديث وتدوينه كان الغالب عليه أكثر من التأليف فى المغازى والسير حينذاك (٥٧) .

ومن أهم الرواة والمؤرخين الذين نقل عنهم ابن عبد الحكم ثم الكندى المتوفى سنة ٣٥٠ هـ المحدث يزيد بن أبى حبيب ، وعبد الله بن أبى جعفر مولى بنى أمية المتوفى سنة ١٣٢ هـ ، الذى كان معاصرا ليزيد بن أبى حبيب والحارث بن يزيد الحضرمى (ت ١٣٠ هـ) وابنه عبد الكريم (ت ١٣٦ هـ) الذى تتلمذ على يديه الليث بن سعد وروى عنه فى حلقته بالمسجد الجامع (٥٨) .

اهتم يزيد بن أبى حبيب بالرواية التاريخية ، فلم يقتصر نشاطه العلمى على رواية الحديث أو دراسة الفقه كما قدمنا ، ولا شك أن ما نقله كل من ابن عبد الحكم فى كتابه فتوح مصر والمغرب ومن بعده الكندى فى كتاب « الولاة » يدل على مدى اهتمامه بالأخبار والمغازى والفتوحات خاصة فيما يتعلق بأخبار فتح مصر وولاتها الذين تولوا شئونها فى أعقاب الفتح الاسلامى لها (٥٩) .

كما يعد عبد الله بن وهب من أهم الرواة والمؤرخين المصريين ، وذلك فضلا عن شهرته التى ذاعت فى مجال الحديث والفقه خلال النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى ، حيث يذكر ابن يونس المصرى أنه جمع بين الفقه والرواية والعبادة ، وأن له تصانيف كثيرة ، وليس من المستبعد أن يكون قد أملى من كتابه فى تاريخ مصر الذى أشار اليه المقريزى (٦٠) على طلاب حلقته من اخبار المغازى والفتوح لمصر وغيرها من البلدان والتى كانت جل اهتمامهم حينذاك .

أما الليث بن سعد مفتى الديار المصرية ، والذى كان معاصرا لابن وهب وزميله فى حلقة العلم والدرس بالمسجد الجامع ، فكان له أيضا اهتمام واضح بالرواية والتاريخ ، وقد ذكر ابن النديم من بين الكتب التى ألفها كتاب له فى التاريخ (٦١) .

والواقع أن النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى شهد طائفة من الاخباريين والمؤرخين المصريين الذين كان لهم نشاط ملحوظ ، أمثال اسعد بن موسى المتوفى سنة

٢١٢ هـ ، وعبد الله صالح المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، والنضر بن الجبار المتوفى سنة ٢١٩ هـ ، والمؤرخ عثمان بن صالح المتوفى سنة ٢١٩ هـ (٦٢) .

ذكر المقريزى أن عثمان حضر مجلس الأمير عبد الله بن طاهر فى عهد الخليفة المأمون فسأله : أنت عثمان بن صالح الذى وجهنا اليك فى كتاب بقط النوبة ، قال : نعم ، ثم وجه حديثه الى أحد الجالسين وقال : ما أعجب أمر هذه البلدة وجهنا اليهم نطلب علما من علومهم والى هذا الشيخ ، فما شفانا أحد منهم . فقلت (يعنى عثمان بن صالح) : أصلح الله الأمير ، ان الذى طلبت من خبر النوبة عندى ، قد حفظه شيوخ عن الشيوخ الذين حضروا هناك الهدنة والصلح الذى جرى بين عبد الله بن سعد وبين النوبة .

وكان هذا المجلس كما يقول المقريزى بفسطاط مصر سنة ٢١١ هـ ، بعد أن تم الصلح بين أمير البلاد عبد الله بن طاهر وعبد الله بن السرى بن عبد الحكم التميمى الأمير الذى كان قبله فى حكم البلاد .

ويبدو أن المعاهدات وغيرها من الرسائل كانت تحفظ فى الديوان مما يدل على ذلك قول المقريزى نقلا عن عثمان بن صالح حين قال : فوجه الأمير الى الديوان بظهر المسجد الجامع بمصر ، فاستخرج منه خبر النوبة فوجده كما ذكرت فسره ذلك (٦٣) .

وهكذا كان اهتمام هؤلاء الرواة والمؤرخين المصريين بأخبار الفتح وما جرى من حوادث ووقائع بين أهل مصر فى أعقاب الفتح العربى والعمل على تدوينها فى مخطوطات لهم .

وقد شجع على نشاط الرواية التاريخية فى المسجد الجامع وعلى التأليف توافد بعض المؤرخين المشاهير آنذاك الى مصر ، نذكر منهم عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافرى (٦٤) كان مولده بالبصرة حيث تلقى تعليمه فيها ، ثم رحل الى مصر وأقام بها ، وكان اماما فى اللغة والنحو والعربية ، كما أشرنا من قبل ، كما كان اخباريا نسابة ، أى عالما بالأنساب العربية (٦٥) ، وقد اشتهر ابن هشام بتأليفه لكتاب السيرة النبوية الشهير ، وليس لدينا ما يفيد جهة تأليفه لهذا الكتاب وما اذا كان تم ذلك بالفسطاط أم قبل قدومه مصر ، ومهما يكن فان اقامته بمصر كان لها أثرها فى نشاط الحركة العلمية وبصفة خاصة فى مجال اللغة والأدب والتاريخ (٦٦) .

وقد عاصر ابن هشام من المؤرخين المصريين والادباء المشهورين سعد بن عفير (٦٧)، ذكر المقريزى أنه التقى بالخليفة المأمون حين قدم مصر لاخماد احدى الثورات التى نشبت بها سنة ٢١٧ هـ ، وقد وصف ابن عفير هذا اللقاء حينما قال (٦٨) : « كنا بقبة الهواء (بفسطاط مصر) عند المأمون لما قدم مصر فقال لنا : ما أدرى ما أعجب فرعون من مصر حيث يقول : أليس لى ملك مصر ؟ فقلت : أقول يا أمير المؤمنين (يريد الاستئذان) فقال : قل يا سعيد ، فقلت : ان الذى ترى بقية ما دمر ، لأن الله عز وجل يقول : « ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون » .

وهكذا نقل المقريزى من كتاب سعيد بن عفير الذى وضعه قبل وفاته سنة ٢٢٩ هـ ، كما نقل عنه المالكى المتوفى حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى ، فهو يذكر من روايته أمر خروج عبد الله بن سعد الى افريقية والتقائه بجمع كثير من الروم ، وما جرى من مقتل جرجير ملك قرطاجنة وقائد جند الروم على يد عبد الله بن الزبير سنة ٢٧ هـ (٦٩) .

وقد سبق عبد الرحمن بن عبد الحكم كل من المالكى عالم القيروان والمقريزى حيث نقل عنه من أخبار غزو افريقية فى كتابه « فتوح مصر والمغرب » مما يدل على أن كتاب المؤرخ ابن عفير المصرى ظل معروفا وهاما لدى المؤرخين الذين خلفوه حتى أواخر القرن الثامن الهجرى فى مصر وخارجها (٧٠) .

ومن هؤلاء الفقهاء البارزين فى مصر فى العصر العباسى عبد الله بن عبد الحكم كما ذكرنا من قبل ، فهو مؤسس تلك الأسرة التى اشتهرت بمكانتها العلمية والأدبية فى الفسطاط ، والتى أصيبت بمحنة اليمة ذهبت بمالها وجاهها أيام الخليفة المتوكل العباسى وواليه على مصر على بن يحيى الارمنى (٧١)

ومن الجدير بالذكر أن ابن عبد الحكم حينذاك ، لم يقتصر اهتمامه على علوم الفقه والحديث كما قدمنا ، بل انه كان اخباريا ومؤرخا أيضا ، وخير دليل على ذلك ما جمعه فى مناقب عمر بن عبد العزيز فى تصنيف له أورد فيه جميل سيرته وحسن طريقته ، ولعله أول ما ألف فى سيرته على الأرجح (٧٢) ، فلم نسمع عن أحد من الاخباريين أو المؤرخين سبق عبد الله بن عبد الحكم فى مصر أو خارجها الى ذلك ، وقد حوى الكتاب من الحوادث الهامة والأخبار مثل أمر الخليفة ابن عبد العزيز قائد جيشه مسلمة بالقفول من

القسطنطينية وعزل اسامة بن يزيد عن مصر وحبسه اياه وعــزله يزيد بن أبى مسلم عن افريقية ، وكتابه الى الخوارج ، وكتابه الى العمال فى رد المظالم ، واكتفائه فى ردهـــا باليسير من البينات الى غير ذلك من الموضوعات الهامة التى وقعت فى فترة خلافته القصيرة .

وقد نهج فى تأليف هذا الكتاب نهج المحدثين يتضح ذلك فيما أوضحه فى عنـــوانه « سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الامام مالك بن أنس وأصحابه » كما قام ابنـــه محمد بروايته فى المسجد الجامع قبل وفاته ســـنة ٢٦٨ هـ (٧٣) .

ومن الذين اشتهروا فى مجال الرواية وكتابة التاريخ بمصر فى أواخر القرن الثانى الهجرى وأوائل القرن الثالث المؤرخ سعيد بن أبى مريم المتوفى سنة ٢٢٤ هـ ، وقد خصه ابن النديم فى كتابه « الفهرست » بالذكر دون المؤرخين المصريين ، ذكـــر أنه ألف ثلاثة كتب فى التاريخ هى كتابه فى النسب وكتابه المآثر وكتاب نوافل العرب ، ولا شـــك أن حلقته فى جامع عمرو كانت من حلقات العلم والدرس العامرة ، حيث أنه كان من الفقهـــاء وحفاظ الحديث المشـــــاهير كذلك (٧٤) .

وممن شاع ذكره أيضا فى ذلك الوقت فى مجال الرواية وأخبـــار الناس يحيى بن عبد الله بن بكر ، صنف الكثير من الكتب والمدونات التاريخية (٧٥) ، نقل فيها عن ابن لهيعة والليث بن سعد ، ومما ألفه محمد بن عمر الواقدى صاحب كتاب المغازى الشهير وكان من أشهر من نقل وروى عنه مؤرخنا عبد الرحمن بن عبد الحكم صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب (٧٦) ، كما قيل أنه جمع عددا من السجلات والوثائق فى كتـــاب له أهداها له قبـــل وفـــاته ســـــنة ٢٣١ هـ (٧٧) .

كما نذكر من هؤلاء الرواة والمؤرخين الذين كانوا من أصحاب الحلق بالمسجد الجامع محمد بن رمح بن مهاجر التجيبى المتوفى سنة ٢٤٢ هـ ، يقـــول عنه ابن يونس المصرى المؤرخ أنه كان من أعلم الناس بأخبار بلدنا (يعنى مصر) ، وذلك فضلا عن شهرته آنذاك فى مجال علم الحديث ، ولا غرو فهو تلميذ الليث وابن لهيعة ، قال النسائى عنه : ما أخطأ فى حديث واحد (٧٨) وهكذا جمع بين رواية الحديث ورواية الأخبار وتحرى الدقة فيهما على النحـــو الذى كان ســـــائدا فى ذلك الوقت .

ومن الفقهاء الذين نالوا شهرة فى مجال الرواية والتاريخ كذلك ، نذكـــر الفقيـــه عبد الحميد بن الوليد بن المغيرة المصرى ، كان فقيها نحويا ، عالما بالأخبار أعجوبة فيها ،

ولا شك أن علمه بالأخبار على هذا النحو الذى وصف به انما يدل على ما بلغه من الشهرة واجتذاب الطلاب اليه فى مجال الرواية والأخبار حينذاك (٧٩) .

ونختتم حديثنا عن الرواة والمؤرخين من أصحاب الحلق فى جامع عمرو وذلك بالحديث عن المؤرخ الذى ذاعت شهرته فى أواخر عصر الولاة وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ابن رئيس المالكية بمصر الشهير . كان من أهل الحديث والرواية ، ثم شغف بالقصص والأخبار وكلف بالتاريخ (٨٠) .

صنف كتابه « فتوح مصر والمغرب » الذى يعد أقدم الكتب فى تأريخ مصر وصل الينا، اعتمد فيه على رواية أبيه ابن عبد الحكم فى مواضع كثيرة كما نقل عن جماعة من المحدثين والرواة الآخرين كالليث بن سعد وعبد الله بن صالح وابن لهيعة ويزيد بن أبى حبيب وخالد بن حميد ويحيى بن أيوب وغيرهم من الاخباريين المصريين الذين كانت لهم حلقات للعلم والدرس يعقدونها فى جامع عمرو بن العاص (٨١) .

كما تكشف مصادر هذا الكتاب على أن ابن عبد الحكم كان يعتمد الى حد كبير على الروايات الشفوية لهؤلاء الرواة والمحدثين الذين كانوا يشكلون طائفة كبيرة فى مصر، وعلى المعلومات المدونة التى استطاع الحصول عليها كمخطوطات يحيى بن عبد الله بن بكير ، وفيما كتبه الواقدى وعبد الله بن لهيعة من التصانيف التاريخية (٨٢) .

وهكذا نرى ان الكتابة التاريخية سارت جنبا الى جنب مع حركة التدوين والتأليف فى مجال الحديث والفقه وغيرهما من العلوم الاسلامية ، مما يدل على نشاط الرواية واملائها على طلاب العلم والدرس فى جامع عمرو من جهة ، وعلى ازدهار الحركة العلمية فى اواخر عصر الولاة من جهة أخرى .

ثالثا : قبلة فقهاء وطلاب العلم من أهل المغرب والأندلس

(أ) فى مجـــــال الحـــديث .

(ب) فى مجـــــال القـــــراءات .

(ج) فى مجـــــال الفقــــه .

(أ) فى مجـــــال الحـــديث :

اشتهر جامع عمرو بن العاص بكثرة الصحابة رضى الله عنهم الذين وفدوا على مصر سواء ممن اشترك فى أعمال الفتح منهم أو ممن كان هذا الجامع فى شرف استقبالهم بعد انشائه فى ولاية عمرو بن العاص وما خلفه بعد ذلك من الحكام والولاة المسلمين .

وقد أحصى السيوطى ثلاثمائة ونيف من هؤلاء الصحابة ، وكان لكثير منهم رواية عن النبى صلى الله عليه وسلم كما أشرنا من قبل ؛ ولا شك أن ذلك كان خير حافز على حفظ الحديث وروايته بمصر قبل غيرها من بلاد افريقية والمغرب التى تم فتحها نهائيا بعد أكثر من نصف قرن من الزمان أى فى أواخر القرن الأول من الهجرة (٨٣) .

ونذكر من هؤلاء الصحابة الذين رووا الحديث فى جامع عمرو وكان لهم جهاد فى سبيل فتح بلاد افريقية والمغرب سفيان بن وهب الخولانى ، وعقبة بن نافع الفهرى الذى اختط القيروان سنة ٥٠ هـ (٨٤) ، وكان معه — كما يذكر المالكى — فى عسكره خمسة وعشرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨٥) .

ومن الصحابة الذين قاموا بغزو افريقية رويفع بن ثابت السكن المتوفى سنة ٥٦ هـ ، والحارث بن حبيب بن خذيمة الذى تم استشهاده بأرض افريقية مع الصـــحابى معبد ابن العباس بن عبد المطلب (٨٦) ، كما يذكر السيوطى نقلا عن ابن يونس المصرى من هؤلاء

الصحابة كلا من مسعود بن الأسود البلوى والمسود بن مخرمة بن نوفل الزهرى المتوفى سنة ٦٤ هـ (٨٧) .

ومن رواة الحديث الذين جلسوا الى الصحابى عبد الله بن عمرو فى جامع عمرو وأخذوا عنه أبو عبد الرحمن الحيلى عبد الله بن يزيد المعافرى ، ذكر المالكى أن الخليفة عمر ابن عبد العزيز بعثه الى أهل افريقية ليفقههم فى الدين ، فانتفع به أهل القيروان وبث فيهم علما كثيرا وكانت وفاته سنة ١٠٠ هـ (٨٨) .

كما روى الحديث عن عبد الله بن عمرو ، اسماعيل بن عبيد الأنصارى ، وأصبح صاحب علم وفقه ، ثم توجه الى القيروان ، فروى عنه من أهل المغرب بكر بن سوادة الجذامى وعبد الرحمن بن زياد وغيرهما ، وقد اشرف على بناء المسجد الكبير الذى يعرف بمسجد الزيتونة فى تونس ، وكان يصلى به ولا شك أنه كان أول من جلس فيه لتعليم الناس السنن (٨٩) .

ومن التابعين الذين رحلوا الى القيروان بعد أن تلقوا تعليمهم فى جامع عمرو ، وفى المسجد النبوى أبو تمامة بكر بن سوادة الجذامى ، روى الحديث عن الصحابى الجليل عقبة بن عامر الجهنى ، وسهل بن سهل الساعدى وسفيان بن وهب الخولانى ، كما روى عن جماعته من التابعين ، ذكر المالكى نقلا عن ابن يونس أنه كان فقيها مفتيا،ولا شك أنه أصبح صاحب حلقة فى المسجد الجامع بالقيروان (٩٠) .

ومن هؤلاء التابعين أيضا أبو سعيد جعثل بن هاعان بن عمير ، ذكر ابن يونس أنه روى عن أبى تميم الجيشانى عبد الله بن مالك فى جامع عمرو وكان أحد العشرة الذين أرسلهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لتعليم الناس واقرائهم القرآن ، وقد ولى قضاء الجند فى القيروان فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، وكانت وفاته سنة ١١٥ هـ (٩١) .

ومن هؤلاء التابعين الذين قدموا الى مصر من القيروان أبو محمد خالد بن أبى عمران التجيبى ، روى عنه عبد الله بن لهيعة ، وعمرو بن الحارث فى جامع عمرو بن العاص ، وقد اشتهر بامامته فى بلاد المشرق والمغرب حينذاك ، وكان أكثر اقامته فى تونس ، كما كان

مقبولا لدى الخليفة يزيد بن عبد الملك ، ولما ثار الصفرية بمنطقة « القرن » بافريقية برز اليهم خالد بن أبى عمـــران وقتـــل رئيسهم ابن عم عبد الواحـــد الزناتى الصـــفرى وكانت وفـــــاته ســـــــــنة ١٢٧ هـ (٩٢) .

كما نذكر من العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز الى القيروان من مصر طلق بن جابان ، جلس فى جـــامع عمـــرو معلمـــــا قبل أن يرســــله الخليفة عمر الى أهل افريقية ليعـــــــلم أهلهـــــــا السنن والدين (٩٣) .

ومن رواة الحديث الذين تولوا القضاء فى القـــيروان أبو عبد الحميد اسماعيل بن عبد الله بن أبى المهاجر القرشى ، روى عن جماعة من مشاهير التابعين فى جامع عمرو ، ثم توجه الى القيروان وأقام بها ، وقد صارت له حلقة عامرة فى المسجد الجامع ، قال عنه أحد الرواة : « ما رأيت زاهدا فى هذه الأمة غير اثنين : عمر بن عبد العزيز ، واســـماعيل ابن عبد الله المخزومى » وكانت وفـــاته ســـــنة ١٣٢ هـ (٩٤) .

ومن مشاهير التابعين الذين حفلت بهم كتب التراجم والطبقات ابو عبـــد الله على بن رباح بن نصير اللخمى ، رحل الى القيروان غازيا ومجاهدا واختط بها دارا ومســـجدا ، وانتفع به وتفقه على يديه كثير من طلاب العلم (٩٥) .

وكذلك أبو رشيد حنش بن عبد الله السبأى « الصنعانى » روى عن عبد الله بن عمرو وعامر بن يحيى المعافرى وغيرهما من رواة علم الحديث فى جامع عمرو بن العاص ، وقـــد شهد غزو الأندلس فى أواخر القرن الأول الهجرى كما ورد ذكره فى كتـــاب الجامع فى الحـــــديث ، لابن وهب المصـــــــــــــرى (٩٦) .

ومن علماء القيروان يذكر المالكى التــــابعى عبد الرحمن بن أشــــفع بن وعلة الشيبانى (٩٧) وأبا الأشعث ربيعة بن يزيد ، وكان يعرف بربيعة بن يزيد الدمشقى لأن أصله كان من دمشق ، بعثه الخليفة هشام بن عبد الملك الى افريقية فأوطنها وذلك بعد أن روى عن جماعة من الصحابة الذين اختطوا بمصر ، وقد اشتهر ربيعة بعلمه وورعه بين أهل القـــــــــيروان وافريقيـــــــة (٩٨) .

ومن الذين رحلوا الى مصر من مشاهير التابعين فى العصر الأموى أبو يحيى عياض ابن عقبة بن نافع الفهرى ، روى عن عبد الله بن عمرو وغيره من الصـــحابة والتابعين فى المسجد الجامع بالفسطاط ، كما روى عنه يزيد بن أبى حبيب واسحاق بن أبى فروة ، مما يدل على أنه جلس تلميذا ومعلما او صاحب حلقة فى جامع عمرو قبل عـــودته الى القيروان حيث أقام بها بعد وفاة أبيه عقبة الى أن توفى سنة ١٠٠ هـ (٩٩) .

ومن حفاظ الحديث الذين قدموا من القيروان لتلقى العلم بجامع عمـرو بن العاص أبو عقيل زهرة بن معبد بن عبد الله بن هشام ، رحل الى مصر فروى عن جماعة مشاهير التابعين منهم سعيد بن أيوب مقلاص الخزاعى ، وكان معاصرا لعمر بن عبد العزيز وقد عاد الى مصر وأقام بها ثم تركها وسكن الاسكندرية حتى توفى بها (١٠٠) .

كما قدم الى مصر من القيروان ابو قبيل المعافرى حيى بن هانى ، روى عن جماعة من الصحابة منهم عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر الجهنى ، ثم اتجه الى افريقية مجاهدا مع القائد حسان بن النعمان الغسانى وشهد المغازى معه ، وقد عاد الى مصر مرة أخرى وكانت وفاته بالبرلس سنة ١٢٨ هـ (١٠١) .

ومن رواة الحديث ابو ليلى دحين بن عامر الحجرى،روى عن عقبة بن عامر الجهنى، ثم اتجه الى القيروان ، فأخذ عنه بكر بن ســـواد الجذامى ويزيد بن أبى منصـــور وعبد الرحمن بن زياد بالقيروان ، ثم رجع الى مصر بعد أن شهد المشـــاهد والفتوحات الاســـــــلامية بأرض المغـــــرب (١٠٢) .

أما بلاد الأندلس فبعد أن تم فتحها فى أواخـــر القـرن الأول الهجرى ، فانه كان من أوائل المحـــدثين المصريين الذين دخـــلوها من التـــابعين على بن رباح اللخمى وحنش بن عبـــــد الله الصنعـــــــــانى (١٠٣) .

كان ابن رباح كما اشتهر بين اهل مصر من الثقاة فى الحديث،كما كان الليث بن سعد يثنى عليه فى روايته قائلا عنه : « من قال فى موسى بن على لم أجعله فى حل » وكان له مع عبد العزيز بن مروان منزلة ، يقول ابن الفرضى : « ثم عتب عليه عبد العزيز فأغـــزاه افريقيــــــة » وقد توفى ســـــنة ١١٤ هـ (١٠٤) .

كما كان من رواة الحديث عن الصحابة الذين دخلوا الأندلس أحمد بن حازم المعافرى المصرى الذى بلغ درجة عالية فى حفظ الحديث ، حتى أن عبد الله بن لهيعة كان يروى عنه وذلك قبل رحيله الى الأندلس ويحدث بها (١٠٥) .

وقد أخذ اهل الأندلس من المسلمين يرحلون الى مصر طلبا للحديث منذ أوائل القرن الثانى الهجرى ، ولعل أول من ارتحل الى بلاد المشرق الاسلامى من هؤلاء معاوية بن صالح الحضرمى ، كان قد دخل الأندلس سنة ١٢٣ هـ ثم كلفه عبد الرحمن بن معاوية الداخل بالتوجه الى المشرق لاحضار أخته أم الأصبع ، وفى هذه الرحلة اتصل معاوية بأهل الحديث والعلم بمصر حيث جالس الليث بن سعد فحدثه ، وعبد الرحمن بن مهدى ويحيى ابن سعد القطان وعبد الله بن صالح كاتب الليث وغيرهم (١٠٦) .

ويصور لنا عبد الله بن صالح كاتب الليث يومئذ نشاط معاوية بن صالح فى طلب الحديث وروايته أيضا بالفسطاط ، حيث روى عن المصريين ورووا عنه قبل عودته الى الأندلس فيقول : « قدم علينا معاوية بن صالح فجالس الليث بن سعد فحدثه ، فقال لى الليث يا عبد الله : ايت الشيخ فاكتب ما يملى عليك ، قال فأتيته فكان يمليها على ثم نصير الى الليث فنقرأها عليه فسمعتها من معاوية بن صالح مرتين » .

وقد عاد معاوية الى الأندلس حيث اشتهر بعلمه وحفظه للحديث فتولى القضاء بها وكان يروى الحديث ، وظل ينتفع الناس بعلمه حتى وفاته فى أخريات أيام عبد الرحمن ابن معاوية الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس (١٠٧) .

وعلى الرغم من أن تلك الجهات النائية اصبحت تحت حكم الأمويين بعد زوال ملكهم فى بلاد المشرق الاسلامى ، فقد توالى وفود العديد من المحدثين الى مصر أيام حكم العباسيين لها ، فمن حفاظ الحديث الذين وفدوا على جامع عمرو وشيوخه الأعلام حينذاك الحافظ عبد الله بن محمد بن زرقون السرقسطى ، حدث عن عبد الله بن صالح وعن أصبغ ابن الفرج من حفاظ الحديث والأئمة فى ذلك الوقت ، ثم رجع الى قرطبة لينشر العلم بها (١٠٨) .

كذلك يذكر ابن الفرضى من الذين رحلوا الى بلاد المشرق محبوب بن قطن بن عبد الله ، قدم مصر طلبا للعلم فسمع بها من عبد الله بن صالح أيضا كما تلقى عن غيره

من حفاظ الحديث ومن أهل الرواية آنذاك . ثم عاد الى قرطبة حيث أخذ يحدث بها ، كما ذاع صيته وقد حدث عنه من اهل قرطبة سعد بن معاذ (١٠٩) .

كذلك نذكر من الرحالة فى طلب العلم نحو بلاد المشرق بقى بن مخلد المحدث الفقيه القرطبى الشهير ، رحل الى مصر وسمع من شيوخها فى الحديث والفقه ثم ما لبث أن رجع الى بلاده ، ويصف ابن الفرضى شهرته التى عمت آنذاك فى قرطبة فيقول : وبقى بن مخلد ملأ الأندلس حديثا ورواية وما ادخله من كتب الحديث بها مثل كتب الاختلاف وغرائب الحديث حتى آن أقرانه أغروا به السلطان واخافوه به ، ولكن الله تعالى من عليه بفضله فأظهره عليهم وعصمه منهم فنشر حديثه ، كما قرأ للناس روايته ، ثم يستطرد ابن الفرضى (١١٠) : « فمن يومئذ انتشر الحديث بالاندلس » .

كما نقل كتاب الفقه لمحمد بن ادريس الشافعى وهو الام ، وكتاب « التاريخ » للمؤرخ خليفة بن خياط ، وقد أرخ فيه لفتوح مصر والمغرب وبلاد الأندلس (١١١) . وكانت وفاة بقى بن مخلد سنة ٢٥٧ هـ .

وقد لازم ابن مخلد فى رحلته الى مصر ولقائه بشيوخ المسجد الجامع محط الأنظار والآمال فى ذلك الوقت المحدث قاسم بن محمد قاسم بن يسار ، مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك ، من أهل قرطبة ، قدم الفسطاط ، وسمع من محدثيها وفقهائها البارزين حينذاك مثل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم والحارث بن مسكين وأبى الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح ، ويونس بن عبد الأعلى ، وقد لزم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم للتفقه والمناظرة وبالفقيه المزنى أيضا ، ولما استفرغ علم هؤلاء وهم بالعودة الى الأندلس عاتبه محمد بن عبد الله بن عبد الحكم على ذلك حيث ينقل ابن الفرضى عن احد معاصريه قوله (١١٢) : « سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول : لم يقدم علينا من الأندلس احد أعلم من قاسم بن محمد ، ولقد عاتبته فى حين انصرافه الى الأندلس ، فقلت له : أقم عندنا فانك تفقد هاهنا رياسة،ويحتاج الناس اليك فقال : لا بد لى من الوطن » .

وتدل هذه الرواية على ان الرحالة الاندلسيين كانوا من العلماء والفقهاء البارزين فى عصرهم ، وأن رحلتهم ما كانت الا لكمال العلم بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، حيث يصبح العالم اشد استحكاما واقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ كما يقول ابن خلدون يكون حصول الملكات ورسوخها يعنى بذلك رسوخ العلم فى الأذهان (١١٣) .

ومن الرحالة الأندلسيين الذين رحلوا فى سبيل العلم الى بلاد المشرق بعد ذلك محمد ابن عامر القيسى ، روى عن عبد الله بن وهب صاحب كتاب « الجامع فى الحديث » وغيره من محدثى المشرق الاسلامى ، ثم عاد الى الأندلس حيث سمع منه الناس ، ويبدو أنه رحل فى أخريات ايامه الى القيروان فقد ذكر ابن الفرضى أنه مات بالقيروان سنة ٢٠٠ هـ ، وقيل توفى بسوسة أو قفصة من بلاد المغرب سنة ٢٥٧ هـ (١١٤) .

ومن أهل الحديث والفقه الأندلسيين الذين قدموا مصر فى العصر العباسى أحمد ابن عمر الألبيرى المحدث ، سمع من يونس بن عبد الأعلى الذى انتهت اليه رياسة العلم وعلو الاسناد فى الحديث آنذاك ، كما لقى غيره من حفاظ الحديث بمصر أمثال الربيع ابن سليمان الجيزى وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، ومحمد بن سنجر الجرجانى صاحب المسند المتوفى سنة ٢٥٨ هـ (١١٥) .

وقد ظلت رواية احمد بن عمرو هذا لمسند ابن سنجر متداولة بين الأندلسيين حتى القرن السادس الهجرى . وكان أحمد بن عمرو عالما بالحديث حافظا له بصيرا بعلله اماما فيه ، وكانت اليه الرحلة فى وقته (١١٦) .

كما نذكر من أهل الأندلس الذين رحلوا الى مصر عبد الله بن ابراهيم بن وزير من اهل قرطبة ، سمع من حفاظ الحديث والفقهاء المصريين الحارث بن مسكين كما سمع بافريقية سحنون بن سعيد ، وكانت وفاته فى آخر أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن الذى توفى سنة ٢٧٣ هـ (١١٧) .

ومن هؤلاء الذين قدموا بلاد المشرق فى سبيل العلم كذلك مدلج بن عبد العزيز بن رجاء المدلجى ، بلغ العراق فسمع بها ، ثم رحل الى مصر وأقام بها محدثا فى المسجد الجامع حتى توفى سنة ٢٥٩ هـ (١١٨) .

لم تنقطع الرحلة فى طلب الحديث الى مصر حتى نهاية عصر الولاة وأيام الطولونيين ، ففى عام ٢٥٧ هـ قدم الى مصر من أهل الحديث محمد بن فطيس بن واصل الغافقى من أهل البيرة بالأندلس ، فلقى بها من حفاظ الحديث والفقهاء المصريين يونس بن عبد الأعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، واسماعيل بن يحيى المزنى ومحمد بن اصبغ بن الفرج

وابى عبيد الله ابن أخى أبو دهب وبحر بن نصر وغيرهم من أصحاب الحلق فى جـــامع عمـــرو حينـــذاك .

وقد ذكر أحد معاصرى ابن واصل الغافقى فى البيرة أنه سمعه يقول : لقيت فى رحلتى نحوا من مائتى شيخ ما رأيت فيهم مثل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، وقد اشتهر بأنه كان ضابطا للكتبة ، ثقة فى روايته ، صدوقا فى حديثه ، واليه كانت الرحلة من ســائر انحاء الأندلس حيث بلغ علو الدرجة ورئاسة الاسناد فيها (١١٩) .

وهكذا ظلت مصر وجامعها الشهير قبلة العلماء يفدون اليه من سائر الأنحاء وخاصـة من بلاد المغرب والأندلس فى عصر بنى أمية وكذلك أيام حكم الولاة العباسيين .



(ب) فى مجـــــــال القـــــــراءات :

كانت الرحلة الى مصر وبلاد المشرق لاغراض عديدة منها للحج وايضا للتجارة ولطلب العلم ، او لهذه الاغراض جميعا . كما كانت الرحلة للحج تعنى بالضرورة التوجه نحو مصر ، اذ لم يكن من طريق آخر الى الحجاز دون المرور بهـــا . ومن المعروف أن مصر أصبحت قاعدة الفتوحات الاسلامية نحو بلاد المغرب والأندلس ، فقد كان غـــزو افريقية على يد الحامية العربية التى أقامت بالفسطاط . وكان رجال الحامية من هؤلاء الصحابة وأبنائهم من التابعين الذين ورد ذكرهم فى تلك الغزوات منذ عهد معاوية بن أبى سفيان وما خلفه من حكام بنى أمية مثل عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بن عبد الملك (١٢٠) .

وكما ارتبط جامع عمرو بشرف استقبال الصحابة والتـــــابعين الذين كان جل اهتمامهم نشر العلم والدين ورفع راية الجهاد فى مصر وما أعقب ذلك من اشتراكهم فى فتح بلاد افريقية والمغرب والأندلس (١٢١) . وكذلك كان بناء جامع القيروان (١٢٢) وغيره من المساجد الجامعة فى هذه الامصار مرتبطا بهؤلاء المسلمين الأوائل من الصحابة والتابعين الذين بذلوا من ألوان الجهاد فى سبيل فتح تلك الأقاليم ، وفى تعليم الناس القرآن والحديث وهما عماد الدين والسنة وعماد الحركة العلمية الدينية كذلك .

أصبح جامع عمرو فى تلك الفترة التى شهدت الفتوح الاسلامية فى بلاد المغـــــرب والأندلس دائب النشاط والحركة ، ومحط الأنظار من قبل طلاب العلم من أهـــل تلك البلاد ممن راحوا يعتنقون الاسلام ويعملون على نشره ، ويرفعون راية الجهاد فى الثغـــور والأمصار التى اختطوها كالقـــــيروان وغيرها .

وقد شجع أهل مصر وغيرهم فى افريقية فى ذلك الوقت ما ضمه هذا المسجد الجامع بالفسطاط من رواة وحفاظ الحديث والقراء مثل أبى ذر الغفارى وعبد الله بن عمـــرو وعقبة بن عامر الجهنى وأبى تميم الجيشانى ، وعبد الرحمن بن داود المدنى صـــاحب أبى هريرة أحد الحفاظ والقراء المشهورين آنذاك (١٢٣) .

قدم عبد الرحمن بن داود من المدينة الى مصر بعد أن اخذ القرآن عن أبى هـــريرة وابن عباس ، وكما يذكر السيوطى نقلا عن الذهبى أنه كان اول من برز فى القـــرآن والسنن وأول من وضع العربية بالمدينة كما قيل أن نافع بن أبى نعيم صاحب القـــراءة

المعروفة أخذها عنه ، ولا شك أن قدومه الى الفسطاط ومشاركته فى حلقات القـــــراءة والحديث كان لها أثرها فى نشاط الحركة العلمية الدينية فى أواخر القرن الأول من الهجرة واوائل القـــــرن الثـــــانى الهجرى (١٢٤) .

وكان من أوائل القراء الذين تلقوا تعليمهم فى جامع عمرو جعثل بن هاعان بن سعيد الرعينى ، روى عن ابن تميم الجيشانى القارىء والمحدث ، وعنه أخذ بكر بن سوادة . كان أحد القراء الفقهاء كما ذكر ابن يونس وقد أمره عمر بن عبد العزيز بالخروج من مصر الى المغرب ليعلمهم القراءة للقرآن الكريم ، وكانت وفاته سنة ١١٥ هـ (١٢٥) .

وكان ظهور قراءة ورش وشيوع ذكرها آنذاك له أثره فى اجتذاب العديد من القـراء والحفاظ من أهل المغرب وبلاد الأندلس اليها . فعلى الرغم من ان الأندلسيين قد تعرفوا على قراءة نافع بالمدينة بعد أن حملها اليهم القارىء الغازى بن قيس فى عهـــد مؤسس الامارة الأموية عبد الرحمن الداخل ، الا أن أهل قرطبة وغيرها من المدن الأندلســـية سرعان ما اقبلوا على قراءة ورش المصرى ينهلون منها (١٢٦) .

ومن أوائل الذين رحلوا الى مصر محمد بن عبد الله القرطبى حيث لازم ورش نفسه وأخذ القراءة عنه ، وصار الى الأندلس يعلمها للناس . ثم اتبـع ذلك قيـــام كثير من الأندلسيين بالرحلة الى الفسطاط للتتلمذ على أصحاب ورش كأبى يعقوب الأزرق يوسف ابن يسار الذى خلف ورش على الاقراء بمصر كما أشرنا من قبل ، قال عنه أحد المعاصرين وهو أبو الفضل الخزاعى : « أدركت أهل مصر والمغرب على أبى يعقوب وورش لا يعرفون غيرهمـــــــــــــــا » (١٢٧) .

والواقع أن شهرة ورش بمصر فى ذلك الوقت لم تقتصر على بلاد المغرب والأندلس بل عمت شهرته أيضا بلاد المشرق الاسلامى ، فمن ذلك ما قام به أبو بكر الأصبهانى محمد ابن عبد الرحمن بن ابراهيم بن شبيب من أهل أصبهان فى فارس ، حيث لم يكتف بأن أخذ قراءة ورش عن محمد بن عيسى بن رزيق أحد مواطنيه ، فاتجه الى المصيصة (١٢٨) فقرأ على أحد أصحاب ورش من المصريين ويدعى عامر بن سعيد الحرسى المتوفى ســـنة ٢٥٠ هـ . ثم واصل رحلته الى مصر فوجد أبا مسعود الأسود او المدنى صـــاحب ورش المصرى يقرىء فى جامع عمرو بن العاص ، فقرأ عليه بقراءة نافع ختما ، ولم تقصر همته ورغب فى اللقاء بمن كان يجيد قراءة ورش حتى يقراها عليه ، فقصد الى حلقة أبى الربيع

سليمان الرشديني (ت ٢٥٣ هـ) صاحب ورش فسأله : الى من تسند قراءتك ، فقال الى ورش ، فقرأ عليه احدى وثلاثين ختمة (١٢٩) .

كما سمع أبو بكر الأصبهاني القراءة على يونس بن عبد الأعلى ولم يأخذها عنه عرضا، وعلى مشايخ القراء الآخرين كمواس بن سهل المعافرى المصرى ابن أخت أبى الربيع الرشديني ، وهكذا قرأ أبو بكر على أصحاب ورش ، كما قرأ على غيرهم مثل عبد الرحمن ابن داود بن أبى طيبة (ت ٢٧٤ هـ) وأبى الأشعث الجيزى والحسين بن الجنيد المكفوف والفضل بن يعقوب الحمراوى ولما نفدت دنانيره التى أنفقها على تلك الختمات التى بلغت ثمانين ختمة ، رحل الى العراق ونزل بغداد حيث جلس يقرىء الناس قراءة ورش (١٣٠) .

ومن طبقات القراء عبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتقى أبو الأزهر المصرى ، قرأ القرآن على ورش — كما قدمنا — وكان له تأثير كبير فى اجتذاب الأندلسيين الى مصر والقراءة عليه بطريقة ورش المعروفة ، يذكر السيوطى : ما بلغه من مكانة عند أهل الأندلس فيقول : ولمكان أبى الأزهر اعتمد الأندلسيون على قراءة ورش ، وكان من أشهر تلاميذه الذين وفدوا عليه محمد بن وضاح بن بديع الذى زار مصر مرتين ، وفى رحلته الثانية تعلم قراءة ورش على أبى الأزهر وكتب عنه نسخة أخذها معه الى الأندلس (١٣١) .

كما كان ابن وضاح عالما بالحديث ، سمع من سعيد بن أبى مريم وحرملة بن يحيى التجيبى والحارث بن مسكين وهارون بن سعيد الأيلى وغيرهم من حفاظ الحديث والأئمة المصريين (١٣٢) .



(جـ) فى مجـــــال الفقـــــه :

لم تقتصر رحلة طلاب العلم على رواية الحديث أو الاقراء فى جامع عمرو بن العاص فى بلاد افريقية والأندلس . بل كانت رحلتهم فى سبيل التفقه على أيدى أصحاب الحلق من مشاهير الفقهاء المالكية والشافعية الذين ذاع صيتهم خلال القــرنين الثــانى والثالث الهجـــــريين .

وكان من أوائل الفقهاء الذين شدوا الرحال الى مصر من بلاد افريقية والمغـــرب عبد الله بن عبد الحكم البلوى ، حيث يمم وجهه شطر جامع عمرو وجلس الى جملة من شيوخه . كما ذكر ابن يونس ، ثم عاد الى افريقية وصارت له حلقة عامرة فى جـــامع القـــــيروان (١٣٣) .

ومن الفقهاء الذين رحلوا الى مصر ابو عمران موسى بن على رباح اللخمى توجه الى مصر وروى عنه شيوخ العلم وأصحاب الحلق بالمسجد الجامع بالفســطاط مثل الليث ابن سعد وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن وهب ، ذكر ابن لهيعة المحدث والفقيه المصرى : أن موسى هذا قدم الى مصر سنة ١٢٠ هـ وافدا الى الخليفة هشام بن عبـــد الملك فى دمشق ، وكان يخضب بالسواد يومئذ ، وقد مكث بعد عودته فترة من الوقت بالفسطاط التقى بهؤلاء الشيوخ المصريين من أصحاب العلم والفقه البارزين (١٣٤) .

كما تجدر الاشارة أن ابراهيم بن الأغلب مؤسس دولة الأغالبة فى أواخر القرن الثانى الهجرى (١٣٥) قد تلقى تعليمه فى جامع عمرو بن العاص ، حيث يذكر الكتـــاب أنه قضى صباه فى الدرس والتحصيل بالفسطاط ، وأنه كان يحضر حلقة فقيه مصر الأشهر الليث ابن سعد ، وقد اعجب الليث بجد ابراهيم واجتهاده ، وبما تميز به من الخـــلال حتى قال يوما عنه « ليكونن لهـــذا الفتى شأن » (١٣٦) .

ومن فقهاء المالكية الذين برزوا فى تلك الفترة وسبقوا غيرهم فى الرحلة الى مصر على ابن زياد وكان من علماء القيروان مثل البهلول بن راشد وشجرة بن عيسى : كما كانت له حلقة فى القيروان ، وبه تفقه كل من أسد بن الفرات ، وسحنون بن سعيد اللذين أصبحا من شيوخ افريقية والمغرب المشاهير بعد ذلك وكان سحنون الفقيه يقول عنه : « ما أنتجت

افريقية مثل على بن زياد » ويبدو أنه بلغ منزلة حفاظ الحديث وفقهاء مصر يومئـــذ ، حيث يقول عنه سحنون عالم القيروان « ما فاقه المصريون الا بكثرة سماعهم » .

وذكر ابن يونس المؤرخ المصرى انه كان أول من أدخل المغـــرب من الكتب « جامع سفيان الثورى وموطأ مالك » وهما من التصانيف الشهيرة آنذاك (١٣٧) .

ونذكر من هؤلاء الذين اشتهروا بعلمهم ورحلوا الى مصر فى العصر العباسى أبا خارجة عنبسة بن خارجة الغافقى ، قيل أن أكثر اعتماده على مذهب مالك ، ســـمع بمصر من الليث بن سعد واليسع بن حميد ، وعبد الله بن وهب وغيرهم من جلة الفقهاء والمحدثين المصريين، ثم عاد الى افريقية من أجل نشر علمهم بها ، وكانت وفاته سنة ٢١٠ هـ (١٣٨) .

لم تقتصر الرحلة الى الفسطاط وتلقى العلم والفقه بالمسجد الجامع على الشـــيوخ المغاربة ، بل كانت الرحلة أيضا من قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس الى مصر حينذاك ، فقد رحل الى مصر معاوية بن صالح بن حدير الذى سبقت الاشارة اليه فى مجال الحديث، وكان فقيها راوية كما ذكر ابن الفرضى ، وقد تولى القضـــــاء على الأندلس بعـــــد رجـــــــــوعه اليهـــــا (١٣٩) .

كما قدم من الاندلس الى مصر وبلاد المشرق الفقيه يحيى بن كثير وهو ابن ثمـــان وعشرين سنة ، سمع من مالك بن أنس الموطأ غير أبواب منه وسمع بمصر من الليث بن سعد مفتى الديار المصرية آنذاك وعبد الله بن وهب وعبد الرحمن بن القاسم وانس بن عياض فى المسجد الجامع بالفسطاط ، وكانت عودته الى قرطبة ، قال عنه احد معاصريه : قـــدم (يعنى يحيى) ، بعلم كثير فعادت فتيا الأندلس اليه بعد عيسى بن دينار ، وذلك مما يدل على ما بلغه فى الفقه وعلوم الحديث آنذاك . وقد توفى ســـــنة ٢٢٣ هـ (١٤٠) .

كذلك نذكر من فقهاء الأندلس الذين عملوا على نشر المذهب المالكى بقرطبة وغيرها من بلاد الأندلس ، الفقيه محمد بن خالد الأشج المعروف بابن مرتنيل من أهل قرطبة ، رحل الى بلاد المشرق ، وسمع بمصر من ابن القاسم وأشهب بن عبد العزيز من فقهـــاء المالكية البارزين وكان الغالب عليه الفقه والاشـــتغال به حيث يذكر ابن الفرضى أنه لم يكن له بالحديث علم . ولا شك انه عمل بعد عودته على نشر المذهب المالكى بتلك البلاد النائيـــة حينـــذاك وكانت وفـــــاته ســــــنة ٢٢٤ هـ (١٤١) .

كما رحل من اهل قرطبة فى ذلك الوقت الفقيه محمد بن احمد بن عبد العزيز بن أبى عتبة الشهير بالعتبى ، سمع بالأندلس قبل رحيله من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ، ثم وفد على شيوخ مصر وفقهائها المشاهير ، والتقى فى جامع عمرو بالفقيه المصرى المالكى الشهير أصبغ بن الفرج ، وجمع على يديه « المستخرجة » هذا الكتاب الذى اشتهر بوضعه قبل أن يرحل عائدا الى بلاده ، يشير ابن عبد الحكم زعيم المالكية الى هذا الكتاب فيقول : « أتيت بكتب حسنة الخط تدعى المستخرجة من وضع صاحبكم محمد بن أحمد العتبى فرأيت جلها كذوبا » وقد وهبها ابن عبد الحكم يومئذ لرجل يقرأ فيها بعيدا عنه ، وقد توفى العتبى فى قرطبة سنة ٢٥٥ هـ .

وعلى الرغم مما كان يراه رئيس المالكية فى كتاب العتبية الذى وضعه العتبى الا أن أهل الأندلس كما يقول ابن خلدون كان جل اعتمادهم عليه (١٤٢) .

ومن الذين ذاع صيتهم الفقيه والراوية عبد الملك بن حبيب فى ذلك الوقت ، رحل الى مصر والتقى بالعالم المصرى سعيد بن أبى مريم صاحب التأليف فى الفقه والتاريخ ، وقد أشار الى نشاطه العلمى شيخه ابن ابى مريم فقال : « كان ابن حبيب عندنا نازلا بمصر ، وما كنت رأيت أدوم منه على الكتاب ، فدخلت عليه فى القائلة فى شدة الحر وهو جالس على شدة ، وعليه طويلة ، فقلت : ما هذا ، قلنسوة فى مثل هـذا ؟ فقال : هى تيجاننا » مما يدل على شدة اشتغاله بالعلم والتدوين أثناء فترة اقامته بالفسطاط (١٤٣) .

كما ذكر ابن خلدون أنه التقى بالشيخ ابن القاسم الفقيه المالكى الشهير واخذ عنه حيث قال : «ورحل من الأندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك فى الأندلس ودون منه كتاب الواضحة » التى لم يؤلف مثلها ، وهكذا كان ابن حبيب من أوائل الفقهاء الذين نشروا مذهب مالك فى بلاد الأندلس (١٤٤) .

وقد عاد ابن حبيب فأصبح عالمها الشهير ، حيث لم يعمل على نشر المذهب المالكى فى بلاد الأندلس فحسب بل صار عالما أيضا فى الأدب ، والتاريخ ، حيث ألف كتبا وتصانيف كثيرة ، ويصف ابن الفرضى نشاطه بعد عودته ، فيقول : « وكان عبد الملك بن حبيب نحويا وشاعرا حافظا للأخبار والأنساب والأشعار ، متصرفا فى فنون العلوم » (١٤٥) .

ومن فقهاء المالكية الذين رحلوا الى مصر من بلاد الأندلس عبد الملك بن الحسن بن محمد ابن رزيق ، جلس الى أشهب بن عبد العزيز وأخذ عنه فى مجال الفقه المالكى ، وحضر أيضا حلقة ابن القاسم الفقيه المالكى المعروف وابن وهب [١٤٦] ، والظاهر أنه قبل رحلته الى مصر وبلاد المشرق كان يميل الى مذهب أبى عمرو الأوزاعى [١٤٧] وهو أحد المذاهب الفقهية التى كان عليها أهل الشام فى ذلك الوقت ثم رجع الى مذهب مالك أو مذهب المدنيين بعد التقائه بشيوخ مصر المالكية المذكورين ، وكان من أوائل الفقهاء الذين عملوا على نشر مذهب مالك ببلاد الأندلس ، كما كان الغالب عليه الفقه فلم يكن من أهل الحديث . وقد توفى بقرطبة سنة ٢٣٢ هـ [١٤٨] .

ونعود الى فقهاء بلاد افريقية والمغرب الذين كان لهم فضل كبير فى نشر المذهب المالكى بها . فنذكر من هؤلاء الذين قدموا مصر ويمموا شطر المسجد الجامع بها ، الفقيه أسد ابن الفرات (قيل ان أصله من خراسان من مدينة نيسابور) دخل مع أبيه الى القيروان فى جيش محمد بن الأشعث سنة ١٤٤ هـ ، ثم ارتحل الى المشرق لطلب العلم ، فلقى يومئذ مالكا وواظب على الجلوس اليه بالمدينة ، وسمع منه الموطأ ، ثم توجه الى العراق فلقى أصحاب أبى حنيفة حيث استفرغ علمهم ، وكانت رحلته بعد ذلك الى مصر قادما من بغداد ، فالتقى بأصحاب مالك ، وكانت ملازمته للفقيه المالكى عبد الرحمن بن القاسم ، حيث سمع منه وأخذ عنه « الاسدية » التى ذاع صيتها بعد ذلك ، والتقى أيضا فى جامع عمرو بن العاص بالفقيه ابن وهب المحدث الشهير صاحب كتاب « الجامع فى الحديث » وسأله يومئذ عن مسألة فأجابه فيها بالرواية المالكية ، لكنه لم يقتنع بأجابته .

وأراد أن يدخل عليه غير روايته هذه فاستنكر منه ابن وهب ذلك فقال له : « حسبك اذا أدينا اليك الرواية » كما يذكر المالكى [١٤٩] أنه انتقل بعد ذلك الى حلقة أشهب بن عبد العزيز فسأله فى نفس الرواية التى سأل فيها ابن وهب من قبل ودار بينهما حديث وجدل وكانت هذه الحلقة تضم يومئذ الشيخ المالكى عبد الله بن عبد الحكم ، فكان رده على ابن الفرات : « مالك ولهذا ؟ هذا رجل أجابك بجوابه فان شئت فأقبل وان شئت فاترك » وفرق بينهما .

وهكذا كان ابن الفرات يتنقل من حلقة الى أخرى بين أروقة جامع عمرو يسمع ويتلقى ويناقش شيوخ المالكية المصريين الذين ذاع صيتهم وطبقت شهرتهم الآفاق

حينذاك ، ويبدو أن ابن الفرات كان يرغب فى حواره مع شيخه أشهب الفقيه أن يجيبه وفقا لأصحاب الرأى فى العراق من أنصار أبى حنيفة ، ولكن أشهب الفقيه المالكى كان حرصه أشد ما يكون على ذكر الرواية والانتصار لمذهب مالك بن أنس والتمسك به (١٥٠).

ويصف المالكى كما ينقل عن معاصرى ابن الفرات ملازمته لشيخه ابن القاسم فى حلقته وشدة اعجابه به يومئذ بمذهبه المالكى عندما قال ابن القاسم فى رده عليه : « يا مغربى زد وقل لى من أين قلت حتى أبين لك قول مالك » فعندئذ قام أسد على قدميه فى صحن المسجد وصاح : معاشر الناس ، ان كان مالك بن أنس قد مات فهذا مالك ابن أنس » .

كما يصور لنا المالكى كيف كتب ابن الفرات « الأسدية » عن شيخه ابن القاسم « فقد كان يغدو اليه كل يوم ويجيبه شيخه حتى دون ستين كتابا وسماها الأسدية » (١٥١) .

ولما عزم الرحيل الى القيروان ، قام عليه أهل مصر فسألوه فى كتبه أن ينسخوها فأبى عليهم فقدموه الى قاضى مصر آنذاك فقال لهم القاضى : وأى سبيل لكم عليه ، رجل سأل رجلا فأجابه وهو بين أظهركم فسلوه كما سأله ، وعندئذ طلبوا من القاضى أن يسأل ابن القاسم ، فلما طلب منه القاضى أجابه الى ذلك . فنسخوا الأسدية حتى فرغوا منها . ويقول المالكى انه لما قدم أسد افريقية أظهر الكتب التى دونها وأسمعها الناس ، وهكذا انتشر فقه ابن القاسم فى بلاد افريقية والمغرب حينذاك (١٥٢) .

كما ذكر أنه لما بلغ سحنون بن سعيد فقيه القيروان الشهير مصر بعد ابن الفرات سأله ابن القاسم عن أسد ، وما فعل الله به فأخبره بما نشر من علمه فى جميع الآفاق فسر بذلك ثم شافهه سحنون فى مسائل سأله عنها (١٥٣) .

وقد عاد ابن الفرات الى القيروان وأسند اليه القضاء لما اشتهر به من العلم والفقه ، ونقل المالكى عن أحد معاصرى ابن الفرات أنه ضرب شيخا من شيوخ العلم لما شهد عليه أنه انتقص من قدر ابن القاسم المصرى وعلمه ، مما يدل على مدى تقديره لشيخه ومعلمه (١٥٤) بمصر ، ذكر النباهى المالكى أن أسد بن الفرات كان أحد صدور الشجعان ، ولاه زيادة الله القضاء بافريقية وقدمه على غزو صقلية، فخرج فى عشرة آلاف رجل وتحقق

على يديه النصر (١٥٥) . وقد كتب ابن الأغلب الى الخليفة العباسى المأمون بأنباء النصر الذى حققـــــه على الـــــروم (١٥٦) .

ومن الذين رحلوا من المغاربة فى طلب العلم وكانوا من المعاصرين لابن الفـــرات ، أبو عبد الله زرارة بن عبد الله المتوفى سنة ٢٣٨ هـ ، روى عن مالك بالمدينـــة ، ثم الليث ابن سعد بمصر ، وعاد الى القيروان حيث أصبح من الفقهاء الذين كانت لهم حلقـــة علم فى جـــــامع القـــــيروان (١٥٧) .

اما الفقيه القيروانى أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب المتوفى سنة ٢٤٠ هـ ، فقد ملأ الدنيا بعلمه وفقهه وذلك بعد أن تحلق بفقهاء القيروان . ويعزى الفضل فى ذلك الى رحلته الى مصر سنة ١٨٨ هـ حيث سمع من ابن القاسم وأشهب بن عبد العزيز ، كما لقى عبد الله بن وهب وأخذ عنه ، وعبد الله بن طليب المرادى « من قبيلة مراد اليمنية » وعبد الله بن عبد الحكم وسعيد بن أبى مريم ويوسف بن عمر من الشيوخ والأئمة المصريين الذين كانت حلقاتهم لا تنفك فى جامع عمرو منذ صلاة الصبح حتى العشاء الاخرة من كل يوم ، يقول المالكى (١٥٨) : « وكان اعتماد سحنون على ابن القاسم وبه تفقه وصحح عليه الأسدية ، وكان لا يكاد يفارقه فى سماع العلم والبحث عنه » .

ولما فرغ سحنون فقيه القيروان من قراءة الفقه على ابن القاسم وغيره من فقهـــاء المالكية فى جامع عمرو ، خرج الى الحجاز للحج وكان معه كل من عبد الله بن وهب وأشهب ابن عبد العزيز ، وتشير الرواية الى ما كان من حرص سحنون للاستفادة من شيخه اثناء الحج فهو يقول : « لما حججنا كنت أزامل ابن وهب وكنت على الشـــق الأيمن ، وكان اشهب يزامله وكان ابن القاسم يزامله ابن موسى أبو هارون » ، قال سحنون : « فكنت اذا نزلت ذهبت الى ابن القاسم أسائله عن الكتب وأقرأ عليه الى قـــرب وقت الرحيل » وهكذا كان حرص سحنون على طلب العلم من شيوخه المصريين ليس فقط فى حلق المسجد الجامع بالفسطاط ، بل حتى أثناء تأدية فريضة الحج بالحجاز (١٥٩) .

يقول عنه شيخه ابن القاسم : ما قدم الينا من افريقية أحد مثل سحنون لا ولا ابن غانم « وقد عبر فقهاء المالكية المصريون عن اعجابهم بسحنون وما وعته ذاكرته يومئـــذ قيل أنه لما عاد سحنون الى القيروان كان العلم فى صدره محفوظا كسورة من القرآن »(١٦٠) .

وقد اشتهر سحنون بمدونته التى سمعها من ابن القاسم كما اشتهر ابن الفرات بكتابة « الأسدية » حينذاك قيل أنه لما دون سحنون كتابه الذى أطلق عليه المدونة . طلب منه حين لقائه بابن الفرات أن يراجع عليه الأسدية فاغتم لذلك ابن الفرات ، حيث يذكر المالكى أن أحد معاصريه دخل عليه فوجده يبكى ، فلما سأله عما نزل به أخبره بأنه ورد اليه كتاب من شيخه ابن القاسم يأمره فيه بضرورة أن يعرض كتبه التى أملاها عليه على كتب سحنون التى دونها عن شيخه أيضا اثناء رحلته الى الفسطاط واقامته بها (١٦١) .

وقد تولى سحنون القضاء سنة ٢٣٤ هـ لما بلغه من المكانة العلمية المرموقة ولم يزل قاضيا بالقيروان حتى كانت المحنة والقول بخلق القرآن ، ومن الجدير بالذكر أنه كان أول قاض فرق حلق أهل البدع من الجامع ، وشرد أهل الأهواء — منه — وكانوا فيه حلقا من الصفرية والأباضية والمعتزلة ، وهذه الفرق من الخوارج وأهل الاعتزال الذين قالوا بخلق القرآن فى عهد المأمون حيث كانوا يعقدون حلقا يتناظرون فيه ويظهرون زيغهم ، كما حدث فى المسجد الجامع بالفسطاط فى عهد المعتصم والواثق ، يذكر المالكى أن سحنون قام بعزل أصحاب هذه الفرق حتى لا يصبحوا أئمة الناس أو معلمين لصبيانهم آنذاك ، كما ذكر أنه كان أول قاض جعل فى المسجد الجامع بالقيروان اماما يصلى بالناس وكان ذلك للامراء فقط (١٦٢) .

وقد أخذ بمحنة القرآن، كما وقع فى مصر فى ذلك الوقت ، وقيل أن القاضى ابن أبى الجواد كان يود لو قتله ، لكن الأمير أحمد بن الأغلب كما أشار عليه أحد المقربين ، أمر بحبسه فى داره فلا يخرج الى المسجد الجامع أو غيره ، وأن ينادى عليه بالقيروان ألا يفتى ولا يسمع احدا ويلزم داره . كما ذكر المالكى نقلا عن أحد الرواة أن القاضى أمر الحراس أن يأخذوا بثياب من دخل عليه، وهكذا ظل فى داره محبوسا حتى توفى سنة ٢٤٠ هـ (١٦٣) .

أما ابنه محمد بن سحنون فقد ذاعت شهرته بعد أبيه ، وخاصة بعد أن رحل الى مصر ولقى الفقيه المزنى صاحب الشافعى ، كما قيل ان علماء مصر كانوا يأتونه فى المسجد الجامع بالفسطاط ويسلمون عليه ، ولعله كان من أوائل الفقهاء الذين عملوا على تلقى الفقه الشافعى وتعليمه للناس فى جامع القيروان ، وقد اشتهر بغزارة التأليف حيث ألف فى جميع العلوم التى كانت سائدة فى عصره ، وكان من احسن الكتب التى وضعها كتابا « الامامة » اللذان نسخهما بماء الذهب وأهداهما الى الخليفة العباسى . وقيل أن تصانيفه بلغت نحو مائتى كتاب (١٦٤) .

وهو صاحب تلك المناظرة التى شاع ذكرها بالفسطاط ، التى جرت بينه وبين أحـد اليهود الذى مكث يناظره من صلاة الظهر فيها حتى المغرب ، حيث أظهر الله الحـق والبرهان على يديه . وقد تجمع أهل الفسطاط لسماعها فكان اسلام اليهودى على أثرها وقال اهل مصر يومئذ « أسلم اليهودى على يدى الفقيه المغربى » (١٦٥) .

وقد تحلى ابن سحنون بصفات طالب العلم التى كان يقول بها أبو جعفر أحمد بن أبى سليمان الصواف وكان حكيما ينطق بالحكمة حيث قال (١٦٦) : أنه اذا طلب المرء العلم فعليه أن يتخذ قبله أدبا يستعين به على طلبه . وان يتخذ له بعد طلبه أدبا يستعين به على حمله . ومن أدب العـلم الحـلم .

وكانت حلقة ابن سحنون فى المسجد الجامع غير حلقة أبيه ، وقد انتشرت امامته فى حياة والده . بعد ان أدرك من العلوم ما لا يدركه غيره من اهل عصره (١٦٧) .

وقد أعقب ابن سحنون فى الرحلة الى مصر فقيه القيروان الشهير يحيى بن عمر بن يوسف المتوفى سنة ٢٨٩ هـ . رحلته الى الفسـطاط . ولقى من علمـاء مصر يحيى ابن بكير . ومحمد بن رمح وابن كاسب . كما اضاف الدباغ الى شـيوخه الذين التقى بهم وجلس اليهم فى جامع عمرو كل من حرملة بن يحيى التجيبى والحارث بن مسـكين وأصبغ بن الفرج من شيوخ المالكية . وقيل فى ذلك الوقت أن يحيى بن عمـر أنفق على رحلته فى طلب العلم نحو المشرق نحو ستة آلاف دينار (١٦٨) ، ولما عاد أصبحت له حلقة عامرة وكان كما يذكر المالكى له كرسى يجلس عليه فى المسجد الجامع بالقـيروان ، حيث يسمع عليه الناس لكثرتهم ، ولم يكن أحد قد سبقه من فقهاء المغرب الى مثل ذلك (١٦٩) .

وعلى الرغم من قيام فقهاء القيروان برحلتهم الى مصر والجلوس الى أصـحاب الشافعى فى حلقهم بالمسجد الجامع فى أواخر عصر الولاة ، الا أنه لم يكن هناك ميول لنشر المذهب الشافعى بافريقية كما هـو الحـال بالنسـبة لمذهب الامام مالك ، حيث انتشر بالقيروان وغيرها من بلاد افريقية وذلك بفضل هؤلاء الفقهـاء الذين تتلمذوا على أيدى شيوخ المالكية المصريين من الذين سبق ذكرهم ، وان كان مذهب الحنفية قد أخذ طريقه الى افريقية أيضا بعد أن قدم اليها عبد الله بن فروح أبو محمد الفاسى ، ثم غلب عليهـا لما ولى قضاءها أسد بن الفرات (١٧٠) ، وخير شاهد على ذلك ما ذكره المقدسى حينما زار

هذه البلاد فى القرن الرابع الهجرى حيث قال عنها (١٧١) : « ولا ترى أكثر من مدنهـــا ولا أرفق من أهلها ليس غير حنفى ومالكى » فهم كانوا بسائر افريقية والمغرب على عهده لا يعرفون الشـــــافعى أو مذهبــــــــه .

أما فى بلاد الأندلس فقد عرف الفقه الشافعى طريقه اليها بعد ان رحل بعض فقهائها الى مصر وبلاد المشرق وأخذوا عن أصحاب الشافعى ومالوا الى مذهبه ، نذكر منهم بقى ابن مخلد الذى رحل الى مصر وكانت حلقات الشافعية قد ازدهرت آنذاك فى جامع عمرو وذاع صيت اصحابها كالمزنى والبويطى والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد الله ابن عبد الحكم وغيرهم كما أشرنا من قبل ، وقيل أن بقيا كان أول من ادخل فقه الشافعى الى الأندلس ، وجعل يلفت الأنظار اليه ، حيث أخذ أهل قرطبة يهتمون به ويرحلون الى بلاد المشرق لطلب تحصيله والتفقه به (١٧٢) كما قيل ان الذى يعزى اليه ادخال فقـــــه الشافعية الى بلاد الأندلس من لازمه فى الرحلة وهو قاسم بن محمد بن قاسم الذى سبق ذكره فى مجال الحديث ، فقد التقى المزنى الذى قال عنه الشافعى : لو ناظر الشـيطان لغلبه ، وصاحب المذهب المستقل ، وكما التقى بابراهيم بن محمد الشافعى وغيرهما ، وقد تحقق قاسم كما يذكر ابن الفرضى (١٧٣) بمذهب الشافعى ووضع التآليف فيـــه كمـا ترجم له السيوطى من بين فقهاء مصر حيث كانت له رحلتان الى مصر ، وقال عنـــه ابن عبد الحكم : « لم يقدم علينا من الأندلس أعلم من قاسم وكانت وفاته سنة ٢٧٦ هـ »(١٧٤) .

كما قدم مصر جماعة من تلاميذ بقى بن مخلد وقاسم بن محمد حيث تفقهوا على أيدى فقهاء الشافعية وغيرهم ، من هؤلاء أسلم بن عبد العزيز الذى جلس الى المزنى فى حلقتـــه فى جامع عمرو بن العاص ، كما لقى الربيع بن سليمان المؤذن صاحب الشافعى ، ومحمـــد ابن عبد الله بن عبد الحكم (١٧٥) . ومنهم مسلم بن أحمد بن أبى عبيدة الذى رحل الى مصر سنة ٢٥٩ هـ . فلقى جماعة من أهل الحديث والفقه . حيث سمع من أصحاب الشافعى ، وكان عالما بالحساب والنجوم كما كان مغرما بالتشريق فى قبلته حتى انه كان يقـــــال له صـــــــاحب القبــــــــــلة (١٧٦) .

وعلى الرغم من كثرة الوافدين على مصر وبلاد المشرق ولقاء مشايخ الشافعية والتفقه على أيديهم ، فان مذهب الشافعى لم يحظ بالانتشـــار فى بلاد الأندلس ، حتى وان تولى

بعضهم القضاء، فقد تولى أسلم بن عبد العزيز قضاء قرطبة مرتين (١٧٧) ، وأيضا فقد ولى الحكم بن هشام قضاء الجماعة بقرطبة لفرج بن كنانة وكان من الفقهـــاء المعدودين بالأندلس (١٧٨) .

ومن الجدير بالذكر أن بعض قضاة الاندلس كانوا اذا اختلفت عليهم الفقهاء فى بعض المسائل أو القضايا يكتبون الى فقهاء مصر كما حدث عندما أشكل الأمر على القاضى محمد ابن بشير المعافرى فانه كتب الى عبد الرحمن بن القاسم والى عبد الله بن وهب للاستفادة من علمهما والرد على هـــؤلاء الفقهـــاء الأندلسيين .

ظلت الرحلة الى مصر وبلاد المشرق من أهل قرطبة وبلاد الأندلس الأخرى خـــلال القرن الثالث الهجرى ، وكان محمد بن يوسف بن مطروح من ابرز هؤلاء ، فقد رحل فى عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، حيث سمع من سحنون بالقيروان ، ثم واصل رحلته الى مصر فسمع بها من أصبغ بن الفرج صاحب الحلقة الشهير بجامع عمرو آنذاك ، ومن مطرف بن عبد الله بالمدينة ، ثم قدم الى الأندلس بعد أن طوف فى بلاد افريقيـــة ومصر والحجاز ، وقد تولى أمر الفتيا فى المسجد الجامع بقرطبة لما بلغه من الفقـــه والعـــلم حتى وفـــــــاته ســـــــــنة ٢٧١ هـ (١٧٩) .

كما قدم الى الفسطاط فى ذلك الوقت الفقيه محمد بن عميرة العتقى ، حيث سمع من يحيى بن بكير وأبى المصعب وأصبغ بن الفرج ، ولما عاد الى الأندلس أخذ ينشر علمه فى أهله بجهة تدمير حتى توفى ســـنة ٢٧٦ هـ (١٨٠) . كذلك رحل محمد بن سباط بن حكم المخزومى من أهل قرطبة ، فسمع بمصر وفى جامع عمرو بن العاص من الحارث بن مسكين أحد فقهاء المذهب المالكى ، ولا شك انه عمل على نشر مذهب شيخه ابن مسكين بعد عودته الى قرطبة وجلوسه فى حلقته بالمسجد الجامع بها وكان حافظا للفقه كما يقول ابن الفرضى « عاقدا للوثائق عالما بها وقد توفى سنة ٢٧٩ هـ » (١٨١) .

والحقيقة أنه يصعب حصر هؤلاء الذين ارتحلوا الى مصر وبلاد الحجاز وغيرها من أهل الأندلس حتى أن المقرى يشير الى ذلك صراحة فيقول (١٨٢) : « ان حصر أهل الارتحـــال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم ذلك على الاحاطة الا علام الغيوب شديد المحال » .

ومما يلفت النظر أن هؤلاء القادمين من بلاد الأندلس كانوا يميلون الى التفقه بمذهب مالك ، وكانوا من الكثرة حتى قيل ان عددهم أجل من أن يحصى نذكر من أبرزهم محمد

ابن أسلم الأزدى الذى تلقى العلم من الربيع بن سليمان الجيزى والربيع بن سـليمان المؤذن وهما من أعلام الحركة العلمية فى أواخر عصر الولاة (١٨٣) ، والفقيه محمد بن وليد ابن محمد بن عبد الله من أهل قرطبة الذى رحل الى الشرق وسمع من يونس بن عبد الأعلى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم والمزنى وغيرهم من أصحاب الحلق بالمسجد الجـامع بالفسـطاط (١٨٤) .

وأيضا الفقيه محمد بن فطيس بن واصل الغافقى من اهل البيرة سالف الذكر الذى كانت رحلته الى مصر سنة ٢٥٧ هـ ، وسمع من أصبغ بن الفرج ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الأعلى (١٨٥) ، ومنهم مطرف بن عبد الرحمن من أهل جيـان سمع من محمد بن عبد الله وأخيه سعد من فقهاء المالكية ، والفقيـه وليد بن قزلمان ابن نزيغ ، وهاشم بن صالح من أهـل قرطبـة (١٨٦) .

والواقع أن رحلة هؤلاء لم تقتصر فى ذلك الوقت على تحصيل الفقه او الحديث ، بل كانت فى سبيل الرواية والتاريخ أيضا وتعلم العربية كما هو الحال بالنسبة لمطرف بن عبد الرحمن ، حيث سمع يحيى بن عبد الله بن بكير الفقيه والراوية المصرى ، كما سمع من عمرو بن خالد ، وكان عالما بالنحو كما كان شاعرا سمع منه الناس كثيرا . وقـد تـوفى سـنة ٢٨٢ هـ (١٨٧) .

كما رحل من بلاد الأندلس الى مصر ابراهيم بن عجينس بن اسباط الزيادى من أهل وشفة ، كان حافظا للفقه ، سمع من يونس بن عبد الأعلى أحد الأعلام بالفسطاط ، وقد عاد الى بلاده واختصر المدونة الشهيرة لسحنون التى صارت جل اهتمام اهل القيروان فى ذلك الوقت (١٨٨) ، يشـير الى اهميتها ابن خلدون فيقول (١٨٩) : فكانت تسمى المدونة والمختلفة وقد عكف أهل القيروان على هذه المدونة وأهل الأندلس على الواضحة والعتبية وكانت هذه الكتب أو التصانيف هى اجل ما دون فى مذهب مالك حينذاك كمـا اسلفنا القول ، فلا غـرو اذ انتشر هـذا المذهب فى بـلاد الأندلس وذلك كانتشـاره فى سـائر بلاد افريقيـة والمغـرب .

ومن هؤلاء الأندلسيين الذين قدموا مصر فى سبيل العلم والدرس فى أواخـر عصر الولاة كل من يحيى بن ابراهيم بن مزين ، ويحيى بن عمر بن يوسف الكنـانى (١٩٠)

ويوسف بن مؤذن بن عيشون المعافرى ، حيث جلسوا الى فقهاء مصر البارزين كابن الفرج الفقيه المالكى الشهير ويحيى بن حرملة التجيبى الفقيه الشافعى ، ومحمد بن عبد الله ابن عبد الحكم (١٩١) .

كما وفد على مصر فى تلك الفترة من هؤلاء الفقهاء أحمد بن عمرو بن منتصر ، وأحمد ابن يحيى بن زكريا من أهل قرطبة ، وقد تحلقا فى جامع عمرو بن العاص وأخذا عن الربيع ابن سليمان الجيزى صاحب الشافعى ، والفقيه المؤرخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم وأخيه مفتى مصر آنذاك والذى اليه صارت الرحلة من المغرب والأندلس لشهرته وذيوع صيته حيث كان أفقه أهل عصره (١٩٢) .



هوامش الفصل الثالث

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٥١٣ .

(٢) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٩١ — ١٩٢ .

(٣) فقد جاء في سورة «يس» الآية٦٩ في قوله تعالى: ((**وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين**)) وفي سورة ((الشعراء)) الآية ٢٢٤ وما بعدها في قوله عز وجل : ((**والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون**)) .

(٤) المقدمة ، ص ٥١٦ .

(٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٩٣ .

(٦) الولاة ، ص ١٢ .

(٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٧٣ ، ١٧٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٨ .

(٨) نقل المقريزى لكل من هذين الشاعرين أبياتا في هذه المناسبة حيث قال أبو قبان ابن نعيم بن بدر التجيبى :

وبابليون قد سعدنا بفتحها وحزنا لعمر الله فيئا ومغنما
وقيسبه الخير بن كلثوم داره اباح حماها للصلاة وسلما
فكل مصل في فناها صلاته تعارف أهل المصر ما قلت فاعلما

أما أبو مصعب قيس بن سلمة الشاعر فقد أنشد يمتدح عبد الرحمن بن قيسبة قائلا:

وأبوك سلم داره وأباحها لحياة قوم ركع وسجود

الخطط ، ج ٣ ، ص ١٠٨ .

(٩) كان الشاعر حسان لسان قومه في الحروب التي نشبت بينهم وبين الأوس في الجاهلية ، ولما أسلم كان رسول الله يحثه على هجاء شعراء قريش المشركين ، فكان يهجوهم بالأيام التي هزموا فيها ويعيرهم بالمثالب والأنساب . وقيل انه كان ينشد الرسول شعره في المسجد وقد أهداه الرسول بستانا كما أهداه سيرين أخت زوجه مارية القبطية . شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى ، ص ٧٧ — ٧٨ .

(١٠) كتاب الرحلة ، ص ٢١ .

(١١) ومما تجدر الاشارة اليه أنه يوجد حاليا بالقاهرة ـ كوبرى القبة ـ مسجد يحمل اسمه وله به مقام .

(١٢) الولاة ، ص ٣٧ .

(١٣) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٩٤ .

(١٤) قال الشاعر :

وما الجد الا مثل جد ابن جحدم   وما العزم الا عزمه يوم خندق

ثلاثون الفا هم أثاروا ترابه   وخدده فى شهر حديث مصدق

الكندى : الولاة ، ص ٤٢ .

(١٥) قال الشاعر عبد الرحمن بن عبد الحكم فى تلك المناسبة :

وسدت معافرا أفق البلاد   بموعد جيش لها مبرق

ونادى الكفاة ألا فابرزوا   فحتام حتى ولا نلتقى

وقال الشاعر زياد بن قائد اللخمى فى قتل الأكدر بن حمام بن عامر سيد لخم :

كما لقيت لخم ما ساءها   بأكدر لا يبعدن أكدر

هو السيف جرد من غمده   فلاقى المنايا وما يشعر

فلهفى عليك غداة الردى   وقد ضاق وردك والمصدر

(١٦) اشتهر الشاعر جميل صاحب بثينة بالغزل العف أو ما أصطلح على تسميته بالغزل العذرى . ابن الكندى : فضائل مصر ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٩٣ .

(١٧) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٤٣ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٥٨ .

(١٨) الكندى : الولاة ، ص ٤٧ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٢٠) محمود مصطفى : الأدب العربى فى مصر ، ص ٦٩ .

(٢١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٥٩ .

(٢٢) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٥٩ .

(٢٣) سيرة القاهرة ، ص ١٠٠ .

(٢٤) وضع الخليل بن أحمد عالم النحو والعروض فى البصرة (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) بحور الشعر التى تعطى له موازين محددة، وقد حصرها فى خمسة عشر بحرا، وان زاد عليها الأخفش الأوسط (ت ٢١٥ وقيل ٢٢١ هـ) بحرا واحدا وهو ما عرف بعلم العروض . ابن النديم : الفهرست ، ص ٦٣ - ٦٤ ، ٧٧ - ٧٨ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٩٤ .

(٢٥) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٢٨ ، عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية ، ص ١٦٧ .

(٢٦) الأغانى : جـ ٢٠ ، ص ١٦١ .

(٢٧) الفهرست : ص ٢٢٩ .

(٢٨) قال الشاعر دعبل للمطلب حينما خرج من مصر متجها الى مكة فى البحر الأحمر:

فكيف رأيت سيوف الجريش ... ومالك فى الحج من رغبة
أحجتك أسيافهم كارها ... ووقعة مولى بنى ضبه

الكندى : الولاه ، ص ١٦١ .

(٢٩) ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، جـ ٤ ، ص ٢٣ .

(٣٠) حسن أحمد محمود : الكندى المؤرخ ، ص ٤٠ .

(٣١) الكندى : الولاة ، ص ١٢٧ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٣٣) قال سعيد بن عفير الشاعر :

لعمرى لقد لاقى هبيرة حتفه ... بأفضل ما تلقى الحتوف السوارع
بأنف حمى لم تخالطه ذلة ... يمرض نقى لم تشنه المطامع
عشية يكفيه مطلب الذى ... به ضاق ذرعا والمنايا كوارع

(٣٤) الولاة ، ص ١٥٥ .

(٣٥) نفس المصدر ، ص ٣٩٩ .

(٣٦) نفس المصدر ، ص ٤١٥ .

(٣٧) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ٤٥٢ .

(٣٨) نفس المصدر .

(٣٩) الفهرست ، ص ٢٣٥ .

(٤٠) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٢ .

(٤١) نفس المصدر ، ص ٥٣١ .

(٤٢) ابن حجر ، رفع الأصر ، ص ٢١ .

(٤٣) السيوطى : المصدر السابق ، ص ٣٠٤ .

(٤٤) السلمى : طبقات الصوفية ، ص ١١ ، تحقيق وترتيب أحمد الشرباصى .

(٤٥) فمن شعره فى الحب الالهى :

أموت وما ماتت اليك صبابتى ... ولا قضيت من صدق حبك أوطارى

منال المنى كل المنى أنت لى المنى ... وأنت الغنى كل الغنى عند اقتارى

وأنت مدى سؤلى وغاية رغبتى ... وموضع شكواى ومكنون اضمارى

تحمل قلبى فيك ما لا أبثه ... وان طال سقمى فيك أو طال اضرارى

(٤٦) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٤ — ٢٥ .

(٤٧) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٣ .

(٤٨) يتألف الحديث كما هو معروف من قسمين : القسم الأول سلسلة رواة الحديث على التوالى ويسمى الاسناد أو السند وذلك لاثبات صحة الخبر حيث يبدأ السند بآخر راو للحديث ويتدرج حتى يصل الى اسم الصحابى الذى سمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما القسم الثانى للحديث فهو « المتن » أو ما يحتوى عليه الحديث من المفردات التى نطق بها النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤٩) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، ص ٥٥ — ٥٧ .

(٥٠) سيدة كاشف : مصادر التاريخ الاسلامى ، ص ٢٧ .

(٥١) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ١٧٧ ، أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ١٥٩ .

(٥٢) نقل ابن عبد الحكم عن أدريس بن يحى الخولانى عن ابن عياش القنبانى عن أبيه عن تبيع الراوية وصف المساجد الخمسة المقدمة ، منها المسجد الذى فى القيسارية التى تباع فيها المواريث ومسجد اللبخات ومسجد عمرو بن العاص . فتوح مصر والمغرب ،

ص ١٦١ . السيوطى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٧٨ ، عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية ، ص ١٠٢ .

(٥٣) ابن سعد : الطبقات الكبرى : جـ ٥ ، ص ١٣٣ ، فتوح مصر والمغرب ، ص ١٥٩ .

(٥٤) ينقل ابن عبد الحكم من هذا الكتاب وصفا لمدينة الأسكندرية ، فقد ذكر أن عمرو بن العاص لما فتح الأسكندرية وجد فيها أثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر . فتوح مصر والمغرب ، ص ١٢١ .

(٥٥) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٨ .

(٥٦) نسبة الى قبيلة أصبح او ذو أصبح احدى قبائل حمير اليمنية ، وهى قبيلة كبيرة نزلت الجيزة بأمر عمرو بن العاص مع القبائل الأخرى ، وعميدهم أبرهة بن الصباح الحميرى الذى دخل مصر فى جيش عمرو الفاتح لمصر . ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص ١٧٦ ، السيوطى المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٦٧ .

(٥٧) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ .

(٥٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .

(٥٩) فتوح مصر والمغرب ، ص ٨١ ، ص ١٠٨ ، الولاة ، ص ٧، ٨ — ١٣ ، ١٨ ، ٢٨ .

(٦٠) نقل المقريزى فقرات من هذا الكتاب وذلك من كتاب المؤرخ المصرى ابى خليفة حميد بن هشام ، يدلنا على ذلك ما جاء فى قوله : قال أبو خليفة : ليس فى كتاب عبد الله ابن وهب ولا فى كتاب الواقدى تسمية ينتمى اليها ... الخ . مشيرا بذلك الى الثياب البقطرية التى اشترط عليها فى معاهدة البقط التى جرت بين عبد الله بن سعد بن أبى السرح وبين ملك النوبة سنة ٣١ هـ . الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

(٦١) الفهرست ، ص ١٨٩ .

(٦٢) نقل ابن عبد الحكم من كتبهم ومخطوطاتهم فقرات كثيرة وروى عنهم فى كثير من كتابه « فتوح مصر والمغرب » كما استعان أبو عمرو الكندى بعد قرون من الزمان على وفاة المؤرخ ابن عبد الحكم بهذه التصانيف لهؤلاء الاخباريين والمؤرخين المذكورين .

(٦٣) الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

(٦٤) نسبة الى المعافر وهى قبيلة يمنية كبيرة ينسب اليها خلق كثير بعضهم باليمن وكان معظمهم بمصر أيام أن وفد ابن هشام عليهم بمصر . ومن المعروف أن المعافر كانت من قبائل الفتح التى اختلطت بالفسطاط وظلت حتى أواخر القرن الثالث الهجـــرى .
ابن عبـــد الحكم : فتـــوح مصر والمغـــرب ، ص ١٧٣ .
G. Wiet : Repertoire, Chronologique, tome, 2, p. 65.

الســـيرة النبـــوية ، المقـــدمة .

(٦٥) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٣١ .

(٦٦) روى عنه عبد الله بن عبد الحكم، وابنه عبد الرحمن وغيرهما من المؤرخين المصريين .

(٦٧) ابن الكندى : فضائل مصر ، ص ٤١ ، حسن أحمد محمـــود : الكنـــدى المـــؤرخ ، ص ٤٠ .

(٦٨) الخطط ، جـ ١ ، ص ٤١ .

(٦٩) رياض النفـــوس ، ص ١١ .

(٧٠) فتـــوح مصر والمغـــرب ، ص ٢٥٦ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغـــرب العـــربى ، ص ١١٧ .

(٧١) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٩٧ ، ٤٦٤ ، محمد عبد الله عنان : مؤرخـو مصر الاسلامية ومصادر التاريخ الاســلامى ، ص ١٠ .

(٧٢) عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٧ .

(٧٣) ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب فى أواخر سنة ١٣٤٥ هـ ، أما الطبعة الثانية فقد قام بالتعليق عليها أحمد عبيد بمدينة دمشق وأسند مهمة نشرها الى السيد وهبة حسن وهبة صاحب مكتبة وهبة — عابدين — القاهرة ، سنة ١٣٧٣ هـ/١٩٥٤ م .

(٧٤) ابن النديم : الفهرست، ص ١٣٩، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ١، ص٣٤٦ .

(٧٥) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، المقدمة ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ص ٣٤٧ .

(٧٦) نفس المصدر ، ص ١٢١ ، ١٣١ ، ١٤٠ ، ١٤٤ .

(٧٧) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص ٨ م .

(٧٨) السيوطى : المصـــدر الســـابق ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ .

(٧٩) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

(٨٠) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ، ص ٢٢٧ .

(٨١) دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٤ ، ص ٤٩٣ ، عفان : مؤرخو مصر الاسلامية ، ص ١١ .

(٨٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، المقدمة ، تحقيق عبد المنعم عامر .

(٨٣) حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

(٨٤) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٥ ، البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٣٠ .

(٨٥) رياض النفوس ، ص ٦ .

(٨٦) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

(٨٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٨٩ ، ص ٢٣٧ — ٢٣٨ .

(٨٨) المالكى : رياض النفوس ، ص ٦٥ ، السيوطى : المصدر السابق ، ص ٢٥٩ .

(٨٩) نفس المصدر ، ص ٦٩ .

(٩٠) المالكى : رياض النفوس ، ص ٧٤ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .

(٩١) نفس المصدر ، ص ٧٥ ، السيوطى : نفس المصدر ، ص ٢٩٨ .

(٩٢) نفس المصدر ، ص ١٠٣ .

(٩٣) نفس المصدر ، ص ٧٥ — ٧٦ .

(٩٤) المالكى : رياض النفوس ، ص ٧٦ .

(٩٥) نفس المصدر ، ص ٧٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٦٠ .

(٩٦) نفس المصـــــــــدر ، ص ٧٩ .

(٩٧) السيوطى : المصـــدر الســابق ، جـ ١ ، ص ٢٦٠ .

(٩٨) بلغ من حرصه على الصلاة فى المسجد والجلوس فيه ما عبر عنــه حين قال : ما أذن المؤذن لصلاة الصبح منذ اربعين سنة الا وأنا فى المسجد الا أن أكون مريضــا أو مســافرا . المالكى : رياض النفــوس ، ص ٨٤ .

(٩٩) المصدر السابق ، ص ٨٤ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٩٩ .

(١٠٠) نفس المصدر ، ص ٩٠ ، السيوطى : نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٢٠٨ .

(١٠١) المالكى : رياض النفـــوس ، ص ٩١ ، الســـيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٨٠ .

(١٠٢) نفس المصدر ، ص ١٠٠ ، السيوطى : نفس المصدر ، ص ٢٢٠ .

(١٠٣) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٣٥٤ ، الســـيوطى : المصـــــدر الســـــابق ، جـ ١ ، ص ٢٩٧ .

(١٠٤) نفس المصـــــــدر ، جـ ١ ، ص ٣٥٥ .

(١٠٥) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٣٣ .

(١٠٦) نفس المصــــــــدر ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ .

(١٠٧) نفس المصـــــدر والصـــفحة .

(١٠٨) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٢٥٢ ، الســـيوطى : حسن المحـــــاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٤٨ .

(١٠٩) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ١٢١ ، السيوطى : نفس المصدر ، جـ١ص٣٤٦ .

(١١٠) تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ١٠٨ — ١٠٩ .

(١١١) نفس المصـــدر ، جـ ٢ ، ص ١٤٤ .

(١١٢) نفس المصـــدر والجـــزء ، ص ٣٩٨ .

(١١٣) المقـــــــــدمة ، ص ٤٩٣ .

(١١٤) تاريخ علمـــاء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٩ .

(١١٥) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٤٨ .

(١١٦) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٣٨ .

(١١٧) المصدر السابق والجزء ، ص ١٣ ، ص ٢٥٤ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .

(١١٨) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٤٩ .

(١١٩) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٤٢ — ٤٣ ، ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٣٩٦ .

(١٢٠) ذكر ابن عبد الحكم عن الصحابة الذين اشتركوا فى فتح افريقية عددا كبيرا منهم عبد الله بن سعد بن أبى السرح ، والمقداد بن عمرو معاوية بن حديج التجيبى وعقبة ابن نافع الفهرى وسفيان بن وهب الخولانى ، مسعود بن الأسود البلوى وغيرهم . فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٦٠ — ٢٧٥ .

(١٢١) شجع هؤلاء المجاهدين من الصحابة والتابعين على فتح افريقية ما ورد فى فضلها . فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ، وعن أنس بن مالك أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«لا تزال عصابة من أمتى بالمغرب يقاتلون على الحق حتى تقوم الساعة» .

(١٢٢) ذكر المالكى أن عقبة بن نافع حينما اختط القيروان كان معه فى عسكره خمسة وعشرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . رياض النفوس ، ص ٦ ، تحقيق حسين مؤنس .

(١٢٣) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ ، ٤٨٥ .

(١٢٦) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٣٨٧ ، السيوطى :

(١٢٥) نفس المصدر والجزء ، ص ٢٩٨ .

(١٢٦) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٣ ٨٧ السيوطى ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٨٥ .

(١٢٧) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٨٦ .

(١٢٨) المصيصة احد ثغور الشام تقع بين أنطاكية وبلاد الروم حيث كان المسلمون يفضلون الرباط فيها ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ١٤٤ — ١٤٥ .

(١٢٩) البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ٢٢٨ .

(١٣٠) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٨٦ ، البرى : القرآن وعلومه فى مصر ، ص ٢٢٨ .

(١٣١) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ١٧ .

(١٣٢) نفس المصدر ، ص ١٨ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ ، السيوطى : المصدر السابق ، ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، البرى : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

(١٣٣) المالكى : رياض النفوس ، ص ١٠٦ .

(١٣٤) نفس المصدر ، ص ١١٢ ، ١١٣ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٨٢ .

(١٣٥) تولى ابراهيم بن الأغلب الامارة فى افريقية سنة ١٨٤ هـ من قبل الخليفة هارون الرشيد ، وقام ببناء مدينة جديدة أطلق عليها اسم العباسية بالقرب من القيروان ، ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ١٨١ هـ .

(١٣٦) سعد زغلول : تاريخ المغرب العربى ، ص ٣٦١ .

(١٣٧) المالكى : رياض النفوس ، ص ١٥٨ .

(١٣٨) المالكى : رياض النفوس ، ص ١٦٣ .

(١٣٩) المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٣٧ .

(١٤٠) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ١٧٦ — ١٧٧ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .

(١٤١) تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٧ .

(١٤٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٩ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ — ٣٩٧ .

(١٤٣) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٣١٣ — ٣١٤ .

(١٤٤) المقدمة ، ص ٣٩٦ .

(١٤٥) تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٣١٥ .

(١٤٦) ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ٣١٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(١٤٧) انتشر مذهب الأوزاعى بمدن الشام،حتى ولى قضاء دمشق بعد قضاء مصر أبو زرعة محمد بن عثمان الدمشقى سنة ٢٨٤ هـ ، فأدخل اليها مذهب الشافعى وحكم به قتيبة بعد ذلك القضاة ، وهو أول من أدخله الشام ، وكان يهب لمن يحفظ مختصر المزنى مائة دينار ، توفى سنة ٣٠٣ هـ . الكندى : القضاة ، ص ٤٨٠ ، احمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة ، ص ٨٠ — ٨١ .

(١٤٨) ابن الفرضى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣١٢ .

(١٤٩) رياض النفوس ، ص ١٧٣ .

(١٥٠) نفس المصدر ، ص ١٧٨ — ١٧٩ .

(١٥١) رياض النفوس ، ص ١٧٣ .

(١٥٢) نفس المصدر ، ص ١٧٩ .

(١٥٣) نفسه ، ص ١٨٠ .

(١٥٤) رياض النفوس ، ص ١٨١ .

(١٥٥) تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٥٤ .

(١٥٦) المالكى : المصدر السابق ، ص ١٨٥ — ١٨٦ .

(١٥٧) المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(١٥٨) كان مولد سحنون بالشام سنة ١٦٠ هـ وقدم مع أبيه الى افريقية ، المالكى : رياض النفوس ، ص ٢٤٩ .

(١٥٩) نفسه ، ص ٢٥٣ .

(١٦٠) يقول عنه أحد المعاصرين له : ورأيت اصحاب ابن القاسم بمصر وأصحاب ابن وهب واشهب ، ورأيت بمكة علماء وعلماء من أهل بغداد قدموا اليها ، فوالله ما رأيت فيهم مثل سحنون ولا مثل ابنه محمد بعده . المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .

(١٦١) المالكى : رياض النفوس ، ص ١٨١ — ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .

(١٦٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

(١٦٣) رياض النفوس ، ص ٢٨٦ — ٢٨٨ .

(١٦٤) نفس المصدر ، ص ٣٤٥ — ٣٤٦ .

(١٦٥) نفس المصدر ، ص ٣٥٢ .

(١٦٦) المالكى : رياض النفوس ، ص ٤٠٧ .

(١٦٧) توفى محمد بن سحنون سنة ٢٥٦ هـ ودفن بباب نافع بالقيروان . نفس المصدر ، ص ٣٤٦ .

(١٦٨) نفس المصدر ، ص ٣٩٧ ، حاشية ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .

(١٦٩) رياض النفوس ، ص ٣٩٨ .

(١٧٠) احمد تيمور : المذاهب الفقهية الأربعة ، ص ٥٣ — ٥٤ .

(١٧١) أحسن التقاسيم ، ص ٢٢٥ ، احمد تيمور : المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(١٧٢) ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، جـ ١ ، ص ١٠٨ — ١٠٩ .

(١٧٣) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٣٩٧ .

(١٧٤) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣١٠ .

(١٧٥) ابن الفرضي : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٥ .

(١٧٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ .

(١٧٧) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ١ ، ص ١٠٥ ، النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ، ص ٥٣ .

(١٧٨) النباهي : المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(١٧٩) تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ١١ ، ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٦ .

(١٨٠) تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ١٢ — ١٣ .

(١٨١) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ١٣ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٨ .

(١٨٢) نفح الطيب ، جـ ٢ ، ص ٦ .

(١٨٣) ابن الفرضي : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢ .

(١٨٤) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٣٤ .

(١٨٥) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .

(١٨٦) نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ .

(١٨٧) نفس المصدر والصفحة .

(١٨٨) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٣٦ .

(١٨٩) المقـــــــــــدمة ، ص ٣٩٦ .

(١٩٠) ابن الفرضي : تاريخ علمـــــاء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ١٧٨ ، ١٨١ .

(١٩١) نفس المصدر والجـــزء ، ص ٢٠٢ .

(١٩٢) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ٣٨ ، ٤٣ ، السـيوطي : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ .



الفصل الرابع

الحركة الفكرية فى جامع عمرو بن العاص وظهور الفرق والمذاهب المختلفة وموقف العلماء منها



أولا : ظهور السبئية والعلوية فى مصر .

ثانيا : ظهور الخوارج فى الفسطاط .

ثالثا : ظهور آراء المعتزلة والقول بخلق القرآن .

رابعا : ظهور آراء الصوفية وذى النون الأخميمى المصرى .



نشطت الحركة الفكرية بالفسطاط لا سيما بعد ان ظهـــرت تلك الآراء والمذاهب المختلفة التى أثارتها تلك الفرق كالسبئية والعلوية والخوارج والمعتزلة وغيرها من الصوفية فى عصر الولاة، وقد كان أصحاب الحديث ومشاهير الحفاظ من التابعين وائمة الفقه وغيرهم من القراء بالمسجد الجامع ينتمون بطبيعة الحال الى قبائل وبطون عربية مختلفة شاركت فى أعمال فتح مصر ، ومنها من نزح اليها فى أعقاب الفتح الاسلامى ، وأصبحت لهم الدور والمنازل التى اختطوها حول المسجد الجامع أو جامع عمرو بالفسطاط .

هذا ولم يكن هؤلاء من ائمة الفقه وأهل العلم والدين بعيدين عن مجريات الأحداث والآراء والنظريات التى أثارتها الفرق المختلفة منذ ان وصل عبد الله بن ســـــبأ الى الفسطاط . وأخذ يبث دعوته بين أهلها . فلاقت قبولا ورواجا بينهم ، ومنذ وفـــد الى مصر داعى الخوارج وظهرت آراؤهم الداعية الى الفرقة والانقسام . فقد انقسم أهل مصر وشيوخ العلم بها الى علوية وعثمانية فى الميول والهوى ، والى شراة أو خـــــوارج والى ما عرف بأهل الاعتزال او المعتزلة والقول بخلق القرآن وما كان من سنوات المحنة التى عانى منها الكثير من العلمـــاء والفقهاء فى مصر . كمـــا تعطلت حلقـــاتهم بالمســجد الجـــامع حينــــــا من الزمن .

ومما لا شك فيه أنه منذ عهد الصحابة والتابعين فان أهل العلم من المحدثين والقراء وغيرهم لم يكونوا بمنأى عن احداث الفتنة الكبرى وما أعقبها من ظهور الفرق المختلفـــة وآرائها المتباينة كالشيعة وغيرها والتى اصطبغت بالصبغة الدينية وان كانت ترمى الى تحقيق أهـــداف سياسية فى المقـــام الأول .



أولا : ظهور السبئية والعلوية فى مصر

ظهرت آراء السبئية (١) فى جامع عمرو والفسطاط بعد مقدم عبد الله بن سبأ اليها (٢) ، حيث أظهر العلم والتقوى حتى افتتن الناس به ، وبعد رسوخه بينهم بدأ يدعو الى مذهبه ومنهجه ، وأظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة فأنكر أحقيتهم فى الخلافة وتبرأ منهم ، وأعلن أحقية على بن أبى طالب فيها وبالرجعة النبى محمد (٣) ، والوصاية لعلى وذلك فى عهد عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين .

ولا شك أن ابن السوداء كان له دوره فى اثارة الفتنة ضد الخليفة عثمان فى الأمصار وعلى الأخص فى البصرة والكوفة والفسطاط التى نزلها . حيث كان يقول بالرجعة والوصاية ، وأن لكل نبى وصيا وعلى بن أبى طالب وصى محمد صلى الله عليه وسلم . فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن على بن أبى طالب وصيه فى الخلافة على أمته (٤) .

وقد أرسل عثمان الى أهل الأمصار ببعض الصحابة وأبنائهم لتهدئة الأمور وازالة أسباب السخط والحنق على سياسته ، وبعث بعمار بن ياسر الى مصر ، يقول المقريزى « فرجعوا الى عثمان الا عمارا وقالوا ما أنكرنا شيئا وتأخر عمار فورد الخبر الى المدينة بأنه قد استماله عبد الله بن السوداء فى جماعة اليه » (٥) .

وكان ممن لاقت آراء ابن سبأ فى نفسه هوى بالفسطاط محمد بن أبى حذيفة حيث أعلن رفضه لخلافة عثمان ، وأخرج عقبة بن عامر الصحابى والحافظ الشهير ، وكان قد استخلفه عبد الله بن سعد والى مصر فى سنة ٣٥ هـ حينما خرج لمقابلة الخليفة عثمان (٦) . وهكذا أخذ ابن أبى حذيفة يحرض على عثمان بكل شىء يقدر عليه ، فكان يكتب الكتاب — كما يقول الكندى — على لسان أزواج النبى ويأخذ الرواحل فيضمرها ويجعل رجالا على ظهور البيوت ووجوههم الى وجه الشمس لتلوح وجوههم تلويح المسافر ، ثم يأمرهم ان يخرجوا الى طريق المدينة بمصر ، ثم يرسلون رسلا يخبرون بهم الناس ليبلغوهم ، وقد أمرهم اذا لقيهم الناس أن يقولوا : ليس عندنا خبر . الخبر فى الكتب ، ثم يخرج محمد بن أبى حذيفة والناس كأنه يتلقى رسل أزواج النبى عليه السلام فاذا لقوهم قالوا : لا خبر عندنا ، عليكم بالمسجد فيقرأ عليهم كتب أزواج النبى ، فيجتمع الناس فى المسجد

(أى جامع عمرو) اجتماعا ليس فيه تقصير ، ثم يقوم القارىء بالكتاب فيقول : انا لنشكو الى الله واليكم ما عمل فى الاسلام وما صنع فى الاسلام فيقـوم أولئك الشـــيوخ من نـــواحى المســــجد بالبـــكاء (٧) .

وعندما بلغت الخليفة عثمان الأخبار بذلك حاول أن يصلح بينه وبين ابن أبى حذيفة فأرسل اليه كسوة وثلاثين الف درهم ، ولكن ابن أبى حذيفة كان رجلا موتورا فاشتد اللجاج ، وتوجه الى المسجد الجامع واظهر الهدية للناس فيـه وخطبهم قائلا : « يا معشر المسلمين : ألا ترون أن عثمان يخادعنى عن دينى ويرشونى » .

وقد استمر ابن أبى حذيفة فى اثارة أبناء الصحابة حتى نشأ بمصر طائفــــة منهم يؤلبون الناس على حرب عثمان والانكار عليه فى عزل عمرو وتولية من دونهم (٨) ، وهكذا انقسم أهل مصر الى عثمانية وعلوية (٩)، وخاصة بعد أن تمكن الثوار من المصريين وغيرهم من قتل عثمـــان فى المدينــــة ســــنة ٣٥ هـ (١٠) .

ويمكن القول بأن غالبية القبائل العربية التى اختطت حول المسجد الجامع قد تأثرت بالدعوة السبئية وتلك الطائفة التى كان ينتمى اليها ابن أبى حذيفة ، حتى بات أهل مصر جميعا من شيعة على فيما عدا قليل من أنصار العثمانية .

وكان من اشهر القبائل التى تأثرت بهذه الدعوة قبيلة تجيب ولكن معــاوية بن أبى سفيان زعيم العثمانية فى سائر الأمصار حينذاك ، لم يلبث أن انتزع مصر من سلطان على وانتقم من أهلها ، وقام بقتل ثمانين من افراد هذه القبيلة بعــــد ان تم قتل محمد بن أبى حذيفـــــــة ســـــــنة ٣٦ هـ (١١) .

وقد حاول بعض الصحابة والتابعين اعتزال الفتنة وعدم الخوض فى مسائل الخلافة ، فمن هؤلاء هبيب بن دغفل الصحابى ، نقل السيوطى (١٢) عن ابن الربيــع الجيزى أنه شهد فتح مصر واحتفظ بها ، كما كانت له حلقة بجامع عمـــرو يروى الحديث بها ، ثم ما لبث أن اعتزل الناس فى فتنة عثمان واتجه خارجا من الفسطاط الى وادى هبيب الذى ينسب اليــــه وتـــوفى بــــه .

وتطالعنا المصادر التاريخية بأن قبيلة لخم وتجيب كانتا علوية الهوى ، وقد اشتهر

منها العلماء والحفاظ وأئمة الفقه ، فمن قبيلة لخم اشتهر شيخها الأكدر بن حمـــام ابن عامر ، حيث كان الأكدر علويا كما كان ذا دين وفضل وفقه فى الدين ، وممن جالس الصحابة وروى عنهم وهو صـــاحب الفريضـــة التى تسمى الأكدرية التى سبقت الاشـــــارة اليهـــا (١٣) .

وعندما حضر مروان بن الحكم الى مصر وحاصر الفســـطاط ، أجلب عليه الأكدر بقومه ، وحاربه بكلّ أمر يكرهه كما يذكر الكندى ، ولكن مروان أبى الا أن يقتل كثيرا من أهل القبائل العربية ، كما تم ضرب عنق الأكدر سيد لخم وشيخها بسبب ولائه للعـلوية ورفضه لمبايعة الأمويين أنصار العثمانية آنذاك (١٤) . وهكذا تم القضاء على القوى المناوئة للحكم الأموى . وكما يقول المقريزى : « ومن حينئذ غلبت العثمانية على مصر » .

ومن القبائل التى لعبت دورا فى اخراج مصر من خلافة على الى سلطان معاوية قبيلة السكون اليمنية ، التى لم يحضر منها الى مصر عدد كبير ، حيث ظهر معاوية بن حديج (ت ٥٢ هـ) الذى لعب دورا هاما فى الانتصار للعثمانية بمصر (١٥) ، ولا شك أن ابنـــه عبد الواحد الذى ولى قضاء مصر (٨٩ — ٩٠ هـ) كان له موقف واضح فى مناهضـــة العلوية بمصر ومناصرة الأمويين ، ولا سيما أنه كان من كبـــار رجـــال الدولة الى جانب كونه من أئمة مصر المجتهدين (١٦) ، فقد روى عن أبيه وابن عمر ، كما أخـذ عنـه يزيد ابن أبى حبيب عـــالم مصر الشـــهير آنذاك .

وفى عهد عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١ هـ) هدأت الظروف وخفت حدة المطاردة فى مصر للعلويين بها ، وذلك لأن الخليفة وقف موقفا طيبا من آل البيت والعلويين ، حيث بالغ فى اكرامهم ومنع عماله سواء فى مصر أو فى غيرها من الأمصـــار من ســـبهم على المنابر (١٧) ، ويبدو أن سياسة الخليفة الأموى كان لها أثرها فى تشجيع الفقهاء وأهـــل الفتيا بمصر على اتباع مبدأ أهل الحديث الساعى لتحقيق اجماع الأمة والحفـــاظ على وحدة المسلمين من الفتنة والتفرق فى ســـائر الأمصار (١٨) .

والواقع أنه منذ ذلك الحين بدأ التيار السنى يقوى فى مصر وهو ما عرف بعد ذلك بأهل السنة والجماعة ، وكان المحدث يزيد بن أبى حبيب على رأس هذا الفريق فهو أحد رواة الحديث كما قدمنا ، وكان أقرب الى قول العثمانية وأكثر تعاطفا معهم ، وقد عبر عن ذلك بقوله : « نشأت بمصر وهم علوية ، فقلبتهم عثمانية » ، وكان يزيد بن أبى حبيب

ومعه جعفر بن ربيعة (ت ١٣٦ هـ) ممن أسند اليهم عمر بن عبد العزيز أمر الفتيا بمصر كما اشرنا من قبل (١٩) .

العلويون فى مصر فى العصر العباسى الأول :

وفى عهد الخليفة أبى جعفر المنصور (١٣٦ — ١٥٨ هـ) قدم الى مصر أحد دعاة العلوية ويدعى على بن محمد بن عبد الله بن حسن ، أخذ يدعو لابن عمه ، ولكنه لم ينجح فى سعيه ، وعندما قدم الى الفسطاط على بن محمد بن عبد الله لقيت دعوته نجاحا حتى شاع أمر العلوية وتكلم الناس بها حيث تولى أمرها الداعية خالد بن سعيد بن ربيعة بن حبشى الصدفى ، وكان جده من خاصة على بن أبى طالب . ويقول الكندى (٢٠) : « وبايع كثير منهم لعلى بن محمد . . وهو أول علوى قدم مصر » وكان كثير من العلويين اختاروا الفرار الى مصر هربا من مطاردة العباسيين . ومن المعروف أن : الخليفة المنصور استطاع أن يقهر العلويين ويقتل محمد بن عبد الله بن الحسن النفس الزكية فى الحجاز وأخاه ابراهيم فى العراق (٢١) .

وكما يذكر المسعودى فان اخاه محمدا وولده كانوا قد تفرقوا فى سائر الأمصار يدعون الى امامته ، فكان فيمن توجه ابنه على بن محمد الى مصر فقتل بها (٢٢) .

أصبح المسجد الجامع بالفسطاط مسرحا لنشاط العلويين فى ذلك الوقت ، من ذلك ما يذكر الكندى أنهم أشاروا على خالد بن سعيد وأهل الديوان من الجند أن يحوزوا بيت المال ، وكما اشرنا من قبل فانه كان موجودا بالمسجد ، وأن يكون ظهورهم وخروجهم فى المسجد الجامع ، وهكذا سار داعية العلويين خالد فى الذين معه وعليه قباء خز وعمامة صفراء وعمد الى المسجد فى منتصف الليل ، فانتهبوا بيت المال ، ثم تضاربوا عليه بسيوفهم ، فلم يصل منهم اليه الا اليسير (٢٣) .

كما تشير المصادر التاريخية الى خروج العلوية بالفسطاط سنة ١٤٥ هـ فى ولاية يزيد بن حاتم من قبل الخليفة المنصور ، حيث أمكنه قتل ثلاثة عشر رجلا من هؤلاء العلويين من اتباع خالد بن سعيد صاحب الدعوة لبنى الحسن بن على بمصر آنذاك (٢٤) .

وفى نفس العام قدم الخطباء الى الفسطاط برأس ابراهيم بن عبد الله بن الحسن فنصبوه فى المسجد الجامع (٢٥) ، وقام هؤلاء الخطباء فذكروا أمره للناس ، لكن الكندى

لم يذكر شيئا عن موقف أصحاب الحلق بالمسجد ازاء ذلك الحدث الذى يدل على تعقب العباسيين لهم والعمل على استئصال شأفتهم من سائر الأمصار الاسلامية (٢٦) .

وعلى الرغم من ذلك فان بعض الولاة كانوا يظهرون عطفهم وميولهم لآل البيت وهؤلاء العلويين . فمن ذلك أنه عندما خرج ادريس بن عبد الله العلوى فى خلافة الهادى (١٦٩ — ١٧٠ هـ) مستترا يريد بلاد المغرب الأقصى ، وقدم مصر ، وكان الوالى يومئذ على بن سليمان ، الذى علم بمكانه فلقيه سرا فسأله بالله والرحم أن يستتر عليه ، فانه خارج الى المغرب فستر عليه ، فكان عقابه كما يقول الكندى (٢٧) العزل من ولايته .

والواقع أن أهل السنة والجماعة فى مصر كانوا يذكرون عليا وبنيه بالاجلال ، ولم يكونوا أعداء قط لهم (٢٨) ، كما عرف عن أهل مصر حبهم لآل البيت ، فحينما وفدت على مصر نفيسة بنت الحسن بن زيد بصحبة زوجها اسحق بن جعفر الصادق ، وكان يقال له اسحاق المؤتمن ، وكان من أهل الصلاح والفضل والدين (٢٩) ، فان استقبال المصريين لها وزوجها كان ملحوظا ، وكانت على علم غزير وشغف بالحديث . وقد سمع منها كثير من علماء مصر وفقهائها ، منهم العالم ذو النون المصرى ، والبويطى ، والربيع بن سليمان المرادى والربيع الجيزى وغيرهم من أئمة الحديث والفقه وأصحاب الحلق بالمسجد الجامع (٣٠) .

كما يذكر المقريزى أن الامام محمد بن ادريس الشافعى وامام المالكية عبد الله بن عبد الحكم قاما بزيارتها وهى من وراء الحجاب ، وهكذا كان العلماء والفقهاء يقدرون آل البيت ويجلونهم فى مصر أيام العباسيين (٣١) .

وقد ظل أهل مصر يجلون آل البيت وهؤلاء العلويين بمصر على الرغم من موقف العباسيين المتشدد فى مطاردتهم ، ومما يدل على ذلك قول المقريزى فى هذا الصدد (٣٢) : وما زالت شيعة على بمصر الى ان ورد كتاب المتوكل على الله الى مصر ، يأمر فيه باخراج آل أبى طالب من مصر الى العراق فأخرجهم اسحاق بن يحيى أمير مصر .

كما يدل كتاب المتوكل على حسن معاملتهم عند اخراجهم من الفسطاط ، حيث أورد الكندى : أنه فرض فيهم الأموال ليتحملوا بها فأعطى كل واحد منهم ثلاثين دينارا والمرأة خمسة عشر دينارا وفرقت فيهم الثياب (٣٣) .

وعلى الرغم من خروج العلويين من مصر فان شيعتهم ظل أمرهم قائما حيث استتر هؤلاء عن عيون الحكام العباسيين ، والدليل على ذلك ما ذكره الكندى (٣٤) من أن يزيد ابن عبد الله التركى الذى تولى امارة البلاد فى رجب سنة ٢٤٢ هـ أمر بضرب رجل من الجند فى شيء وجب عليه فضربه عشرة سياط فاستحلف بحق الحسن والحسين الا عفا عنه فزاده ثلاثين ذرة ورفع ذلك صاحب البريد الى المتوكل فأمر بضربه مائة سوط فضربها ثم حمل الى العراق .

وقد أشار الكندى فى أواخر عصر الولاة لاضطهاد العلوية بمصر من جانب العباسيين ، ففى ولاية يزيد أيضا ورد كتاب المنتصر اليه بأن لا يقبل من علوى صنيعه، ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط الى طرف من أطرافها وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد الا العبد الواحد ، وان كانت بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه ولم يطالب بدينه (٣٥) .

كما يذكر الكندى رواية أخرى بشأن دعوة العلوية ، فقد ظهر رجل يقال له محمد ابن على وبويع له ، فبعث يزيد الى الموضع الذى كان فيه وأقر على جمع من الناس الذين بايعوه فأخذ بعضهم فضربوا بالسياط ثم أخرج بالعلوى وجمع من الطالبيين الى العراق وذلك فى رمضان سنة ٢٤٨ هـ (٣٦) .

وهكذا تتبع والى مصر هؤلاء الطالبيين فأخرج ستة رجال منهم فى رمضان سنة ٢٥٠ هـ ثم أخرج بثمانية منهم فى رجب سنة ٢٥٥ هـ (٣٧) ، وتدل هذه الأخبار على استمرار العلويين بمصر وبقاء دعوتهم بها وذلك على الرغم مما قام به العباسيون ضدهم وتعقبهم فى سائر الأمصار .

وعلى أية حال فان موقف الخلافة العباسية من العلويين لم يتغير بمصر فقد استمر كذلك أيام حكم الطولونيين والاخشيديين .

أما موقف الفقهاء والمحدثين المصريين فكانوا ضد التشيع ومن أنصار مذهب السنة والجماعة حتى مقدم الفاطميين وحكمهم للديار المصرية فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى .

ثانيا : ظهور الخوارج في الفسطاط

كان أول من قدم مصر داعيا لمذهب الخوارج حجر بن عمرو ، وكان قد شهد واقعة صفين (٣٩) ، كما حضر مع الحرورية النهروان ، وذلك فى عهد مسلمة بن مخلد والى مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية (٤٠) .

وعندما توفى يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ ، اخذ عبد الله بن الزبير يدعو الى نفسه بمكة وفى الأمصار المختلفة ، واخذ الخوارج بمصر فى اظهار دعوته وكانوا كما يقول الكندى (٤١) : « يحسبونه على مذهبهم » ولم يلبثوا أن بعثوا اليه بالحجاز وفدا منهم يقومون معه وينصرونه على بنى أمية فى الشام .

وبعث ابن الزبير الى مصر عبد الرحمن بن عتبة بن حجدم واليا من قبله ، فكان قدومه الفسطاط فى شعبان سنة ٦٤ هـ .

وهكذا قدم ابن حجدم الى الفسطاط ومعه جمع كثير من الخوارج كان منهم حوشب ابن يزيد وأبو الورد حجر بن عمرو وغيرهم ممن أظهروا التحكيم « لا حكم الا لله » شعار الخوارج آنذاك (٤٢) ، ودعوا اليه فبايعه الناس على كره من انصار العثمانية بالفسطاط .

ويبدو تأييد اهل العلم والأدب لهؤلاء الخوارج الذين عملوا على حفر الخندق حول الفسطاط ، وكانوا من الكثرة فقد بلغ عددهم نحو ثلاثين ألفا ، وقد عبر ابن أبى الخشنى احد الشعراء عن رأيه فى مناصرة الخوارج وأنصار ابن الزبير حين قال (٤٣) :

وما الجد الا مثل جد ابن حجدم   وما العزم الا عزمه يوم خندق
وخدده فى شهر حديث مصدق   ثلاثون الفا هم أثاروا ترابه

والحق أن آراء الخوارج الدينية ومناقشتها فى جامع عمرو بين أئمة الحديث والفقه فى العصر الأموى لم يظهر لها أثر ، فلم نسمع عن أية مناظرات جرت بين اهل مصر حول آرائهم وفيما ذهبوا اليه يومئذ (٤٤) ، وذلك على الرغم من انتشار آراء هؤلاء الشراة أو الحرورية فى بلاد المشرق الاسلامى كالبصرة واليمامة ونواحى اصفهان (٤٥) ، كما تشير المصادر الى ثوراتهم خلال القرن الثانى الهجرى والتى انحصرت فى جهات العراق وديار آل بكر بأرض الجزيرة (٤٦) .

أما فى مصر فانه حتى نهاية القرن الأول الهجرى لم يحدث ما يعكر صفو الولاة المصريين بسبب وجود هذه الطائفة من الشراة والخوارج فى الفسطاط فى أوائل القرن الثانى ، وفى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وواليه على مصر الوليد بن رفاعة الذى تولى امارة البلاد عام ١٠٩ هـ ، أن ثار أحد الشراة ويدعى وهيب اليحصبى بالفسطاط ، بسبب أوضحه الكندى لنا وهو ان الوالى الوليد اذن للنصارى فى ابتناء كنيسة بالحمراء « تعرف اليوم بكنيسة أبى مينا » فخرج وهيب غضبا لاثارة الناس . وكانت نهايته القتل عندما وصل الى دار الامارة بالفسطاط (٤٧) .

وعندما علم القراء فى المسجد الجامع بمقتله ، ثاروا لذلك وخرجوا الى جزيرة الروضة وكان على رأسهم أحد العلماء وهو شريح بن صفوان التجيبى « من قبيلة تجيب اليمنية » فقاتلوا أمير البلاد . ولكن الوليد بن رفاعة تمكن من هؤلاء القراء ، ولولا شفاعة مروان ابن عبد الحكم التجيبى وكان قريبا لشريح الثائر لدى الوليد ما تم اطلاق سراحهم أو اخلاء سبيلهم يومئذ (٤٨) .

أما فى العصر العباسى فلم يكن أهل مصر وشيوخ الحديث والفقه بها يؤيدون مقالة الخوارج وآراءهم المتشددة فى الاسلام ، كما كان الشعراء يهجونهم . وقد عبر المصريون عن ذلك حينما أسندت الخلافة العباسية ولاية البلاد الى الأمير عنبسة بن اسحق (٤٩) ، آخر الحكام العرب لمصر فى عصر الولاة (٥٠) ، وكان مشهورا بمذهب الخوارج .

وقد أورد الكندى بعض أبيات من قصيدة للشاعر يحيى بن الفضل يستنكر فيها فعل الخليفة بتولية هذا الخارجى الامارة حينما قال (٥١) :

من فتى يبلغ الامام كتابا ... عربيا ويقتضيه الجوابا
بئس والله ما صنعت الينا ... حين وليتنا أميرا مصابا
خارجيا يدين بالسيف فينا ... ويرى قتلنا جميعا صوابا
مر يمشى الى الصلاة نهارا ... وينادى السحور ضل وخابا



ثالثا : ظهور أراء المعتزلة والقول بخلق القرآن

ظهرت آراء المعتزلة فى البصرة فى أواخر العصر الأموى ، حيث كانت بداية القول فى القضاء والقدر ، وحيث كان يقيم بها الحسن البصرى ، عالمها المشهور (٥٢) . ويرجع الكثير من الدارسين أسباب تسمية هذا الفريق بالمعتزلة وذلك عندما اعتزل كل من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد حلقة الحسن واستقلا بأنفسهما على اثر تقريرها أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر فهو فى منزلة بين المنزلتين . وقد توفى الحسن البصرى سنة ١١٠ هـ فى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك كما كانت وفاة شيخ المعتزلة وقديمها واصل بن عطاء ، كما يقول المسعودى فى سنة ١٣١ هـ (٥٣) .

كان الحسن البصرى عالما بأخبار الحروب ومسائل الخلاف التى وقعت بين الصحابة والتابعين . وقد أثيرت تلك المسائل المتعلقة بالكفر والايمان وأعمال الصحابة وغيرها فى حلقته ، وكان لا بد من العثور على الاجابات عليها (٥٤) ، وهكذا أصبح صاحب حلقة المسجد الجامع بالبصرة كما وصفه ابن سعد — من رؤوس العلماء فى الفتن والدماء (٥٥) .

ويصف المسعودى تلك الحال التى بلغتها الفرق المختلفة فى عهد عمر بن عبد العزيز والمساجلات التى جرت بين المعتزلة وغيرهم من الخوارج والشيعة فيقول : وطالت بينهم المناظرة والمباغضة والتباين وآلى كل واحد منهم ألا يخاطب الآخر الى أن لحق بخالقه ، وحتى أن الأخ كان يهجر أخاه بسبب شدة تمسكه بمذهبه ، فقد كان اليمان بن رباب ، من غلبة الخوارج وأخوه على بن رباب من غلبة علماء الرافضة (أى الشيعة) وهذا مقدم فى أصحابه وهذا مقدم فى أصحابه يجتمعان كل سنة ثلاثة أيام يتناظران فيها ثم يفترقان ولا يسلم أحدهما على الآخر ولا يخاطبه ، وكذلك كان جعفر بن المبشر من علماء المعتزلة وحذاقها وأخوه حسن بن المبشر من علماء أصحاب الحديث (٥٦) .

وهكذا نشب الخلاف واشتد الصراع الفكرى بين أصحاب الفرق المختلفة فى أواخر العصر الأموى ، فكان ذلك من أسباب انهيار الدولة الأموية وسقوطها . ولكن آراء المعتزلة فى الواقع لم نسمع بها فى مصر أو اثارتها من جانب الأئمة أو المحدثين المصريين الا فى العصر العباسى ، فقد ذكر الكندى أن أول من أعلم عنه القول بالقدر هو على بن سليمان

العباسى الذى تولى امارة البلاد من قبل الخليفة الرشيد (١٧٠ — ١٩٤ هـ) (٥٧) ، يقول المؤرخ الكندى : « وكان أهل مصر مع هذا يرمونه بالقـــدر وذلك أنه استخلص رجلين متهمين بالقدر رهما عبد الحميد بن كعب بن علقمة التنوخى وهرم بن سليم بن عياض العامرى من قريش » وربما كان ذلك بداية القول بالقضاء والقدر بالفسطاط ، وأن الله لا يخلق أفعال الناس ، وانما هم الذين يخلقون أعمـــالهم .

اشتدت وطأة المعتزلة فى بغداد حين تحدث علماؤها فى القول بخلق القرآن والجـــدل حول هذا الأمر . فقد ذهب فريق المعتزلة الى أن القرآن حادث مخـــلوق نزل فى ظروف معينة وليس أزليا ، ولا شك أنهم كانوا متأثرين فى ذلك بالفلسفة اليونانية ، وما ورد فى تراث الأقدمين فى بلاد فارس وغيرها من البلدان التى فتحها العرب المسلمون .

وتجمع المصادر التاريخية على أن ظهور هذه المحنة والقول بخلق القرآن كان فى عهد الخليفة العباسى المأمون (٥٨) ، فقد اظهر القول بخلق القرآن سنة ٢١٢ هـ ، كما أجبـــر الناس على اعتناق ذلك فى سنة ٢١٨ هـ ، حيث أورد الطبرى وغيره من المؤرخين المسلمين نص الكتاب الذى أصدره المأمون من دار الخلافة وهو خارج من بغـــداد لغزو الروم ، اذ كتب الى والى بغداد اسحق بن ابراهيم يطلب منه أن يمتحن القضاة والفقهاء والمحدثين فى خلق القــــــرآن ويعاقب من لا يقر بخلقـــــــــه (٥٩) .

كما أورد الكندى المؤرخ المصرى نص الكتاب الذى بعث به والى بغداد الى والى مصر آنذاك كيدر نصر بن عبد الله وذلك فى نفس العام (٦٠) ، ومما جاء فيه : ان يأخذ الناس بالمحنة كما يطلب منه أن يمتحن القضاة والفقهاء والمحدثين فى خلق القرآن (٦١) .

وقد أخذ القاضى هارون بن عبد الله فى الفسطاط على تنفيذه حتى على هؤلاء الشهود بين يديه ، فكان كما يذكر الكندى (٦٢) : اذا شهد عنده شاهدان سألهما أولا عن القرآن فان اقرا انه مخلوق قبلهما ، والا اوقف شهادتهما .

وهكذا بدأت تثور تلك الأفكار والمسائل فى العدل والتوحيد واثبات أفعال العبـــاد وأن الله تعالى لا يخلق الشر كما يصف المقريزى ذلك ويقول (٦٣) : « وأعلنوا بأن القـــرآن مخـــــلوق محــــدث الى غير ذلك من مســــــائلهم » .

ولم يوافق الفقهاء وأئمة الاسلام فى مصر وغيرها على ذلك ، بل أعلنوا رفضهم واستنكارهم الشديد لتلك الآراء المتطرفة . ولا سيما بعد أن آلت الخلافة الى المعتصم بعد وفاة أخيه المأمون ، وعمل على التشدد فى حمل الفقهاء واجبارهم على القول بما يرضى أصحاب مذهب الاعتزال ، وكان ذلك سببا فى عزل القاضى هارون وتخليه عن منصبه بعد أن ورد كتاب الخليفة المعتصم باعفائه (٦٤) ، وأرسل قاضى القضاة فى بغداد أحمد بن أبى دؤاد الى محمد بن أبى الليث بكتاب يأمره فيه بالقيام بامتحان الفقهاء وغيرهم من أهل العلم فى مصر وذلك قبل توليه القضاء كما يقول الكندى (٦٥) . ويبدو أن قاضى القضاة أراد أن يختبر ابن أبى الليث فى مدى قوة شخصيته يومئذ ، وفيما يقدر عليه من اجبار الفقهاء المصريين على القول بخلق القرآن ، وذلك قبل أن يوليه القضاء بمصر حينذاك .

وقد استطاع ابن أبى الليث الخوارزمى أن يمتحن فريقا من العلماء والفقهاء المصريين أمثال نعيم بن حماد المروزى المحدث والبويطى تلميذ الشافعى والمحدث خشنام وغيرهم . وهكذا أفلح القاضى فى تشدده على هؤلاء ، فكافأه المعتصم على فعله فأسند اليه القضاء فى ربيع الآخر سنة ٢٢٦ هـ . وذلك على الرغم من عدم استجابة هؤلاء لمقولته (٦٦) .

وكان نعيم قد وفد على مصر من بلاد المشرق ، وهو أول من جمع المسند الصحيح كما نقل السيوطى (٦٧) عنه فى ترجمته أنه أخرج من مصر فى فتنة القول بخلق القرآن ، وحبس بسامرا فى العراق سنة ٢٢٨ هـ ، وهكذا تعطلت حلقته فى المسجد الجامع بمصر وكان من أئمة الحديث فى ذلك الوقت .

ومن المحدثين أيضا الذين نالهم السوء من جراء تلك المحنة هارون بن سعيد الأيلى(٦٨) وكانت حلقته عامرة فى رواية الحديث حينئذ ، يصف الكندى نقلا عن أحد شهود العيان الذين كانوا فى جامع عمرو حينما تم القبض عليه فقال (٦٩) : كنت جالسا فى المسجد فسمعت ضوضاء ورأيت الناس قد حفلوا فنظرت فاذا هارون بن سعيد الأيلى وطيلسانه تحت عضده وعمامته فى رقبته ومطر غلام ابن أبى الليث يسوقه بعمامته وهارون ينادى بأعلى صوته : القرآن كذا وكذا . . . ثم أخرجه من المسجد يطاف به الطرق كذلك . . . وهكذا كان يفعل بأهل العلم من المحدثين والفقهاء المصريين من جراء تلك المحنة والتشدد فى اجبارهم عى اعتناق آراء المعتزلة والقول بها فى مجال العلم أو حلقات الدرس فى المسجد الجامع حينذاك .

وقد عبر أحد الباحثين الغربيين عن دهشته من ذلك لاصرار حكام بنى العباس ووزرائهم يومئذ على حمل هؤلاء الفقهاء والمحدثين على ذلك القول فهو يقول (٧٠) : « وأحيانا يعجب المرء من شدة التدابير التى اتخذت من أجل حمل القضاة وكبار العلماء على الموافقة على أفكارهم وبصورة خاصة على معتقد خلق القرآن ، وهذا التعصب المناقض لحرية التفكير » .

ولما توفى المعتصم سنة ٢٢٧ هـ وتولى الخليفة الواثق ، صدرت الأوامر فى بغداد بالشدة وأن يؤخذ الناس بالقول بخلق القرآن . ويصف الكندى (٧١) أثر ذلك فى مصر حيث قال : « ورد كتابه (أى الواثق) على القاضى محمد بن أبى الليث بذلك وكأنها نار أضرمت » .

فقد جاء فى كتاب الواثق بأن يمتحن الناس أجمعين ، فلم يبق أحد من الفقهاء ولا المحدثين أو المؤذنين والمصلين حتى أخذوا بالمحنة (٧٢) . وهكذا هرب كثير من الناس وعلى الأخص هؤلاء العلماء من المسجد الجامع بالفسطاط ، كما ملئت السجون ممن انكر المحنة ، أو القول بخلق القرآن .

وبلغ الأمر الى درجة أن القاضى محمد بن أبى الليث أمر بالاكتتاب على جامع عمرو وغيره من المساجد « لا اله الا الله رب القرآن (المخلوق) » فكتب ذلك على المساجد ، كما منع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد الجامع وأمرهم « ألا يقربوه » (٧٣) مما أدى الى تعطيل حلقات العلم والدرس به واخماد الحركة العلمية تماما فى عهد الخليفة الواثق وواليه على مصر عيسى بن منصور من جراء المحنة .

ومن هؤلاء العلماء الذين استطاعوا الهرب من مصر يومئذ كما يذكر الكندى (٧٤) : القارىء يوسف بن أبى حبيبة وأحمد بن صالح ، وكانا من مشاهير القراء الذين سبق ذكرهما ، وكذلك القارىء والمحدث أبا يحيى الوقار ومحمد بن يوسف القطان .

ويشير الكندى صاحب هذه الرواية الى أن القارى ابن أبى طيبة لم يستطع الهرب حينذاك ، فلزم داره بالفسطاط ، أما محمد بن سالم القطان ، فقد تم القبض عليه عندما هم بخروجه من الفسطاط فحمل الى العاصمة العباسية بغداد .

كذلك فكر فى أمر الهرب العالم الزاهد ذو النون المصرى ، لكنه رأى أن يرجع عن ذلك فوقع فى يد القاضى ابن أبى الليث فأقر بالمحنة ، وكان ذو النون قد أنكر القـــول بخلق القرآن ، شأنه كبقية المحدثين والفقهاء أهل الحديث والسنة المصريين (٧٥) .

وتضطرب الروايات — فى الواقع — فى مسألة هـــرب ذو النون ، وخــــروجه من الفسطاط ، فهناك رواية أخرى ترى بأنه هرب الى الحجاز فى خـــــلافة الواثق بالله (٢٢٧ — ٢٣٢ هـ) الا أنه أمكن القبض عليه وسيق الى بغداد مقيدا فى الحديد ، فأودع السجن ولم يخرج منه الا بعد ان تولى الخلافة المتوكل الذى عمل على نسخ المحنة والتخلى عن اجبار الفقهاء أو ارغامهم على القول بآراء المعتزلة ، وحينئـــذ أطلق المتوكل سراح ذى النون وعاد الى مصر بعد أن خلع عليه وكرمه فى بغداد (٧٦) .

ومهما يكن من شىء فان حلقة ذى النون فى رواية الحديث والذكر والقصص قـــد تعطلت بالمسجد الجامع من جراء تلك المحنة أيام الواثق (٧٧) ، ولم تعقد مرة أخرى بعـــد ذلك الا فى عهد الخليفة المتوكل الذى أمر بالرجوع الى أهل السنة والأخذ برأيهم ، والتخلى عن آراء أصحاب مذهب الاعتزال ، البغيضـــــــــة (٧٨) .

ومن الذين تعطلت حلقاتهم بجامع عمرو حينذاك من جراء تلك المحنة حلقة ســـعد ابن زياد المعروف بابن القطاس ، وكان من علماء مصر وأهل الديانة والفضل ومن الشهود الأمناء ، يقول الكندى (٧٩) : وكانت له حلقة فى المسجد ، فلمـــا ولى ابن أبى الليث كان لا يزال يبلغه عنه قبيح الذكر له فى خلواته ، ثم صار القطاس يتكلم فى المسجد مع جلسائه ويسب ابن أبى الليث القاضى والدعاء عليه ورميه بالبدعة .

ولما بلغ ابن أبى الليث القاضى ذلك أحضره اليه وواجهه بالنيل منه ، فأنـــكر ، ثم ما لبث أن عاد الى مجلسه بجامع عمرو يعاود رميه وسبه فما كان الا أن أحضر له القاضى ببعض الشهود الذين شهدوا على القطاس العالم بأنه مملوك لم يجر عليه عتق بعد ، فكان أن حكم عليه بالرق ، وقد استنكر ابن قدير فعل هؤلاء الشهود فهو كما ينقل الكنـــدى عنه أنه قال (٨٠) : « أقبح ما أتى أهل المسجد شهادتهم على القطاس حتى باعوه » .

لم يكن سعيد بن زياد المعروف بالقطاس ممن ناله الأذى والمكروه من جراء المحنـــة والشدة التى اتبعها ابن أبى الليث فى تنفيذ ذلك ، بل ان علماء آخرين قد أنكروا عليه سوء

الصنيع وقبح ما فعل بهم . فمن هؤلاء أيضا — كما يذكر الكندى — يحيى بن زكريا مولى كندة (٨١) ، حيث كان يجلس فى المسجد الجامع ويجتمع الناس اليه فيشـــيع بينهم أن الرسول فى الطريق اليهم قادما من بغداد حاملا كتاب عزل القاضى المعتزلى المشئوم .

ولما بلغ ابن أبى الليث مقولة يحيى بن زكريا هذه ، بعث اليه ينهاه عن فعل ذلك فلم ينته فضربه وحبســـه حينـــا من الزمن (٨٢) .

والواقع أن هذا القاضى كان أسوأ من تولى منصب القضاء فى عصر الولاة ، فقد عمل على الحاق الأذى والنيل من فقهاء مصر ومحدثيها وقرائها المشاهير ، ويبدو أنه كان يحنق عليهم ، فقد بلغ به الأمر أن أمر بمنع لباس القلانس الطوال (٨٣) الذى كان والى مصر يحيى بن داود الخرسى من قبل أبى جعفر المنصور قد طلب منهم اتخاذها والدخول بهـا على الخلفـــاء والأمـــراء تكريمـــا لهـــم .

ويصف الكندى نقلا عن يحيى بن عثمان أحد شهود العيان ما فعله غلام القاضى ابن أبى الليث فى نزع تلك القلانس زى أهل مصر وجمال شيوخهم حيث قال : « فجلس ابن أبى الليث فى مجلس حكمه فى المسجد واجتمع أولئك الشيوخ عليهم القلانس فأقبـــل عبد الغنى ومطر جميعا (من غلمانه) فضربا رؤوس الشيوخ حتى ألقوا قلانسهم » حتى صارت يومئذ فى أيدى الصبيان والوعاع يلعبون بهـــا .

وأصبح هؤلاء الشيوخ من أهل العلم والدين لا يدخلون الى القـاضى ولا يحضرون مجلسه وعليهم لباس رءوسهم كما كان الحال من قبله منذ خلافة أبى جعفر المنصور .

ومن أهم أحداث المحنة التى أثرت فى نشاط الحركة العلمية بمصر ما جرى بالنسبة لأبى يعقوب بن يوسف بن يحيى الشهير بالبويطى صاحب الامام الشـافعى وخليفته فى حلقته كما أشرنا من قبل ، وكان القاضى ابن أبى الليث يحسده ويحنق عليه ، فسعى به الى الواثق أيام المحنة فأمر بحمله الى بغداد مقيدا فى الحـديد ، ولما طلب منه القول أو الاعتراف بخلق القـــرآن امتنع عن ذلك ، وبقى مقيـــدا فى ســـجنه حتى مات به ســـــــــنة ٢٣١ هـ (٨٥) .

كان الخليفة الواثق بالله يسير على نهج أبيه المعتصم فى نصرة المعتزلة ، وقد تمادى فى امتحان شيوخ عصره من المحدثين والفقهاء وحملهم على القول بأن القرآن مخلوق حادث

وليس بقديم ، وكان هؤلاء ينكرون عليه ذلك . ومن العلماء الذين راحوا ضحية مبادئهم احمد بن نصر الخزاعى ، فقد تم قتله سنة ٢٣١ هـ . بعد أن رفض القول بما ذهب اليه الواثق وقضـــــاته من أهـل الاعتزال (٨٦) .

وكان ممن ناله الأذى خلال سنوات المحنة على يد القاضى ابن أبى الليث من العلماء الأماثل كذلك يونس بن عبد الأعلى الذى تصدر للاقراء والفقه حينئذ بجامع عمرو كما أوضحنا من قبل ، حيث ذكر الكندى أن بعض الأوصياء كانوا قد حملوا ما بأيديهم من المال اليه ، فطولب به عند محمد بن أبى الليث وشهد عليه فسجنه . وقد قضى ابن عبد الأعلى فى سجن ابن أبى الليث نحو ثمان سنوات (٢٢٨ — ٢٣٥ هـ) ، ويبدو من هذه الرواية أن ابن أبى الليث لو تحرى الدقة فى حكمه يومئذ وفى هؤلاء الذين شهدوا على عـــالم مصر وامامها آنذاك ، ما زج به فى السجن طوال تلك السنين وما تعطلت فيهـــا حلقـــة علمـــه ودرســـه حينـــذاك (٨٧) .

كان القاضى محمد بن أبى الليث من المعتزلة المتكلمين قبل أن يلى قضـــاء مصر ، فلا غرابة فيما سلكه ازاء فقهاء مصر ومحدثيها أو قرائها من أهل السنة والجماعة ، حيث طفق يعمل على اضطهاد هؤلاء العلماء والأئمة المجتهدين ، فصار يتعقبهم فى جامع عمــرو وغيره من المساجد ، حتى أن بعض هؤلاء كان يضربه فى مجلس حكمه ، ينقل الكندى عن أحد رواته فيما شاهده من ذلك فيقول (٨٨) : « رأيت محمد بن أبى الليث فى مجلس الحكم فى المسجد الجـامع وهو مشـجوج الوجه وفى يده منديل يســتر به شجاجه ، قال : فتواتر الخبر أنه عربد على شيخ كان ينادمه فشجه ذلك الشيخ » .

لم تنته سنوات المحنة فى مصر وما أدت اليه من عرقلة النشاط العلمى والثقـافى فى جامع عمرو بن العاص الا بوفاة الواثق ومبايعة الناس للمتوكل بالخلافة فى بغداد ســنة ٢٣٣ هـ (٨٩) . فقد ذكرت المصادر أنه أمر بترك الجدال فى القرآن ، وذلك فى الســنة التالية من توليته الخلافة . وأرسل كتبه الى الأمصار، فقد ورد كتابه على واليه على مصر هرثمة بن النضر بأمر فيه بترك النظر وكثرة الجدال ، واتبـــاع مذهب أهل الحديث والجماعة ، كما شجع فيه شيوخ المحدثين على اظهار السنة وبالتسليم والتقليد كمـــا يقول المســعودى فى ذكر أخبـــاره (٩٠) .

قدم الحارث بن مسكين من العراق الى مصر سنة ٢٣٢ هـ ، وكان من الفقهاء المالكية البارزين فى ذلك الوقت ، وكان [٩١] وما يزال بها محمد بن أبى الليث على القضاء ، وقد كتب اليه ابن أبى دؤاد قاضى القضاة فى بغداد يوصيه بالحارث فلم يمتحنه وقال لأصحابه الذين كانوا يصرون على امتحانه : أليس الحارث قادما من العراق ، قالوا : بلى ، قال : فالسلطان هناك لم يمتحنه أفنمتحنه نحن ، اسكتوا عن هذا .

وفى تلك الأثناء أثيرت قضية أموال على بن عبد العزيز الجروى الثائر وما حصل عليه كل من بنى عبد الحكم والقاضى محمد بن أبى الليث نفسه من تلك الأموال ، وكان على ابن عبد العزيز قد ثار مثل أبيه واستطاع أن يسيطر على عدة جهات من مصر ، ولكنه هزم أخيرا وتم القبض عليه وحمل الى بغداد فلقى جزاءه القتل بعد أن وجهت اليه تهمة الخيانة وصودرت أمواله [٩٢] .

ثم ورد كتاب المتوكل فى صفر سنة ٢٣٧ هـ على خوط عبد الواحد بن يحيى أمير البلاد بأخذ بنى عبد الحكم وزكريا كاتب العمرى وحمزة بن المغيرة ويزيد بن سنان فى أموال الجروى فحبسوا فيها وتتبعت أموالهم ونهبت منازلهم ، كما أودع فى السجن معهم قاضى مصر المعروف ابن أبى الليث [٩٣] . ومن المعروف أن ابناء عبد الله بن عبد الحكم كانوا كأبيهم من حيث الشهرة فى العلم والفقه ورواية الحديث والأخبار ، فمنهم محمد وعبد الحكم وعبد الرحمن المؤرخ الشهير صاحب كتاب فتوح مصر والمغرب .

ولم يلبث عبد الحكم بن عبد الله بن عبد الحكم أن مات فى عذابه فى جمادى الأول سنة ٢٣٧ هـ من نفس العام ، وهناك رواية أخرى أوردها السيوطى يذكر فيها أن عبد الحكم مات معذبا فى فتنة خلق القرآن ، فهو يقول : « ودخن بالكبريت عليه حتى مات » [٩٤] .

ومهما يكن فان بنى الحكم قد تعطلت حلقاتهم فى المسجد الجامع من جراء ذلك ، فضلا عن ضياع هيبة تلك الأسرة ومكانتها العلمية والأدبية فى الفسطاط آنذاك .

أما القاضى المعتزلى ابن أبى الليث فكان مصيره العزل ، وصار يوقف كل يوم بين يدى الحارث بن مسكين فيضرب عشرين سوطا ، ثم يرد الى السجن ، وذلك من أجل اخراج تلك الأموال التى استولى عليها أيام توليه القضاء وما آل اليه من أموال ابن الجروى ، وأيضا لما نسب اليه من التبذير فى أموال السبيل وغيرها مما فى بيت المال ،

فقد ذكر الكندى أنه لما خلى من السجن ليحكم على بنى عبد الحكم وغيرهم وضع يده على المال الذى كان مجتمعا فى بيت المال وهو نحو من مائة ألف وعشرين ألفا من الدنانير فوزعها على أصحابه الذين حبسوا معه . وكانت نهايته أن أخرج الى العراق بعد أن طوف وشهر به بالفسطاط وذلك سنة ٢٤١ هـ (٩٥) .

والواقع أن الحركات السياسية والدينية كانت تؤثر تماما فى الحياة الثقافية فى مصر وعلى نشاط الحركة العلمية فى جامع عمرو ، فكما كان ظهور العلويين والشيعة على مسرح الأحداث حتى نهاية عصر الولاة ، وتعقب الولاة العباسيين واخراجهم من مصر كما حدث فى خلافة المنتصر (٢٤٧ — ٢٤٨ هـ) وفى خلافة المستعين (٢٤٨ — ٢٥٢ هـ) (٩٦) ، نجد أن الأمر ينطبق كذلك بالنسبة لظهور الفرق والمذاهب الأخرى كالخوارج والمعتزلة كما أشرنا من قبل ، بل انه لم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل وجدنا القضاة وتعصبهم لأحد المذاهب السنية يؤثر بشكل مباشر فى حلقات المسجد الجامع ودروس العلم والدرس فيه ، فمن ذلك ما قام به الحارث بن مسكين الذى تولى منصب القضاء بعد عزل ابن أبى الليث عنه سنة ٢٣٧ هـ وكان من أتباع المذهب المالكى حينذاك (٩٧) . فقد كان الحارث — مما يؤسف له — يحنق على غيره من أصحاب المذاهب الأخرى ، يذكر الكندى أنه حينما تولى منصبه امر باخراج أصحاب أبى حنيفة من المسجد وأصحاب الشافعى ونزع حصرهم من المسجد الجامع ، واستمر الحال كذلك حتى ورد كتاب المتوكل باعفائه سنة ٢٤٥ هـ (٩٨) .



رابعا : ظهور آراء الصوفية وذى النون الإخميمى المصرى

حفلت حلقات المسجد الجامع بالكثير من العلماء ومن الزهاد والصالحين ، كما حفلت كتب الطبقات باسماء العديد من هؤلاء الزهاد والصوفية الذين عاشوا بالفسطاط منذ فجر الاسلام ، فقد ذكر ابن الكندى (٩٩) من اسمائهم حيوة بن شريح ، وسليم بن عتر التجيبى وسليمان بن القاسم وسيد الأدم وادريس الخولانى .

ونقل السيوطى عن مصادره المتقدمة من اسماء الزهاد فذكر منهم أبا عقيل والحارث ابن يزيد الحضرمى وابنه عبد الكريم وعبد الرحيم بن ميمون المدنى وأبا الأسود النضر بن عبد الجبار المرادى وغيرهم ، وهكذا عرفت الفسطاط طريق الزهد والتصوف ومن أطلق عليهم بعد ذلك بالصوفية (١٠٠) .

كما وفد على مصر من بغداد منصور بن عمار ، وكان من أعيان القصاص والمذكرين، ومن أحسن الناس حديثا فى الموعظة ، وقد أورد السلمى من أقواله فى الزهد والتصوف الشىء الكثير ، ولا شك أن وجوده فى الفسطاط ومع اقرانه من العلماء والأئمة بين أروقة المسجد الجامع كان له أثره فى مجال الزهد والتصوف بين المصريين (١٠١) .

وفى نهاية القرن الثانى الهجرى ظهرت طائفة من الصوفية بالاسكندرية فكانت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتعارض الحاكم أو الوالى فى أمره ، وكان على راس تلك الطائفة رجل يدعى أبو عبد الرحمن الصوفى ولما تمكن الأندلسيون من دخول الاسكندرية والاستيلاء عليها عنوة فى ذى الحجة سنة ٢٠٠ هـ ولوا عليهم أبا عبد الرحمن الصوفى ، ولكنهم ما لبثوا أن قاموا بعزله وولوا عليهم رجلا منهم يسمى الكنانى (١٠٢) .

ولا شك أن قبول رئيس طائفة الصوفية لتولى أمر هؤلاء الأندلسيين كان أمرا مرفوضا ومستهجنا من جانب فقهاء مصر وأئمتها آنذاك ، لأن هذا فى حقيقة الأمر يعنى الخروج على طاعة ولى الأمر والسلطان بالفسطاط وبغداد حاضرة الخلافة العباسية .

كما يذكر الكندى أن طائفة أخرى ظهرت فى الفسطاط هذه المرة وأحاطت بقاضى مصر

عيسى بن المنكدر (٢١٢ — ٢١٤ هـ) فكانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ومما يلفت النظر أن هذه الطائفة ظهرت فى عام ٢١٢ هـ وهو نفس العام الذى خرج فيه الأندلسيون من الاسكندرية (١٠٣) .

ويبدو أن ابن المنكدر كانت له ميول صوفية حيث عرف عنه أنه كان يتقرا ويتنسك وكانت هذه الطائفة تأتيه وهو جالس فى مجلس حكمه بالمسجد الجامع فيقولون : « ايها القاضى : ذهب الاسلام . . . فعل كيف وكيت . . فيترك مجلس حكمه ويمضى معهم » .

وبلغ من شأنهم أنهم طالبوا القاضى بالكتابة الى الخليفة المأمون فى أمر عزله ، وقد انكر عبد الله بن عبد الحكم عليه وهو امام المالكية آنذاك أن يفعل ذلك ، الا أنه كتب الى المأمون بما أشار عليه أصحابه الصوفية ، ولكن المعتصم لما علم بذلك بعد وفاة أخيه وتوليه الخلافة ، امر بعزل ابن المنكدر وحمله الى العراق بعد أن تم حبسه أياما ومعه ابن عبد الحكم بالفسطاط .

وفى تلك الأثناء ظهرت شخصية ذى النون بن ابراهيم الأخميمى المصرى فى الفسطاط (١٠٤) ، وكان ذو النون قد ساح فى البلدان المختلفة ، فطوف ببلاد الشام والحجاز (١٠٥) ثم بلاد افريقية حيث التقى بأهل العلم والزهد والصلاح ، وتوطدت صلته بالزاهد العالم القيروانى شقران بن على الفرضى وأخذ عنه بعض مواعظه (١٠٦) .

ولما عاد الى مصر اتخذ له حلقة بجامع عمرو ، وسرعان ما ذاع صيته حيث وفد عليه من بلاد افريقيا والأندلس ، ومن بلاد المشرق الاسلامى ، ورووا عنه من هؤلاء أبو عبد الله ابن مسرة بن نجيح القرطبى الذى رحل الى مصر وأخذ عن ذى النون ، وكان أول من سلك طريق التصوف فى الأندلس على طريقة استاذه (١٠٧) . كما روى عنه الجنيد عالم الصوفية الشهير (١٠٨) ، وأبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز البغدادى ، فقد صحبه واستفاد من علمه الغزير ، كما رافقه أيضا طاهر المقدسى ، وكان من جلة مشايخ الشام فى ذلك الوقت (١٠٩) .

كما التقى بذى النون المصرى من الصوفية المشارقة سهل بن عبد التسترى ، وعداس ابن حمزة النيسابورى ويوسف بن الحسين الرازى ، وقد روى أن هذا الشيخ الأخير سافر الى مصر ليتعلم الكيمياء واسم الله الأعظم على يد ذى النون (١١٠) .

كان ذو النون يحث على طلب العلم والزهد فى الدنيا فى حلقته بالمسجد الجامع ، فمن مواعظه قوله : كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها ، واليوم يزداد الرجل بعلمه حبا للدنيا ولهـــــا طلبـــــا (١١١) .

وقد أفرد ابن الجوزى له من سائر العلماء والفقهاء المصريين فى عصره ، فذكر اسمه من القصاص والمذكرين بمصر ، ولم يذكر أحدا سواه ، ومن مآثر قوله كما ذكر المؤلف المذكور أنه كان يقول (١١٢) : « ما خلع الله على عبد من عبيده خلعة أحسن من العقل ، ولا قلده قلادة أجمل من العلم ، ولا زينه بزينة افضل من الحلم ، وكمال ذلك كله التقوى » . وكان يقول أيضا : « للحديث رجال وشغلى بنفسى استغرق كل وقتى » .

كان ذو النون المصرى من ارباب الأذواق والمشاهدات ، وأول من تكـلم فى مصر فى الأحوال ومقامات أهل الولاية (١١٣) ، وقد أنكر عليه فقهاء المالكية وعلى رأسـهم عبد الله ابن عبد الحكم ان يتكلم فى هذا العلم الذى استحدثه وكلامه هـذا فى ترتيب الأحـــوال والمقامات ، ولم يكتف هؤلاء الفقهاء بهجرانه أو الانقطاع عنه ، بل سعوا به الى الخليفة المتوكل واتهمـــوه بالزندقـــــة (١١٤) .

فأرسل فى طلبه الخليفة فحمل من مصر على البريد ، والقى به فى سجن المطبق فى بغداد والناس من حوله يبكون وهو يقول : « هذا من مواهب الله تعـــالى ومن عطـاياه وكل فعـــــاله عـــذب حسن » (١١٥) .

لم يلبث الخليفة العباسى فترة طويلة حتى أخرجه من السجن وأمر بفك ما فى يديه ورجليه من الأغلال والحديد ، وعقدت بينه وبين فقهاء بغداد وعلمائها مناظرة شـهيرة ، استطاع أن يتغلب عليهم فيها بحججه القــوية وعلمــه الغزير . ثم قــام بموعظة المتوكل مما جعله يبكى لشـــدة تأثره بأقـــواله ، وأمر برده بعد أن خلع عليه معززا مـــكرما الى الفســـــــــطاط (١١٦) .

وقد سبقت الاشارة الى مكانته العلميـة ، وما كان له من قدم راســخ فقد روى الموطأ عن الامام مالك ، كما روى عن الليث بن ســعد وابن لهيعـة وفضل بن عيـاض وآخرين من علماء مصر وأئمتها البارزين ، وكان صاحب مذهب من أخص خصـــائصه

التحليل والتعليل والتأويل ؛ كما ترجم له فى تراجم الصوفية وله « مقالة طويلة عن الأولياء والأبدال وصفتهم » (١١٧) .

ولا شك أن آراء ذى النون فى ميدان التصوف وحديثه عن أحوال الصوفية ومقاماتهم قد شغل أذهان الكثير من العلماء والمفكرين فى عصره ، كما عملت على اجتذاب كثير من المريدين الذين التفوا حوله وأخذوا عنه بعد أن وفدوا على الفسطاط للقائه من جهات قاصية .

توفى العالم الزاهد الصوفى ذو النون فى سنة ٢٤٥ هـ (١١٨) وجاء فى وصيته المسندة عنه أنه لا يبنى على قبره ولا يعقد عليه قبة (١١٩) وقد أصبح من المزارات والمشاهد الهامة بعد وفاته (١٢٠) .



هوامش الفصل الرابع

(١) اختلفت الآراء حول ظهور آراء السبئية ، ويرى فلهوزن أن اطلاق لفظ السبئية انما ينطبق على غلاة الشيعة فقط ، بينما يرى غيره أن هذه الكلمة « السبئية » تشمل سائر الفرق التى اتسمت آراؤها بالغلو والتطرف من فرق الشيعة . وفى صدر الاسلام كانت السبئية كلمة ذم تطلق على جميع الفرق التى تنسب الى الشيعة من قبل الخوارج .

فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٣٨ ، ترجمة عبد الرحمن بدوى .

(٢) بدأ ابن سبأ الذى عرف فى صدر الاسلام بابن السوداء دعوته ، حيث صار يتنقل من الحجاز الى الأمصار المختلفة ، نزل البصرة عام ٣٣ هـ ثم خرج منها الى الكوفة، فأخرج منها فسار الى مصر واستقر بها .

المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦٣ .

(٣) أخذ ابن سبأ فكرة الرجعة عن اليهودية ، فعندهم أن النبى الياس صعد الى السماء وأنه سيعود فيعيد الدين والقانون الى دنيا الناس .

أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٧٠ .

(٤) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦٣ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٦٣ — ٢٦٤ .

(٦) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٤ .

(٧) الولاة ، ص ١٤ .

(٨) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥٨٠ .

(٩) وتبعا لذلك فان شيوخ القبائل وعلماءها قد انقسموا على أنفسهم ، فمن هذه القبائل اليمنية قبيلة لخم كانت علوية الهوى والمراد ، فكان منها قيس بن حرمل أحد قادة ابن أبى حذيفة ، وحمام بن عامر الذى حضر حصار دار عثمان وحكم مصر نيابة عن الأشتر النخعى سنة ٣٧ هـ . الكندى : الولاة ، ص ١٩ ، البرى : القبائل العربية فى مصر ، ص ١٥٦ .

(١٠) الطبرى : تاريخه ، جـ ٤ ، حوادث سنة ٣٥ هـ ، المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٥٥ .

(١١) الكنـدى : الولاة والقضـــاة ، ص ٢٩ .

(١٢) حسن المحـــاضرة ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(١٣) المصـدر السـابق ، جـ ١ ، ص ١٧١ — ١٧٢ .

(١٤) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦٩ .

(١٥) كان معاوية بن حديج من الصحابة الذين وفدوا على عمر بالمدينة يخبرونه بفتح الاسكندرية ، وهو قاتل محمد بن أبى بكر والى مصر من قبل على بن أبى طالب ، وكما يذكر الكندى ، فاليه ينسب الفضل فى اخماد حركة العلوية ، حيث كان من الأوائل الذين اعتزلوا ابن أبى حذيفة وبارزوه ، كما تنسب اليه المكيدة التى كاد بها للأمير قيس ابن سعد بن عبادة حتى عزله على عن ولاية مصر ، وعندما قتل محمد بن أبى بكر سنة ٣٨ بمصر يقول يزيد بن أبى حبيب ، أن معاوية بعث بسليم مولاه الى المدينة بشيرا بقتل محمد بن أبى بكر ومعه قميص له فدخل به دار عثمان واجتمع آل عثمان من رجـــال ونســاء وأظهـــروا السرور بقتـــله .

الكنـــدى : الولاة ، ص ١٥ ، ١٨ ، ٢١ ، ٢٧ ، ٣٠ .

(١٦) تولى القضاء بمصر من قبل واليها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٩ هـ ، والذى قام بتعريب الدواوين ونقلها الى العربية بدلا من اليونانية .

الكندى : القضاة ، ص ٣٢٩ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٤٤ ، Grohmann : Arabic Papyrian, Vol 1, p. 22.

(١٧) محمد عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز ، ص ٢٥ ، ١٠١ .

(١٨) عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، ص ٤٦ .

(١٩) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٥٩ ، المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢٠) الولاة ، ص ١١١ — ١١٢ ، عبد الرحمن الرافعى وسعيد عبد الفتاح عاشور : مصر فى العصـــور الوســـطى ، ص ٥٦ .

(٢١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٧ ، ص ٥٥٢ ، حوادث سنة ١٤٥ هـ ، المسعودى : مـــروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٦ — ٣٠٧ ، حسن ابراهيم : التـــاريخ الســـــياسى ، جـ ٢ ، ص ٢٩ .

(٢٢) مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٧ .

(٢٣) الولاة ، ص ١١٢ .

(٢٤) نفس المصدر ، ص ١١٤ .

(٢٥) ويروى المسعودى أنه حينما بلغ ابراهيم قتل أخيه محمد وهو بالبصرة صعد المنبر فنعاه وقال فيه هذه الأبيات :

أبا المنازل خير الفوارس من　　يفجع بمثلك فى الدنيا فقد فجعا

الله يعلم أنى لو خشيتهم　　وأوجس القلب من خوف لهم فزعا

لم يقتلوه ولم أسلم أخى لهم　　حتى نموت جميعا أو نعيش معا

مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣٠٧ .

(٢٦) المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ .

(٢٧) نفس المصدر ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢٨) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ ١ ، ص ١١١ .

(٢٩) كان اسحاق بن جعفر الصادق من رواة الحديث ، كما كان مشهورا بالثقة ، وحينما توفيت زوجه السيدة نفيسة فى شهر رمضان سنة ٢٠٨ هـ ، أراد زوجها اسحاق أن يحملها ليدفنها بالمدينة فسأله أهل مصر أن يتركها ويدفنها عندهم لأجل البركة بها .

المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤٤٦ .

(٣٠) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥١١ .

(٣١) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤٤٧ .

(٣٢) المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ .

(٣٣) الولاة : ص ١٩٨ .

(٣٤) نفس المصدر ، ص ٢٠٣ ، الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ .

(٣٥) الولاة ، ص ٢٠٤ .

(٣٦) الولاة ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ .

(٣٧) الكندى : نفس المصدر ، ص ٢٠٥ .

(٣٨) جاء تسميتهم بهذا الاسم من جانب خصومهم لخروجهم على على أو خروجهم الى المدائن ومفارقتهم الجماعة ، وصاروا يسمون أنفسهم فى العهد الأموى باسم جديد هو الشراة . ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الاسلامية ، ص ٦٦ .

(٣٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٣ ، ص ٢١٨ — ٢٢١ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٦٨ .

(٤٠) كانت ولاية مسلمة بن مخلد سنة ٤٤ هـ وفى عهده أمر المؤذنين أن يكون آذانهم فى الليل فى وقت واحد فكان مؤذنو المسجد الجامع يؤذنون للفجر فاذا فرغوا من آذانهم أذن كل مؤذن فى الفسطاط فى وقت واحد وظل الأمر كذلك متبعا حتى مجيىء العباسيين . الكندى : الولاة ، ص ٣٨ — ٣٩ .

(٤١) المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٤٢) الولاة ، ص ٤١ — ٤٢ ، أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٥٦ .

(٤٣) نفس المصدر ، والصفحة .

(٤٤) سموا بالشراة أى الذين باعوا أنفسهم لله ، من قوله تعالى : ((**ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله**)) كما أطلقوا على أنفسهم الحرورية نسبة الى القرية التى خرجوا اليها قريبة من الكوفة وتسمى ((حروراء)) كما سموا أيضا بالمحكمة أى الذين يقولون لا حكم الا لله .

(٤٥) كانت نظريات الخوارج تتحدد معانيها وتتفرع الى مسائل دقيقة ، وقد ساعدهم على ذلك تلك المناظرات التى جرت بينهم وبين خصومهم منذ البداية لمناظراتهم مع ابن عباس ومع على نفسه ومناظراتهم مع ابن زياد بالعراق وعبد الله بن الزبير فى مكة ، وقد شغلت مناظراتهم التى أشار اليها المسعودى وغيره من المؤرخين مكانا هاما فى تاريخ الأدب العربى . وقد اشتملت مبادىء الخوارج على عدة نقاط أو مبادىء هامة هى :

★ اقرارهم بالبيعة لأبى بكر وعمر وعثمان فى سنوات حكمه الأولى ، وبصحة بيعة على وامامته قبل التحكيم ومخالفة نظرية الشيعة القائلة بانحصار الخلافة فى آل البيت فقط دون غيرهم .

★ أن الامامة أو الخلافة يجب ان تكون باختيار حر من المسلمين وليس من الضرورى ان يكون الخليفة قرشيا بل هى حق لكل عربى حر .

★ وجوب الخروج على السلطان الجائر .

وكان أهم فرق الخوارج التى ظهرت فى العصر الأموى الأزارقة — النجدات — الصفرية ، الأباضية . أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٥٨ — ٢٦٠ ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسى والدينى ، جـ ١ ، ص ٣٩٨ — ٣٩٩ ، ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الاسلامية ، ص ٦٦ — ٦٨ ، محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(٤٦) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٧ ، حوادث سنة ١٢٨ ، حوادث سنة ١٣٠، حوادث سنة ١٣٨ هـ ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٨٠ — ٨٣ .

(٤٧) الكندى : الولاة ، ص ٧٨ .

(٤٨) نفس المصدر والصفحة .

(٤٩) تولى امارة مصر سنة ٢٣٨ هـ من قبل المنتصر ولى عهد الخليفة المتوكل العباسى . نفس المصدر ، ص ٢٠٠ .

(٥٠) Lane -- Poole : A History of Egypt, p. 40.

(٥١) نفس المصدر ، ص ٢٠١ .

(٥٢) أحمد أمين : فجر الاسلام ، ص ٢٨٦ — ٢٨٨ ، هل : الحضارة العربية ، ص ١١٣ .

(٥٣) المسعودى : مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ١٠٤ .

(٥٤) ذكر المسعودى أن عمرو بن عبيد كان يقول : « أخذ عمر بن عبد العزيز الخلافة بغير حقها ولا باستحقاق لها ، ثم استحقها بالعدل حين أخذها » مروج الذهب ، جـ٣ ، ص ٢٠٥ .

(٥٥) الطبقات ، جـ ٧ ، ص ١٤٢ .

(٥٦) مروج الذهب ، جـ ٣ ، ص ٢٠٤ .

(٥٧) كره الرشيد المعتزلة ، يروى الجهشيارى أنه لما أدرك أن الشاعر القبانى من

المعتزلة ، عظم عليه ذلك وأنكره ، ولما أدرك أن الرشيد يعتزم التنكيل به غادر بغداد ، الوزراء والكتاب ، ص ٢٩٠ ، عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية، ص ٢٦١ .

(٥٨) أيد المأمون المعتزلة واعتنق مبادئها ، كما نقل المسعودى عنه أنه كان يجلس للمناظرة فى الفقه ومن يناظره من سائر أهل المقالات والمتكلمين . مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ١٩ .

(٥٩) تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٨ ، ص ٦٣١ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٦ ، ص ٣ .

(٦٠) أنظر نص الكتاب فى الملحق (٢) .

(٦١) الولاة والقضاة ، ص ١٩٣ ،

(٦٢) نفس المصدر ، ص ٤٤٧ .

Lane -- Poole : A History of Egypt, pp. 38 -- 39.

(٦٣) الخطط ، جـ ٣ ، ص ٣٠٤ .

(٦٤) الكندى : القضاة ، ص ٤٤٧ .

(٦٥) القضاة ، ص ٤٤٧ .

(٦٦) المصدر السابق والصفحة .

(٦٧) حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ .

(٦٨) نسبة الى أيله مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام . . وكان عمر ابن عبد العزيز لا يزداد على أهل أيلة عن الثلاثمائة دينار فى الخراج .

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٣ ، ص ٢٩٢ .

(٦٩) القضاة ، ص ٤٥١ — ٤٥٢ .

(٧٠) دومنيك سوردبال : الاسلام فى العصور الوسطى ، ص ٩٩ .

(٧١) القضاة ، ص ٤٥١ .

(٧٢) نفس المصدر والصفحة .

(٧٣) القضاة ، ص ٤٥١ .

(٧٤) المصدر السابق والصفحة .

(٧٥) القضـــــــــــــــاة ، ص ٤٥١ .

(٧٦) عبد المجيد عابدين : لمحات من تاريخ الحياة الفكرية المصرية ، ص ٩١ ــ ٩٢ .

(٧٧) ابن الجـــوزى : القصاص والمذكرين ، ص ٧٢ ، ياقـــوت الحمـــوى : معجـــــم البـــــــلدان ، جـ

(٧٨) الكنـــدى : الـــــــولاة ، ص ١٩٧ .

(٧٩) المصـــــــدر الســـــابق ، ص ٤٥٧ .

(٨٠) القضـــــــــــــــاة ، ص ٤٥٧ .

(٨١) اختطت كندة حول المسجد الجامع بالفسطاط ، ولعب أفرادها دورا هاما فى الحياة العامة بمصر ، فكان فيها القضاة والفقهاء والمحدثون والمؤرخون وقد ظلوا يقيمون بمصر حتى القـــــرن الرابع الهجـــــــــرى .

الكنـــدى : الولاة ، ص ١٤٨ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، حسن أحمد محمود : الكندى المؤرخ ، ص ٦ ــ ٧ ، ١٥ ، ١٧ .

G. Wiet : Repert, Chro. tome 2, pp. 79, 119, 120, 140.

(٨٢) الكنـــدى : القضـــــاة ، ص ٤٥٩ .

(٨٣) نفس المصـــــــــــــدر ، ص ٤٦٠ .

(٨٤) نفس المصـــــــــدر ، ص ٤٦٠ ــ ٤٦١ .

(٨٥) ابن النـــديم : الفهرست ، ص ٢٩٨ ــ ٢٩٩ ، ياقـــوت : معجـــم البـــــــــلدان ، جـ ١ ، ص ٥١٣ .

(٨٦) ابن جرير الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، جـ ٩ ، ص ١٣٥ ، المســـعودى : مــــــروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٧٦ .

(٨٧) القضاة ، ص ٤٥٥ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٣٠٩ .

(٨٨) المصـــــدر الســـــابق ، ص ٤٦٧ .

(٨٩) الكنـــدى : الـــــولاة ، ص ١٩٦ ــ ١٩٧ .

(٩٠) مروج الذهب ، جـ ٤ ، ص ٨٦ ، الكندى : الولاة ، ص ١٩٧ .

(٩١) الكندى : القضاة ، ص ٤٦٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٦٧ .

(٩٢) المقـــــريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ — ٣٣٥ ، سيدة كاشف : مصر فى عصر الـــــــولاة ، ص ٣٠٩ .

(٩٣) الكندى : الولاة والقضـــــاة ، ص ١٩٩ .

(٩٤) حسن المحـــــاضرة ، جـ ١ ، ص ٤٤٧ .

(٩٥) الـــولاة والقضـــاة ، ص ٤٦٤ — ٤٦٦ .

(٩٦) الولاة ، ص ١٩٨ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ — ٢٧٢ .

(٩٧) نفس المصـــــــــــدر ، ص ٤٦٧ .

(٩٨) الـــــــولاة ، ص ٤٦٩ .

(٩٩) فضائل مصر ، ص ٤٢ ، تحقيق ابراهيم أحمد العدوى وآخر .

(١٠٠) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥١١ ، تاريخ الخلفاء ، ص ٣٥٠ .

(١٠١) وقد سبقت الاشارة الى استقبال الليث بن سعد عالم مصر ومفتيها آنذاك لابن عمار وما أغدق عليـــه به من المال . الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ ١٣ ، ص ٧٢ — ٧٣ ، طبقات الصوفية : ص ٢١ — ٢٣ ، ابن الجوزى : القصاص والمذكرين ، ص ٧٣ .

(١٠٢) الكندى : الولاة والقضاة ، ص ١٦٢ ، آدم متز : الحضارة الاســـلامية فى القرن الرابع الهجـــــرى ، جـ ٢ ، ص ١٤ .

(١٠٣) المصدر السابق، ص ١٨٤، ٤٤٠، ٤٤١، المقريزى : الخطط، جـ ١، ص ٣٢٢ .

(١٠٤) نيكلسون : فى التصوف الاسلامى وتاريخه ، ص ٧ ترجمة أبو العلا عفيفى .

(١٠٥) السلمى : طبقـــات الصـــوفية ، ص ٤٣ ، ياقـــوت الحموى : معجـــم البـــــــــــدان ، جـ ١ ، ص ١٢٤ .

(١٠٦) قيل ان شقران العابد كان اذا دخل صومعته لا يخرج منها الا بعـد أربعين يوما ، وقد بلغ ذلك ذا النون فأتاه من مصر وسأل عنه فقيل له : « الساعة دخل وليس يخــــرج الى أربعـــين يومـــا » .

المالكى : رياض النفـــــوس ، ص ٢٢٣ .

(١٠٧) ابن الفرضى : تاريخ علمــاء الأندلس ، جـ ٢ ، ص ٤١ .

(١٠٨) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٢٤ .

(١٠٩) السلمى : طبقات الصوفية ، ص ٤٣ .

(١١٠) ابراهيم شتا : التصوف عند الفرس ، ص ١٢ .

(١١١) السلمى : طبقات الصوفية ، ص ١٠ – ١١ .

وقيل أن فقهاء أخميم فى صعيد مصر حنقوا عليه وتعصبوا ضده فركبوا نهر النيل الى الفسطاط للنيل منه لدى والى مصر آنذاك ، فلما استقلوا الزورق ليشهدوا عليه بالكفر فاعلموه بذلك فقال اللهم ان كانوا كاذبين فغرقهم ، فانقلب الزورق بهم فغرقوا والناس ينظرون وغرق معهم رئيس المركب فقيل له : وما بال الرئيس . قال : حملهم . الشعرانى : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ص ١٣ .

(١١٢) القصاص والمذكرين ، ص ٧٢ .

(١١٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ٢٩١ .

(١١٤) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ٢٤٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص٣٥٠.

(١١٥) السيوطى : المصدر السابق والصفحة ، محمد عبد المنعم خفاجى : التراث الروحى للتصوف الاسلامى فى مصر ، ص ٤٥ .

(١١٦) السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥١٢ .

(١١٧) ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ١٢٤ ، ابو نعيم : حلية الأولياء ، جـ ١ ، ص ١٣ ، ١٥ ، دائرة المعارف الاسلامية ، جـ ٩ ، ص ٤٢٠ .

(١١٨) قيل أنه لما مات أظلت الطيور الخضر جنازته ، ترفرف عليه الى أن وصل قبره ، فلما دفن غابت ، فاحترم أهل مصر بعد ذلك قبره .

السيوطى : حسن المحاضرة ، جـ ١ ، ص ٥١٢ .

(١١٩) G. Wiet : Repert, Chro, tome, 11, p. 29, No, 440 – Fustat.

(١٢٠) ابن جبير : كتاب الرحلة ، ص ٢٢ ، المقريزى : الخطط ، جـ ٣ ، ص ٤٨٠ ، أحمد أمين : ظهور الاسلام ، جـ ١ ، ص ١٦٩ .

الـمـلاحـق

((ملحق رقـــــم (١)))

فيمن وقف على اقـــامة قبلة جامع عمـــرو من الصحابة

ذكر أهل العلم والمعرفة والرواية أنه دخل مصر فى فتحها ممن صحب رســـول الله صلى الله عليه وسلم مائة رجل ونيف . وقال يزيد بن أبى حبيب وقف على اقامة قبــلة المسجد الجامع ثمانون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء وفضالة بن عبيد ، وعقبة بن عامر ، وأبو ذر ومحمية بن جزء ، ونبيه بن صؤاب ، ورافع بن مالك ، وربيعـــــة بن شرحبيل بن حسنة ، وسعد بن أبى وقاص ، وعمرو بن علقمة . وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وخارجة بن حذافة ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحمد بن مسلمة ، ومسلمة ابن مخلد ، وأبو أيوب ، وزويفع بن ثابت ، وهبيب بن مقفل ، وكعب بن صنتة ، ومعاوية ابن حديج وعمار بن ياسر ، وعمرو بن العاص ، وأبو هريرة رضى الله عنهم أجمعين .

---

(١) ابن الكندى : فضائل مصر ، تحقيق ابراهيم احمد العـــدوى ، وعلى محمد عمـــر ، الطبعـــة الأولى ، شوال سنة ١٣٩١ هـ .

((ملحق رقـــــم (٢)))

كتاب الخليفـــة المأمون الى نصر بن عبد الله كيـــدر أمير مصر بشأن المحنة عن ((خلق القـــرآن))

كتب أبو اسحاق بن هارون الى كيدر وهو والى على مصر (١) :

((بسم الله الرحمن الرحيم .. من أبى اسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد أخى أمـــير المؤمنين الى نصر بن عبد الله كيدر مولى أمير المؤمنين سلام عليك . فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليـــه وسلم ... أما بعد فان أمير المؤمنين أطال الله بقاءه كتب الى فيما أمرنى به من الكتاب الى قضاة عملى فى امتحان من حضرهم للشهادات فمن أقر منهم بأن القرآن (مخلوق) وكان عدلا اقبـــلوا شهادته ومن دفع ذلك أسقطوا شهادته ولم يرفعوا حكما بقوله وامتحان أولئك القضـــاة بهذه المحنة فمن نفى منهم التشبيه وقال ان القرآن (مخلوق) آقره بموضعه ومن دفع أن يكون القرآن (مخلوقا) أمره باعتزال الحكموأنلا يعانبمثل ذلكفىجميع أهل الحديث هنالك ومن يسمع منه أو يختلف اليه بسبب الفقه وترك الاذن لأحد منهم فى حديث أو فتوى الا على انتحال هذه النحلة والقول بمثل هذه المقالة والبلوغ من يعتقد ذلك ومراعاته مبلغ المحتسب للخير والكتاب اليه أكرمه الله بما يكون منك وقد رأيت أن نمتحن القاضى هناك بالمحنة التى كتب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ليعرف مذهبه وما عنده بأن القرآن (مخلوق) وترك التشبيه والشك فيه فقدمت اليه فى امتحان من يحضر للشهادات بهذه المحنة ومن أقر منهم عدلا قبلت شهادته ومن دفع ذلك وامتنع منه أسقطت شهادته وان أنكر القاضى أن يكون القرآن (مخلوقا) أمرته باعتزال الحكومة وأوعزت بمثل ذلك الى أهل الحديث ومن يسمع منه أو يختلف اليه بسبب الفقه وكتبت الى القاضى قبلك بمثل الذى كتبت اليك فاعلم ذلك واعمل بما مثل به أمير المؤمنين منه وانته اليه وابلغ من القيام على حسب ما يلزمك ويجب عليك وأحضر ما تعمل به عنده من وجوه أهل عملك وصلحائهم واكتب الى بما يكون من القاضى فى ذلك منك على حقه وصدقه لأنهيه الى أمير المؤمنين ان شاء الله والسلام عليك ورحمـــة الله وبركاته)) .

---

(١) الكندى : الولاة والقضـــاة ، ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦ .

« ملحق رقـــم (٣) »

جدول بأسماء القضاة فى مصر فى عصر الولاة الذين كان مجلس حكمهم فى المســجد الجامع

م	الاســم	السنة التى تولى فيها	العصر	اسم الوالى	اسم الخليفة
١	قيس بن أبى العاص	٢٣ هـ	عصر الخلفاء الراشدين	عمرو بن العاص	عمر بن الخطاب
٢	كعب بن يسار بن ضنة	٢٣ هـ		عمرو بن العاص	عمر بن الخطاب
٣	عثمان بن قيس بن أبى العاص	٢٣ هـ		عبد الله بن سعد	عمر بن الخطاب
٤	سليم بن عتر التجيبى	٤٠ هـ		عمرو بن العاص	على بن أبى طالب
٥	عابس بن سعيد المرادى	٦٠ هـ	عصر بنى أمية	مسلمة بن مخلد	معاوية بن أبى سفيان
٦	بشير بن النضر المزنى	٦٨ هـ		عبد العزيز بن مروان	عبد الملك بن مروان
٧	عبد الرحمن بن حجيرة الخولانى	٦٩ هـ		عبد العزيز بن مروان	عبد الملك بن مروان
٨	مالك بن شراحبيل الخولانى	٨٣ هـ		عبد العزيز بن مروان	عبد الملك بن مروان
٩	يونس بن عطية	٨٤ هـ		عبد العزيز بن مروان	عبد الملك بن مروان
١٠	أوس بن عبد الله بن عطية	٨٦ هـ		عبد العزيز بن مروان	عبد الملك بن مروان
١١	عمران بن عبد الرحمن الحسنى	٨٦ هـ		عبد الله بن عبد الملك	الوليد بن عبد الملك
١٢	عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة	٩٠ هـ		قرة بن شريك	الوليد بن عبد الملك
١٣	عياض بن عبد الله الأزدى	٩٧ هـ		قرة بن شريك	سليمان بن عبد الملك
١٤	عبد الله بن يزيد بن خذامر	١٠٠هـ		أيوب بن شرحبيل	عمر بن عبد العزيز

تابع جدول بأسماء القضاة

م	الاسم	السنة التى تولى فيها	العصر	اسم الوالى	اسم الخليفة
٢٨	هشام بن أبى بكر البكرى	١٩٤ هـ	عصر الخلفاء العباسيين	حاتم بن هرثمة بن أعين	لأمين
٢٩	ابراهيم بن البطاء البجلى	١٩٦ هـ		جابر بن الأشعث	الأمين
٣٠	لهيعة بن عيسى الحضرمى	١٩٦ هـ		عبادى بن محمد بن حيان	الأمين
٣١	ابراهيم بن الجراح	٢٠٤ هـ		السرى بن الحكم	المأمون
٣٢	عيسى بن النكدر	٢١٢ هـ		عبد الله بن طاهر	المأمون
٣٣	هارون بن عبد الله	٢١٧ هـ		عيسى بن منصور	المأمون
٣٤	محمد بن أبى الليث الخوارزمى	٢٢٦ هـ		على بن يحيى الأرمنى	المعتصم
٣٥	الحارث بن مسكين	٢٣٧ هـ		خوط عبد الواحد بن يحيى	المتوكل
٣٦	بكار بن قتيبة	٢٤٦ هـ		يزيد بن عبد الله التركى	المعتز
		وكانت ولايته ٢٤ سنة وستة أشهر ت ٢٧٠ هـ		مزاحم بن خاقان (٢٥٣ ـ ٢٥٤ هـ)	

تابع جدول بأسماء القضاة

م الاسم	السنة التى تولى فيها	العصر	اسم الوالى	اسم الخليفة
١٥ ـ يحيى بن ميمون الحضرمى	١٠٥ هـ	عصر بنى أمية	محمد عبد الملك بن مروان	هشام بن عبد الملك
١٦ ـ توبة بن نمر الحضرمى	١١٥ هـ		الوليد بن رفاعة	هشام بن عبد الملك
١٧ ـ خير بن نعيم الحضرمى	١٢٠ هـ		حنظلة بن صفوان الكلبى	هشام بن عبد الملك
١٨ ـ عبد الرحمن بن سالم الجيشانى	١٢٨ »		حوثرة بن سهل	مروان بن محمد
١٩ ـ غوث بن سليمان الحضرمى	١٣٥ هـ	عصر الخلفاء العباسيين	أبو عون عبد الملك بن يزيد	أبو العباس عبد الله بن محمد بن على
٢٠ ـ أبو خزيمة ابراهيم بن يزيد الرعينى	١٤٤ هـ		يزيد بن حاتم	أبو جعفر المنصور
			محمد بن عبد الرحمن	المهدى
٢١ ـ عبد الله بن لهيعة الحضرمى	١٥٥ هـ		سوادة	
٢٢ ـ اسماعيل بن اليسع الكندى	١٦٤ هـ		موسى بن مصعب	المهدى
٢٣ ـ المفضل بن فضالة القبانى	١٦٨ هـ		على بن سليمان العباسى	المهدى
٢٤ ـ أبو الطاهر عبد الملك بن محمد	١٧٠ هـ		عبد الله بن المسيب	
٢٥ ـ محمد بن مسروق الكندى	١٧٧ هـ		اسحق بن سليمان	هارون الرشيد
٢٦ ـ اسحاق بن الفرات	١٨٤ هـ		الليث بن الفضل	هارون الرشيد
٢٧ ـ عبد الرحمن بن عبد الله العمرى	١٨٥ هـ		الليث بن الفضل	هارون الرشيد

المصـــــــادر والمراجـــــع

أولا ــ المصـــــــادر العربيـــــة :

١ ــ البخارى ، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ .
صحيح البخارى ، الجـزء الأول مطابع دار الشعب .

٢ ــ البلاذرى ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر المتوفى سنة ٢٧٩ هـ .
فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان .

٣ ــ ابن الجوزى ، جمـــال الدين أبى الفرج عبد الرحمن البغـــدادى ، المتـــوفى سـنة ٥٩٧ هـ .
تلبيس أبليس ، نشر مكتبـــة المدنى للطبـــاعة والنشر ، القـــاهرة ، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م .
القصاص والمذكرين ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٨٦ .

٤ ــ الخطيب البغدادى ، أبو بكر أحمد بن على بن ثابت المتوفى سنة ٤٦٣ هـ .
تقييد العلم ، حققه وعلق عليه يوسف العش ، نشر دار احيـــاء الســـنة النبـــوية ، الطبعة الثـــانية ، ١٩٧٤ م .

٥ ــ ابن دقماق ، ابراهيم بن محمد العلائى (ت ٨٠٤ هـ/١٤٠٧ م) .
الاعلاق النفيسة ، الجزء الســابع من المكتـــبة الجغـرافية العربيـــة ، بـــــولاق ، ١٣٠٩ هـ

٦ ــ ابن رستة ، أبو على أحمد بن عمر .
الاعلاق النفسية ، الجزء الســابع من المكتبـــة الجغرافية العربيـــة ، تحقيق ذى غـــــوية ، ليدن ، ١٨٩٢ م .

٧ ــ الســــلمى ، ابو عبد الرحمن المتـــوفى
طبقات الصوفية ، نشر مطابع الشعب ١٣٨٩ هـ .

٨ ــ **السيوطى** ، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) .
حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، جزءان ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م .

٩ ــ **الطبرى** ، محمد بن جرير المتوفى سنة ٣١٠ هـ .
تاريخ الأمم والملوك ، الطبعة الرابعة ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة .

١٠ ــ عبد الحكم ، أبو محمد عبد الله المتوفى سنة ٢١٤ هـ .
سيرة عمر بن عبد العزيز ، رواية ابنه ابو عبد الله محمد المتوفى سنة ٢٦٨ هـ ، تصحيح وتعليق احمد عبيد ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .

١١ ــ ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ/٨٧١ م) .
فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربى ، القاهرة .

١٢ ــ **الغزالى** ، الامام ابو حامد (ت ٥٠٥ هـ/١١١١ م)
احياء علوم الدين ، الأجزاء الخمسة الأول ، الناشر : دار الغد العربى ، القاهرة ١٩٨٦ م ــ ١٩٨٨ م .

١٣ ــ ابن الفرضى ، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدى ، المتوفى سنة ٤٠٣ هـ .
تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، مجلدان ، مكتبة الخانجى ــ القاهرة .

١٤ ــ ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، المتوفى سنة ٢٧٦ هـ/٨٨٩ م .
المعارف ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٧ هـ .

١٥ ــ ابن كثير ، اسماعيل بن كثير القرشى المتوفى سنة ٧٧٤ هـ/١٣٧٢ م .
تفسير القرآن العظيم الأجزاء الأربعة ، مكتبة الدعوة الاسلامية ، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م .

١٦ ــ الكندى ، أبو عمر محمد بن يوسف المتوفى سنة ٣٥٠ هـ .
كتاب الولاة والقضاة ، طبعة بيروت ١٩٠٨ م ــ ١٩١٢ م .

١٧ — ابن الكندى : عمر بن محمد بن يوسف ، توفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى .
فضائل مصر ، تحقيق ابراهيم أحمد العدوى ، على محمد عمر ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

١٨ — المالكى ، ابو بكر عبد الله بن أبى عبد الله (المتوفى حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى) .
رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وافريقية ، تحقيق حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

١٩ — الماوردى ، على بن محمد بن حبيب البصرى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ
الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٣ م .

٢٠ — المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسين بن على المتوفى سنة ٣٤٦ هـ .
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الأجزاء الأربعة ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٣٨٤ هـ .

٢١ — المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م) .
المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، الأجزاء الثلاثة ، طبعة دار التحرير عن طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ .

٢٢ — النباهى المالقى ، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المتوفى سنة ٧٧٦ هـ .
تاريخ قضاة الأندلس ، تحقيق لجنة احياء التراث العربى ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ .

٢٣ — ابن النديم ، محمد بن اسحق ، المتوفى سنة ٣٨٣ هـ/٩٩٢ م .
الفهرست ، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٨ م .

٢٤ — ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى (المتوفى سنة ٢١٣ هـ/٨٢٨ م) .

السيرة النبوية ، أربعة أجزاء فى مجلدين ، الناشر مكتبة الكليات الأزهـرية ، القـــــاهرة .

٢٥ ــ ياقوت الحموى ، الامام شهاب الدين أبى عبد الله (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م) .
معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، الناشر : دار احياء التراث العـــربى بيروت ، ١٩٧٩ م .

ثانيا ــ المراجـــع العربيـــة :

١ ــ ابراهيم دســوقى الشهاوى :
كتاب الشــهاوى فى تاريخ التشريع الاســلامى .

٢ ــ أحمـــد امـــين :
فجر الاسلام ، الطبعة الثامنة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

٣ ــ أحمـــد تيمـــور :
نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الفقهية الرابعة ، لجنة نشر المؤلفــات التيمورية ، القـــاهرة ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م .

٤ ــ أحمـــد رمضـــان أحمـــد :
تطور علم التاريخ الاسلامى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٩ م .

٥ ــ آدم متـــــز :
الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى جزءان،ترجمة محمد عبد الهادى ريدة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٣٧٧ هـ/١٩٥٧ م .

٦ ــ السـيد عبد العـــزيز ســـالم :
التاريخ والمؤرخون العرب ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ١٩٨٧ م.

٧ ــ الفـــريد (ج) بتـــلر :
فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٣ م .

٨ ـ ف . بارتولـــــــد :

تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣ م .

٩ ـ حسن ابراهيـــــــم حسن :

تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، الجــزءان الأول والثانى ، مكتبة النهضة العربية ، الطبعة العاشرة ، ١٩٨٥ م .

١٠ ـ حسن أحمـــــد محمـــــود :

الكندى المؤرخ ، مطبوعات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧ م .

١١ ـ رينـــولد أ. نيكولســـــون :

فى التصوف الاسلامى وتاريخه ، ترجمة أبو العلا عفيفى ، لجنة التأليف والترجمة والنشـــــــــر .

١٢ ـ ستانلى لينبـــــــول :

سيرة القاهرة ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، على ابراهيم حسن ، القاهرة ١٩٥٠م .

١٣ ـ سعد زغلول عبد المجيـــــد :

تاريخ المغرب العربى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

١٤ ـ ســـــيدة اسماعيل كاشف :

مصادر التاريخ الاسلامى ، ومناهج البحث فيه ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٧٦م .

مصر فى عصر الولاة من الفتح العربى الى قيـــام الدولة الطولونية مطبوعات الهيئة المصرية العـــامة للكتـــاب ، ١٩٨٨ م .

١٥ ـ شـــــوقى ضيف :

تاريخ الأدب العربى ، الجزء الأول ، العصر الاســـــلامى ، دار المعـــارف ، الطبعـــــة التاســـــعة ، ١٩٨١ م .

١٦ ـ طـــه حســـين :

الفتنة الكبرى ، الجزء الأول ، دار المعارف ، الطبعة العاشرة .

١٧ ــ عبد الحى الكتانى :

نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الادارية ، جزءان ، دار الكتاب العربى ، طبعة بيروت .

١٨ ــ عبد الله خورشيد البرى :

القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، الناشر : دار الكتاب العربى ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

القرآن وعلومه فى مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٩ م .

١٩ ــ عصام الدين عبد الرءوف الفقى :

الحواضر الاسلامية الكبرى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .

٢٠ ــ فريد شافعى :

العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، المجلد الأول ، عصر الولاة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

٢١ ــ محمد جمال الدين سرور :

الحياة السياسية فى الدولة العربية الاسلامية ، دار الفكر العربى ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ م .

٢٢ ــ محمد ضياء الدين الريس :

النظريات السياسية الاسلامية ، الطبعة السابعة ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

٢٣ ــ محمود أحمد :

جامع عمرو بن العاص بالفسطاط من الناحيتين الأثرية والتاريخية ، المطبعة الأميرية ، ببولاق ، ١٩٣٨ م .

٢٤ ــ محمود بن محمد بن عرنوس :

تاريخ القضاء فى الاسلام ، الناشر : مكتبة الكليات الأزهرية .

٢٥ ــ يوليوس فلهوزن :

الخوارج والشيعة ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، الناشر : وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٨ م .

ثالثا : المراجع الأجنبية ·

1 — Creswell. K. A. C.

— A short Account of Early muslim Architecture.
Cairo, 1989.

2 — Grohmann A. P. H. D.

— Arabic – Papyrian the Egyptian Library, Vol L, 2, Edition
1934 — 1936.

3 — Lane – Poole Stanley :

A History of Egypt in the Middle Ages. Fourth Edition,
London, 1925.

4 — M. Hasan HaWary H. Rached, Stèles Fûneraires, Tome, 1,
Le Cairo, 1932.

5 — Wiet. G :

Repertoire Chronologuique D; Epigraphraphie Arabe, tome
1, 2 Le Cairo, 1931.

6 — Ency – of Eslam.

رقم الايداع ٢٤٣٢ / ١٩٩٠

الترقيم الدولى ٥ ــ ٠٤٤٢ ـــ ١٠ ــ ٩٧٧

977 - 10 - 0442 - 5 I. S. B. N

